غير مرخصة للطباعة

المحـور العاشــر

نحو وحدة فكريَّة للعاملين للإسلام

١٥٩

موقف الإسلام

من الإلهـام والكشـف والرؤى
ومن التمائم والكهانة والرقى

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة تجريبية

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، [النمل: ٦٤].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٨].

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبـــي هُرَيْرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قـــال: «**إنَّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمَمِ مُحَدَّثون، وإنَّه إن كان في أُمَّتي هذه منهم، فإنَّه عمر بن الخطَّاب**». رواه البخاري.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، عن النبـــيِّ ﷺ: «**لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ ســـمعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورِجْله الَّتي يمشي بها**». رواه البخاري.

عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه ، قال رسولُ الله ﷺ: «**اتَّقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنَّه ينظر بنور الله**». رواه الترمذي والطبراني.

عن بعض أُمَّهـــات المؤمنيـــن رضـــي الله عنهن، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء، لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعين ليلة**». رواه مسلم وأحمد.

عن أبي مســـعودٍ الأنصاري، أنَّ رسولَ الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب، ومَهْرِ البَغِـــيِّ، وحُلْوان الكاهن. رواه البخاري ومسلم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أكمل الخلق إيمانًا، وأرجحهم عند الله ميزانًا، وأنصعهم في الحقِّ بيانًا، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو الجزء الثالث من أجزاء هذه السلسلة «نحو وَحْدة فكريَّة للعاملين للإسلام»، وهي السلسلة الَّتي تتمحور حول «الأصول العشرين» للإمام الشهيد حسن البَنَّا رضي الله عنه، وقد حُرِّرَ منها قبل ذلك جزءان: **الأوَّل** عن «شمول الإسلام»، و**الثاني** عن «المرجعيَّة العليا في الإسلام»، وهي من غير شكٍّ للمَصْدَرَيْن المعصومَيْن: القرآن، والسُّنَّة، وقد تضمَّن هذا الجزء «ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير».

وها أنا أُقَدِّم لك ـ أخي القارئ المسلم ـ الجزء الثالث، وهو يتضمَّن شرح أصلَيْن من الأصول العشرين ضممتُهما في كتابٍ واحد، وهما: الأصل الثالث المُكَمِّل للأصل الثاني، والمُتَفَرِّع عنه، وفيه بيان الموقف من الإلهام والكشف والرؤى، وهل تعتبر حجة في الأحكام الشرعيَّة أو لا تعتبر أصلًا؟ وهل يُعتدُّ بها في أيِّ أمرٍ من أمور الحياة أو لا يُعْتَدُّ بها

QaradawiBooks.com

قطُّ؟ وقد ذكرنا هنا موقف الغُلاة في الإثبات، والغُلاة في النفي، وموقف الربَّانيِّين المعتدلين من أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة، ورَدَدْنا على المُفْرِطِين والمُفَرِّطين معًا.

والأصل الرابع، وهو الَّذي يتضمَّن حماية حمى التوحيد، ورعاية سنن الله في الخلق وفي الاجتماع البشري، واحترام نظام الأسباب والمُسَبَّبات في التداوي أو المعرفة، ورفض المظاهر الشِّرْكيَّة من تعليق التمائم، والعلاج بالرُّقى غير المشروعة، وادِّعاء الكهانة ومعرفة الغيب... ومقاومة ذلك كلِّه باعتباره منكرًا من المنكرات الَّتي يجب أن تُغَيَّر باليد أو باللسان أو بالقلب، وذلك أضعف الإيمان.

أرجو أن يجد القارئ الكريم في هذا الجزء ما وجده في أخوَيْه السابقين ممَّا يُقَوِّي وَحْدة الاتِّجاه، وتقارُب الفكر، لدى العاملين للإسلام، من أفراد وجماعات.

والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلَّى الله على عبده ورسوله مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة: في ذي الحجة ١٤١٤هـ

الموافق مايو ١٩٩٤م

* * *

غير مرخصة للإذاعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأصل الثالث

موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى وهل يؤخذ منها حكم شرعي؟

«وللإيمان الصـــادق، والعبادة الصحيحـــة، والمجاهدة: نور وحلاوة، يقذفها الله في قلب من شاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليســـت من أدلَّة الأحكام الشـــرعيَّة، ولا تعتبر إلَّا بشـــرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه».

حسن البنَّا

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الأصل الثالث
موقع الإلهام والكشف والرؤى من الدين

يقول الإمام حسن البنَّا في رسالة «التعاليم»:

«وللإيمان الصادق، والعبادة الصحيحة، والمجاهدة: نور وحلاوة، يقذفها الله في قلب من شاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلَّة الأحكام الشرعيَّة، ولا تعتبر إلَّا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه»[(١)].

هذا الأصل تأكيد وتتميم للأصل السابق الَّذي حدد مصادر المعرفة للأحكام الشرعيَّة في القرآن والسُّنَّة، ويبين موقف الحركة الإسلاميَّة بصراحة من المُفْرطين الحرفيين الظاهريين الَّذين ينكرون أي أثر لعمق الإيمان وصحَّة العبادة، وصدق المجاهدة، في تنوير العقل وهداية القلب، ومن المفرِّطين من المُتَصوِّفة الَّذين يجعلون أذواقهم ومواجيدهم، وخواطر نفوسهم، وما يُلْهَمونه في اليقظة، أو يرونه في النوم دليلًا يحتجون به على أعمالهم وأقوالهم كأنَّه الوحي المعصوم، بل قد يجعلون هذا الكشف أو الإلهام أو الرؤيا حجة على الشرع نفسه، وهذا ضلال مبين، وخِطْء كبير.

(١) رسالة التعاليم ضمن مجموعة رسائل حسن البنَّا صـ ٣٥٦، نشر المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

حقائق ثلاث يتضمنها هذا الأصل:

ومن هنا جاء هذا الأصل يتضمن حقائق ثلاثًا:

الحقيقة الأولى: الاعتراف بأثر الإيمان والعبادة والمجاهدة في تصفية النفس وإشراقها، وصدق فراستها، وهدايتها سبل الخير، وأنَّها قد تلهم الرشد والصواب في يقظتها، وتصدق رؤياها في منامها.

الحقيقة الثانية: أنَّ هذا الاعتراف لا يعني أنَّ الإلهام والخواطر والكشف والرؤى من أدلَّة الأحكام الشرعيَّة، حتَّى يحتج بها على صحَّة الاعتقاد، أو سداد النظر، أو استقامة العمل، ولهذا نفى ذلك في صراحة ووضوح.

الحقيقة الثالثة: أنَّ الإلهام ولواحقه لا تعتبر ـ في غير الأحكام الشرعيَّة طبعًا ـ إلَّا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

أثر الإيمان والعبادة والمجاهدة في النفس:

أمَّا الحقيقة الأولى وهي الاعتراف بأنَّ للإيمان الصادق، والعبادة الصحيحة، والمجاهدة للنفس، نورًا وحلاوةً يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، فذلك ما دلَّت عليه النصوص، ودلَّت عليه الوقائع والاستقراء.

أمَّا النصوص فهي كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩]، أي: نورًا تفرقون به بين الحق والباطل، وتخرجون به من الشبهات.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] دلَّ على أنَّ للمجاهدة في الله أثرها في هداية الإنسان إلى سبل الله، وهي سبل الحق والسداد.

QaradawiBooks.com

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، والمخرج يشمل كلَّ ما يخلص الإنسان من المآزق والمضايق، ومنها مآزق الحيرة والشبهة، والرزق الموعود، كما يشمل الرزق المادي، يشمل الرزق المعنوي من الهداية والتوفيق إلى صواب الفكر، واستقامة السلوك.

وفي القرآن الكريم كثير من النصوص الَّتي تدلُّ على أنَّ الاهتداء بآيات الله الكونيَّة، وآياته التنزيلية مقصور على أهل التقوى، الَّذين أنار الله بها بصائرهم، كما في مطلع سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وفي آيات الكون يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، وسيأتي مزيد لبيان هذه الحقيقة فيما يأتي، وحسبنا أن نذكر هنا الحديث الصحيح: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أنْ يكون الله ورسوله أحب إليه ممَّا سواهما، وأنْ يحب المرء لا يحبه إلَّا لله، وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر كما يكره أنْ يُقذف في النار**»[(١)].

وأمَّا الحقيقة الثانية، والحقيقة الثالثة ـ اللتان تضمنهما هذا الأصل ـ فسنتحدَّث عنهما بالتفصيل في الصحائف التالية.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإلهام هل هو حُجَّة في الأحكام الشرعيَّة؟

هذا موضوع يهتمُّ به علماء العقيدة والتوحيد، وهم الَّذين يُعْرَفون باسم «المُتَكَلِّمين»؛ لأنَّه يتَّصل بطرائق العلم الَّتي يتوصل بها إلى المعرفة بحقائق الدِّين الكبرى من الألوهيَّة والنبوَّة والمعاد.

ورجال العقيدة يلتقون هنا مع رجال الفلسفة، في بحثهم حول نظريَّة المعرفة، وهل هناك طريق للمعرفة غير العقل والحسِّ؟ وهي أحد الموضوعات الثلاثة الرَّئيسيَّة الَّتي تدور حولها الفلسفة قديمها ووسيطها وحديثها، وهي: الوجود، والمعرفة، والقِيَم العُلْيا (الحقُّ والخير والجَمال).

وكذلك يهتمُّ به علماء الأصول؛ لأنَّه يتعلق بتحديد مصادر المعرفة للأحكام الشرعيَّة، وهل هناك مصدر لها غير الكتاب والسُّنَّة، وما دلَّا عليه من الإجماع والقياس؟

ويهتمُّ به أيضًا علماء التصوُّف، بل هو أخصُّ شيءٍ بهم، وهم أصحابه وفرسانه، وهم الَّذين ينقل عنهم أنَّهم يعتمدونه مصدرًا للتحسين والتقبيح؟

ولهذا كان تحرير هذا الأمر من المُهِمَّات العِلْميَّة، حتَّى لا تضيع الحقيقة بين الغُلَاة في النفي والغلاة في الإثبات، كأكثر الأمور في عالم الفكر، يُفْرِط فيها أناس، ويُفَرِّط فيها آخرون.

وقبل أنْ نتحدَّث عن الآراء والاتِّجاهات في هذا الموضوع لا بدَّ لنا أنْ نُحدِّد «المفاهيم»، فإنَّ الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوُّره.

• ما الإلهام؟:

في القرآن الكريم وردت المادَّة مرَّة واحدة، بصيغة الفعل الماضي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨]، وفسَّر ذلك «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الصادر عن مجمع اللغة العربيَّة بقوله: «ألقى فيها إحساسًا تُفَرِّق به بين الضلال والهدى، ولعلَّ ذلك ما يعرف في عصرنا بـ(الضمير)»[(١)].

وما ذكره المعجم مأخوذ ممَّا روي عن مُفَسِّري السلف مثل: مجاهد، وغيره، في معنى الآية.

وقال في «القاموس المحيط»: «ألهمه الله خيرًا: لقَّنه إيَّاه»[(٢)].

وقال شارحه الزَّبِيدي في «تاج العروس»: «الإلهام: ما يلقى في الرُّوع بطريق الفيض، ويختصُّ بما من جهة الله والملأ الأعلى. ويقال: إيقاع شيء في القلب يطمئنُّ له الصدر، يخص به الله من يشاء من عباده»[(٣)].

وفي «لسان العرب»: «الإلهام أنْ يُلقي الله في النَّفْس أمرًا يبعثه على الفعل أو التَّرْك، وهو نوعٌ من الوحي، يخصُّ الله به من يشاء من عباده»[(٤)].

وفي «شرح العقائد النَّسفيَّة» لسعد الدين التفتازاني: «الإلهام إلقاء شيءٍ في القلب بطريق الفَيْض»[(٥)].

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة (ل. هـ. م) (٢٤٢/٥)، نشر المطابع الأميرية، ١٩٦٩م.

(٢) القاموس المحيط مادة (ل. هـ. م).

(٣) تاج العروس مادة (ل. هـ. م).

(٤) لسان العرب مادة (ل. هـ. م). والتعريف مقتبس من النهاية لابن الأثير، كما سيأتي بعد سطور، وهو أحد المصادر التي اعتمد عليها ابن منظور في كتابه.

(٥) شرح العقائد النسفية صـ ٢٢، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

وفي «التعريفات» للشَّريف الجُرْجاني: «الإلهام: ما يُلْقَى في الرُّوع بطريق الفَيْض، وقيل: الإلهام ما وقع من علمٍ وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآيةٍ ولا نظر في حجَّة، والفرق بينه وبين الإعلام: أنَّ الإلهام أخصُّ من الإعلام؛ لأنَّه قد يكون بطريق الكسب، وقد يكون بطريق التنبيه»[١].

وفي «النهاية» لابن الأثير في مادَّة «ل. هـ. م» ذكر حديث: «**اللهمَّ إنِّي أسألكَ رحمةً من عندك تُلْهِمُني بها رُشْدي**»[٢]، ثمَّ قال: «الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخصُّ الله به من يشاء من عباده»[٣].

وفي مادَّة «ح. د. ث» ذكر حديث: «**قد كان في الأمم مُحَدَّثون، فإن يكن في أُمَّتي أحد فعمر بن الخطَّاب**»[٤]، قال: «جاء في الحديث تفسيره أنَّهم المُلْهَمون، والمُلْهَم هو الَّذي يُلْقَى في نفسه الشيء فيُخْبِر به حَدَسًا وفراسةً، وهو نوع يختصُّ به الله من يشاء من عباده الَّذين اصطفى، مثل: عمر، كأنَّهم حُدِّثُوا بشيءٍ فقالوه»[٥].

وعرفه العلَّامة أبو زَيْد الدَّبُوسي من فقهاء الحنفيَّة، بقوله: «هو ما حرَّك القلب لعلمٍ يدعو إلى العمل به من غير استدلال»[٦].

---

(١) التعريفات للجرجاني صـ ٣٨، تحقيق محمد باسل، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤١٩)، واستغربه، وابن خزيمة في الصلاة (١١١٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٩٤)، عن ابن عباس.

(٣) النهاية في غريب الحديث (٢٨٢/٤)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٤) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٩)، عن أبي هريرة.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٥٠/١).

(٦) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٨٨/١٢)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

وكثيرًا ما يُعَبِّر الصوفيَّة عن «الإلهام» بـ «الكشف»؛ لأنَّه يكشف لهم عن أمور مُغَيَّبة عمَّا سواهم، فهي ظاهرة لديهم، خافية على غيرهم، وستأتي مناقشتهم.

وهذه التعريفات كلُّها تدور حول معنى أساسي، وهو أنَّ الإلهام: إلقاء معنًى أو فكرةٍ أو خبر أو حقيقة في النفس أو القلب أو الرُّوع ـ سمِّه ما شئتَ ـ بطريق الفَيْض، بمعنى أنْ يخلق الله فيه علمًا ضروريًّا لا يملك دَفْعه، أي: ليس بطريق التعلُّم والاكتساب المعهود، بل هو يُفاض على النفس فيضًا، بغير اختيارها ولا إرادتها، سواء سعت إليه سعيًا عن طريق الرياضة الرُّوحيَّة وتفريغ القلب من كلِّ شيء، كما سيأتي ذلك بعد في كلام الإمام الغزالي، أم أُفِيضَ ذلك عليها كرامةً من الله لها، وخرقًا للعوائد من أجلها، وإنْ لم تتعمَّد السعيَ إليه.

ومن شأن هذا العلم الضروري إذا أُلْقِيَ في القلب أنْ يُحَرِّك إلى العمل، ويبعث على الفعل أو التَّرْك، كما جاء في بعض التعريفات، فهو نتيجة وثمرة له.

والتعريفات الَّتي ذكرت أنَّ الإلهام نوعٌ من الوحي يقصد بها: أنَّه نوع من الوحي بمعناه اللُّغَوي، وهو الإعلام بخفاءٍ وسرعة، أو أنَّه نوعٌ من الوحي بالنسبة للأنبياء، فهو أحد طرق الوحي المُتَضَمَّنة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

فقوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ يشمل ما كان عن طريق الإلهام والنَّفْث في الرُّوع في اليقظة، وما كان عن طريق الرؤيا المناميَّة، فرؤيا الأنبياء وحْيٌ.

QaradawiBooks.com

وهذا الإلهام أو الكشـــف هو ضرب من المعرفة الرُّوحيَّة المباشرة، الَّتي عرفتها بعض المدارس الفلســفيَّة قديمًا وحديثًا، وهي المعرفة عن طريق «الحَــدْس» أو «البصيرة»، وفي الفلســفة القديمــة عرفت بذلك «الغُنُوصِيَّة».

وفي الفلســفة الحديثة عُرِفَ فلاسفة أشــهرهم الفيلسوف الفرنسي «هنري برجسون» الَّذي أطلق عليه: فيلسوف الرُّوح في القرن العشرين.

• الإلهام والتحديث:

ويُســأل هنا: هل الإلهام هو نفس التحديث الَّذي جاء في الحديث الصحيح: «**إنَّه كان قبلكــم مُحَدَّثون**»[1]، أو هو غيــره، أو بينهما عموم وخصوص؟

الَّذي نقلناه من كلام صاحب «النهاية» يدلُّ على أنَّهما بمعنى واحد، ومثل ذلك ما ذكره شــيخ الإســلام إســماعيل الهَرَوِي صاحب «منازل السائرين إلى مقامات: إيَّاك نعبد وإيَّاك نســتعين»، فهو لم يُفَرِّق بينهما، وذهب إلى أنَّهما شيء واحد، وقد جاء في عدَّة روايات تفسير التحديث بالإلهام.

ولكنَّ شارح «المنازل» الإمام ابن القَيِّم في كتابه «مدارج السالكين» خالــف الهَرَوي، ورأى أنَّ بيــن الإلهام والتحديــث عمومًا وخصوصًا، فالتحديث أخصُّ، والإلهام أعمُّ، فكلُّ تحديث إلهــام، وليس كلُّ إلهام تحديثًا.

(١) سبق تخريجه صـ١٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: «التحديث أخصُّ من الإلهام، فإنَّ الإلهام عامٌّ للمؤمنين بحسَب إيمانهم، فكلُّ مؤمنٍ قد ألهمه الله رُشده الَّذي حصل له بعد الإيمان، فأمَّا التحديث، فالنبيُّ ﷺ قال فيه: «**إنْ يكن في هذه الأُمَّة أحد فعُمَر**»، يعني من المُحَدَّثين.

فالتحديث إلهام خاصٌّ، وهو الوحي إلى غير الأنبياء، إمَّا من المُكَلَّفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١]، وإمَّا من غير المكلَّفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، فهذا كلُّه وَحْيُ إلهامٍ»[(١)].

• الإلهام والفِراسة:

وممَّا له صلة بالإلهام: الفِراسة. فما معنى الفِراسة؟ وما العلاقة بينها وبين الإلهام؟

يقول الراغب في كتابه «الذَّريعة إلى مكارم الشريعة»:

«وأمَّا الفِراسة، فالاستدلال بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله، وربَّما يقال: هي صناعةٌ صيَّادة لمعرفة أخلاق الإنسان وأحواله، وقد نبَّه الله تعالى على صدقها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، وقوله: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وبقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

والضرب الثاني من الفِراسة: يكون بصناعةٍ مُتَعَلِّمة، وهي معرفة

(١) مدارج السالكين (٦٨/١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ما بين الألوان والأشكال، وما بين الأمزجة والأخلاق والأفعال الطبيعيَّة، ومن عرف ذلك وكان ذا فهمٍ ثاقب قَوِيَ في الفِراسة، وقد عُمِلَ في ذلك كتب، فمن تتبَّع الصحيح منها طلع منها على صدق ما ضمَّنوه، والفِراسة ضربٌ من الظنِّ، وقد سُئِلَ بعض مُحَصِّلة الصوفيَّة عن الفرق بينهما، فقال: الظنُّ بتقلُّب القلب، والفِراسةُ بنور الربِّ تعالى. وكلٌّ من قَوِيَ فيه نورُ الرُّوح المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، كان ممَّن وصف بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وكان ذلك النور شاهدًا منه أصاب فيما حُكِمَ به.

ومن الفِراسة: علم الرؤيا، وقد عظَّم الله أمرها في جميع الكتب المُنزلة»[(١)].

والراغب هنا لا يفرق بين الإلهام والفِراسة والتحديث.

وأمَّا الهَرَوي في «المنازل» فقد جعل مقام الإلهام فوق مقام الفِراسة؛ لأنَّ الفِراسة ربَّما وقعت نادرة، واستصعبت على صاحبها وقتًا، واستعصت عليه، والإلهام لا يكون إلَّا في مقامٍ عتيد.

وناقش ابن القَيِّم الهَرَوي في ذلك فقال: «وأمَّا جعله فوق مقام الفِرَاسة، فقد احتجَّ عليه بأنَّ الفِراسة ربَّما وقعت نادرة كما تقدَّم، والنادر لا حكم له، وربَّما استعصت على صاحبها واستصعبت عليه، فلم تُطَاوعه، والإلهام لا يكون إلَّا في مقام عَتِيد، يعني: في مقام القُرْب والحُضُور.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ ١٤٥، ١٤٦، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

والتحقيق في هذا: أنَّ كلَّ واحدٍ من الفِراسة والإلهام ينقسم إلى عامٍّ وخاصٍّ، وخاصُّ كلِّ واحدٍ منهما فوق عامِّ الآخـر، وعامُّ كلِّ واحدٍ قد يقع كثيرًا، وخاصُّهُ قد يقع نادرًا، ولكنَّ الفرق الصحيح: أنَّ الفِراسـة قد تتعلَّق بنوع كسبٍ وتحصيل، وأمَّا الإلهام فموهبةٌ مُجَرَّدة، لا تُنال بكسبٍ البتَّة»[1].

• مواقف العلماء من الإلهام:

وإذا عرفنا حقيقة الإلهام بقي علينا أنْ نعرف مواقف أهل العلم المسلمين من مُتكلِّمين وأُصوليِّيـن وفقهاء ومُحَدِّثين من الإلهـام، ومدى حُجِّيَّته، أو مصدريَّته للمعرفة، ومدى الثقة بما يأتي عن طريقه من معارف وأفكار.

ونستطيع أن نقسم هذه المواقف إلى ثلاثة:

١ ـ موقف النُّفاة الرافضين للإلهام.

٢ ـ موقف المُثْبِتين القائلين بحُجِّيَّة الإلهام.

٣ ـ موقف المُتَوَسِّطين بين الفريقَيْن.

موقف النُّفاة المنكرين للإلهام:

ومن الإنصاف أنْ أبادر هنا فأقول: إنِّي لم أجدْ من العلماء المُعْتَبَرين لدى الأُمَّة من ينفي الإلهام نفيًـا كُلِّيًّا ويُنكره إنـكارًا مطلقًا، بل النفي مُنْصَبٌّ على الاعتداد به أصلًا ودليلًا شـرعيًّا، واعتباره حُجَّة مسـتقلَّة، بحيث يُسْـتَدَلُّ به على الحقِّ والصواب في باب المعارف والاعتقادات، وعلى مشروعيَّة الفعل أو الترك في باب التعبُّدات والمعاملات.

(١) مدارج السالكين (٦٩/١).

QaradawiBooks.com

وذكر العلَّامة النَّسَـفي في «عقائده» المشـهورة لدى أهل السُّنَّة من الأشاعرة والماتُرِيديَّة، أنَّ أهل الحقِّ حصروا أسباب العلم اليقيني للخَلْق في ثلاثة:

١ ـ الحواسِّ السليمة.

٢ ـ والخبر الصادق.

٣ ـ والعقْل.

ويريد بالحواسِّ السليمة: الخمسَ المعروفة.

وأمَّا الخبر الصادق، فهو نوعان: الخبـر المتواتر، وهو الثابت على ألسـنةِ قومٍ لا يُتَصَوَّر تواطؤهم علـى الكذب، وخبر الرسـول المؤيَّد بالمعجزة.

والعقل منه ما هو ضروريٌّ وما هو نظريٌّ.

ثمَّ قال النَّسَفي: «والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحَّة الشيء عند أهل الحقِّ».

وقال الشارح التَّفْتَازاني: «الظاهر أنَّه أراد أنَّ الإلهام ليس سببًا يحصل به العلم لعامَّة الخَلْق، ويصلح للإلزام على الغير، وإلَّا فلا شـكَّ أنَّه قد يحصل به العلم»[1].

ونقل الشَّـوْكاني عن القَفَّال قولَه: «لو ثبتت العلوم بالإلهام لم يكن للنَّظْر معنًى، ونسـأل القائل بهذا عن دليله، فإن احتجَّ بغير الإلهام فهو ناقِض قَوْله» اهـ.

(١) العقائد النسفية صـ ٢٢.

QaradawiBooks.com

قال الشَّوْكاني: «ويجاب عن هذا الكلام بأنَّ مُدَّعي الإلهام لا يَحْصُر الأدلَّة في الإلهام، حتَّى يكون استدلاله بالإلهام مناقضًا لقوله، نعم إن استدل على إثبات الإلهام بالإلهام كان ذلك مصادرة على المطلوب؛ لأنَّه استدل على محل النزاع بمحل النزاع.

ثُمَّ على تقدير الاستدلال بثبوت الإلهام بمثل ما تَقَدَّم من الأدلَّة من أين لنا أنَّ دَعْوى هذا الفرد لحصول الإلهام له صحيحة؟!»[١].

ونقل في «مُسَلَّم الثُّبُوت» عن بعض العلماء واختاره مُحَقِّق الحنفيَّة العلَّامة الكمال بن الهُمام: أنَّ الإلهام ليس بحُجَّة مُطْلَقًا، لا في حقِّ المُلْهَمِ نَفْسه، ولا في حقِّ غيره، وعلَّل ذلك بانعدام ما يوجب نسبته إلى الله تعالى[٢]، أي: ليس هناك ما يدلُّ على أنَّه من عند الله تعالى، فربَّما غَلَطَ أو توهَّم، أو خَالَ فتخيَّل، ولا معصومَ بعد رسول الله ﷺ.

وذكر صاحب «مُسَلَّم الثبوت» قولًا آخر نسب إلى عامَّة العلماء، وهو أنَّ الإلهام حجة على الملهم فقط دون غيره، وعلل ذلك شارحه بقوله: «لعلَّ وجهه أنَّ إلهامهم ـ أي: الأولياء ـ وإن كان حُجَّةً قاطعة، إلَّا أنَّه لا يجب عليهم دعوة الخلق إليه من حيث إنَّه إلهامٌ، ولا على الخلق تصديقهم، والحُجَّة فرع التصديق[٣].

وسيأتي مزيد مناقشةٍ لذلك.

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني (٢٠١/٢)، تحقيق أحمد عزو عناية، دمشق، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) مسلم الثبوت مع شرحه فواتح الرحموت، المطبوع مع المستصفى للغزالي (٣٧١/٢)، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) المصدر نفسه.

QaradawiBooks.com

ويبدو أنَّ موقف النُّفاة الرافضين للإلهام هنا كان ردَّ فعلٍ لموقف المُتَصوِّفة الَّذين غَلَوْا في إثبات الإلهام، وزعموا أنَّ له حُجِّيَّة ثابتة، ومصدريَّة مستقلَّة للأحكام الشرعيَّة، فنفى ذلك العلماء المُتَمَسِّكون بالكتاب والسُّنَّة، وأنكروه.

المُغالون في إثبات الإلهام وحُجِّيَّته واعتباره:

أمَّا الفئة الثانية، فهي الَّتي غلت في إثبات الإلهام، وفيما له من حُجِّيَّة شرعيَّة: علميَّة وعمليَّة، بحيث يستدلُّ به على سلامة الاعتقاد، وسداد القول، وصحَّة العمل، واستقامة المنهج.

وهؤلاء هم المنحرفون من دعاة التصوُّف أو أدعيائه على الحقيقة، وليس كلُّ الصوفيَّة معهم في ذلك، فإنَّ الصوفيَّة الأوائل ملتزمون بالكتاب والسُّنَّة، كما سنُبيِّن بعد، وإنَّما هؤلاء قوم لم يتحصَّنوا بمُحْكَمات الشرع، فمالت بهم رياح البدع القوليَّة والعمليَّة يمينًا وشمالًا، فاعتمدوا على المُتَشَابِهات، وأعرضوا عن المُحْكَمَات، وهذا أصل الزَّيغ والغُلُوِّ.

الإلهام ليس بحُجَّة شرعيَّة:

وهؤلاء قد ردَّ عليهم الأصوليُّون بأنَّ الإلهام ليس بحُجَّة، سواء في باب المعارف والاعتقادات، أم باب الأعمال والتعبُّدات، وتظاهر على ذلك علماء أصول الدِّين وعلماء أصول الفقه، وردُّوا على من زعم أنَّه حُجَّة ودليلٌ شرعي، وأبطلوا كلَّ ما استدلُّوا به.

أمَّا في باب المعرفة والاعتقاد فيذكر «النَّسَفي» في «عقائده» المشهورة والمعتمَدة لدى المتأخِّرين من الأشاعرة والماتُرِيديَّة، وهي من الكتب الَّتي كانت ـ ولا تزال ـ تُدرس بالأزهر: أنَّ أسباب العلم للخَلْق ثلاثة:

QaradawiBooks.com

الحواسُّ السليمة، والعقل، والخبر الصادق، ومنه خبر الرسول المؤيَّد بالمعجزة.

وبعد أنْ حصر أسباب العلم اليقيني في هذه الثلاثة قال: «والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحَّة الشيء عند أهل الحقِّ»[١].

وأمَّا في باب الأعمال والتعبُّدات فيقول الإمام أبو زيد الدَّبُوسي من أئمَّة الحنفيَّة: الَّذي عليه الجمهور: أنَّ الإلهام لا يجوز العمل به إلَّا عند فقد الحُجَج كلِّها، في باب المباح.

فقيَّد جواز العمل به بقَيْدين:

الأوَّل: ألَّا يوجد أيُّ دليلٍ شرعي في المسألة، لا كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع ولا قياس، ولا غيرها من الأدلَّة المُخْتَلَف فيها.

الثاني: أن يكون ذلك في باب المباح، أمَّا الإيجاب أو الاستحباب، أو التحريم أو الكراهة، فلا يعتمد فيها على إلهامِ مُلْهَم، ولا كشف وَلِيٍّ، بل لا بدَّ من دليلٍ شرعي معتمد.

وسنُفَصِّل ذلك بأدلَّته بعد بيان موقف الربَّانيِّين المُحَقِّقين من أئمَّة أهل السُّنَّة.

• موقف الربَّانيِّين المعتدلين من علماء السُّنَّة:

بعد أنْ بيَّنَّا موقف النُّفاة المُنْكِرين للإلهام، من علماء الأُصُولَيْن: أصول الدِّين، وأصول الفقه، وبيَّنَّا في مقابلتهم موقف المُغَالِين في إثبات الإلهام والمُعَظِّمين له، وما أضفوا عليه من حُجِّيَّة وقُدسيَّة، ترتَّب عليها ما ذكرناه من نتائجَ وآثارٍ في مجالات العقيدة والفكر والعبادة والسلوك.

---

(١) العقائد النسفية صـ ٢٢.

QaradawiBooks.com

ينبغي علينا هنا أن نُبَيِّن موقف المُتَوَسِّطين المُعْتَدِلين من ربَّانِيِّي هذه الأُمَّة الَّذين أشار إليهم القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقد تبيَّن موقف هؤلاء من خلال ردِّهم على الغُلاة والمُنْحَرِفين من المُتَصوِّفة، فيما ذكرناه في المباحث السابقة.

ولكن لا بأس من بيان موقفهم استقلالًا؛ ليزداد تأصُّلًا واتِّضاحًا.

إنَّ هؤلاء الربَّانيِّين من دعاة «الوسطيَّة الإسلاميَّة» هم الَّذين جمعوا بين النُّورَيْن: نور العقل ونور القلب، نور العلم ونور الإيمان، نور الفِطْرة ونور النبوَّة. واهتدوا بصحيح المنقول وصريح المعقول، ووفَّقوا بين النصوص الجزئيَّة والمقاصد الكُلِّيَّة، وردُّوا الفروع إلى الأصول، والمُتَشَابهات إلى المُحْكَمَات، والظَّنِّيَّات إلى القطعيَّات، فأثبتوا الإلهام والكشف والتحديث والفِراسة والرؤى الصادقة بشُروطها وفي حدودها، وأقاموا الوزن بالقِسْط، ولم يُخْسِروا الميزان، ولم يَطْغَوا فيه، وبهذا أووا من العلم إلى ركنٍ شديد، واعتصموا من الدِّين بحبلٍ متين: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

إنَّ موقف أهل التوسُّط والاعتدال من مُحَقِّقي علماء السُّنَّة هو الَّذي يُعَبِّر بحقٍّ عن وسطيَّة المنهج الإسلامي، ووسطيَّة الأُمَّة الإسلاميَّة.

فهم لا يغلقون بابًا من أبواب المعرفة والوعي فتحه الله لبعض النَّاس في بعض الأوقات، بجوار البَابَيْن الآخرين من أبواب المعرفة، وهما اللذان لهما صفة العموم والدوام، أعني: باب الحواسِّ؛ وخصوصًا السمع والبصر، وباب العقل، وقد يُعَبِّر عنه في القرآن الكريم بالفؤاد أو القلب،

QaradawiBooks.com

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، فجعل هذه الثلاثة منافذ المعرفة للإنسان: السمع والأبصار للمعرفة الحِسِّيَّة، والأفئدة للمعرفة العقليَّة.

والمعرفة «السَّمْعِيَّة» تدخل فيها العلوم النقليَّة، ومنها: علوم الدين، فهي علوم سمعيَّة، وإن نقلت عن طريق القلم والكتاب.

والمعرفة «البصريَّة» تدخل فيها العلوم التجريبيَّة؛ لأنَّها تقوم على الملاحظة والتجربة والقياس، وأساسها البصر والمشاهدة.

والمعرفة «الفؤاديَّة» أو «القلبيَّة» يدخل فيها المعرفة العقليَّة الخالصة، عن طريق النظر والتفكير والاعتبار والاستدلال، كما يمكن أن يدخل فيها المعرفة المباشرة عن طريق البصيرة والحدس والإلهام، وهو ما يسمُّونه «المعرفة الرُّوحيَّة».

ذلك أنَّ كلمة «الفؤاد» أو «القلب» ليست مرادفة لكلمة «العقل»، بل هي أعمُّ وأشمل، فقد يراد منها تلك اللطيفة المُدْرِكة العاقلة المُفَكِّرة، ولذا توصف أحيانًا بالعقل أو الفقه، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج: ٤٦].

وقوله في أهل النَّار: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقد يُراد من كلمة الفؤاد أو القلب ما يطلق عليه الآن اسم الرُّوح، أو الضمير، أو البصيرة، أو نحو ذلك من الكلمات الَّتي تُعَبِّر عن نوع من الوعي المباشر دون الأدوات الَّتي يستخدمها العقل المنطقي في تحصيل معرفته.

QaradawiBooks.com

ومهما يكن من تفسيرنا لكلمة «الأفئدة» أو «القلوب» فإنَّ ممَّا لا ريب فيه أنَّ فيها نورًا فطريًّا أودعه الله فيها، يزداد بالإيمان والمجاهدة والتقوى، فيكون كما قال الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

كما أنَّ الكفر والجحود والغفلة واتباع الهوى يعطل هذه الأجهزة المعرفيَّة لدى الإنسان، ويخرب صلاحِيَتها، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال عن بعض الكفار الَّذين نزل بهم عقاب الله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

لم يقل العلماء المعتدلون الَّذين اهتدوا بالكتاب والسُّنَّة بسدِّ باب الإلهام والكشف ونور البصيرة، وإنَّما أرادوا أن يُقَيِّدوه بالأصول والضوابط الَّتي تمنع دخول الوهم والكذب والغلوِّ فيه.

وإذا كان العقليُّون من قديمٍ حاولوا أن يضبطوا إنتاج العقل بقواعد «المنطق» الَّذي عرفوه بأنَّه «آلة قانونيَّة تعصم مراعاتُها الذهنَ عن الخطأ في الفِكْر»، وبهذا يمكن الرجوع إلى هذه القواعد عند الخلاف.

وإذا كان الشرعيُّون قد وفقهم الله لوضع علم «أصول الفقه» لضبط الاستدلال فيما فيه نصٌّ، وفيما لا نصَّ فيه، وأسَّسوا بذلك علمًا عظيمًا

QaradawiBooks.com

لم يعرف مثلــه في حضارة من الحضــارات، وغدا مفخــرة من مفاخر التراث الفكري الإسلامي.

إذا كان الأمر كذلك، فكيف يترك الأمر فوضى في موضوع الكشف والإلهام، وندع الباب مفتوحًا على مصراعيه، لكلِّ من هبَّ ودبَّ، ممَّن تخيَّل فخال، أو من لا يُمَيِّــز بين إلهام المَلَك ونفْث الشَّــيْطان، أو من ادَّعى الوصول ولم يــرعَ الأصول من كُلِّ دجَّال يشــتري الدُّنْيا بالدِّين، ويتَّبع غير سبيلِ المؤمنين؟!

هذا ما يراه الربَّانيُّون من علماء السُّــنَّة، فهم لا ينكرون أنْ يقذف الله في قلب عبدٍ من عباده نورًا يكشــف له بعض المســتورات والحقائق، ويهديه إلــى الصواب في بعــض المواقف والمضايق، بدون اكتســابٍ ولا استدلال، بل هبة من الله تعالى، وإلهامًا منه.

ومن آمن بقدرة الله تعالى على كلِّ شــيء، وآمــن بالطاقة الرُّوحيَّة الهائلة في الإنسان، وآمن بأثر الإيمان والعبادة والمجاهدة في تفجير هذه الطاقة الكامنة، لم يستبعد أن يقع الكشف والإلهام من الله لبعض عباده المؤمنين الصادقين، في بعض الأحوال والأوقــات، تفضُّلًا منه وكرمًا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٣، ٧٤].

• تحرير موضع النزاع:

فما هو إذن موضع الخــلاف بينهم وبين من ذكرنا مــن المُتَصوِّفة أصحاب الكَشْف والإلهام؟

هنا يلزمنا تحرير موضع النزاع بين الفريقين، لنَسْــتَبِين ما هو مُتَّفَق عليه، وما هو مُخْتَلَف فيه.

• **إلهام الأنبياء وحيٌ:**

لا نزاع بين أحد من أهل الإسلام في أنَّ إلهام الأنبياء جزءٌ من الوحي المعصوم، وفيه جاء مثل قوله ﷺ: «**إنَّ رُوح القُدُس نَفَث في رُوعي: أنَّ نفسًا لن تموت حتَّى تستكملَ أجلَها، وتستوعب رزقها**»[(١)].

كما لا نزاع بينهم في أنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ أيضًا، وهي تدخل مع الإلهام في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: ٥١].

فقوله: ﴿**إِلَّا وَحْيًا**﴾ يشمل الإلهام في اليقظة، والرؤيا في المنام.

وقد ذكر لنا القرآن رؤيا إبراهيم في شأن ذبح ابنه، وكيف اعتبر ما رآه في المنام أمرًا من الله تعالى، وكذلك الابن: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

• **أثر التقوى والمجاهدة في الهداية والإلهام:**

ولا نزاع في أنَّ الإيمان والعبادة والتقوى ومجاهدة النفس لها أثرها في تنوير العقل، وهداية القلب، والتوفيق إلى إصابة الحق في الأقوال، والسداد في الأعمال، والخروج من مضايق الاشتباه إلى باحات الوضوح، ومن اضطراب الشكِّ إلى ثبات اليقين.

ولا نزاع كذلك في أنْ يكشف الله لبعض المُتَّقين من عباده من حقائق

(١) رواه الطبراني (١٦٦/٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٩٣): رواه الطبراني، وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥)، عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

العلم، وأنوار المعرفة، في فهم كتابه أو سُنَّة نبيِّه، بمحْض الفيض الإلٰهي والفتح الربَّاني، ما يلهث كثيـرون ليحصلوا عليه بالمذاكرة والتحصيل، فلا يظفرون بما يُدانيه، بشرط أن يُحَصِّلوا الأدوات الضروريَّة لفهم العلم.

وهذا ما جعل كثيرًا من كبار العلماء المُؤَلِّفين في التفسير والحديث والفقه وغيرها يجعلون في عناويـن كتبهم كلمات مثل: الفتح، والفيض ونحوهما[١].

ولا نزاع كذلك في أنْ يُوهَب بعض النَّاس من صدق الفِراسة وقوَّتها ما يستطيع به أن يكتشف شخصيَّة المرء يلقاه بنظرةٍ إليه، أو كلمة يسمعها منه، أو يقرأ أفكاره، أو يعرف بعض ما يجول بنفسه.

وهي موهبة فطريَّـة لدى بعض النَّاس تقويهـا الرياضة والمجاهدة، وتُنَمِّيها تقـوى الله تعالى، ويصقلها الإيمان واليقيـن بالله تعالى وبالدار الآخرة، حتَّى إنَّ المؤمن لتصدق فِراسـته، كأنَّمـا ينظر بنور الله، وينطق بلسان القَدَر، ويُبْصِر الغيبَ من وراء سترٍ رقيق.

ولابـن القَيِّم هنا كلام جيِّد فـي «مدارج السـالكين» يجب أنْ يُقرأ ويُراجع[٢].

• ابن تيمية لا ينكر الإلهام الناشئ عن الإيمان والتقوى:

ومن النَّاس من يظنُّ أنَّ شـيخ الإسـلام ابن تيميـة يجحد كلَّ أثر للإيمان والتقـوى والمجاهـدة الرُّوحيَّة في نفس الإنسـان المسـلم،

(١) مثل: فتح الباري لابن حجر، وفتح القدير لابن الهمام في الفقه، وفتح القدير للشوكاني في التفسـير، وفتح العزيز للرافعي، وفتح الملك العلام لصديق حسـن خـان، وفيض القدير للمناوي، وفيض الباري للكشميري، وغيرها.

(٢) مدارج السالكين (١/١٤٨ ـ ١٥٠).

QaradawiBooks.com

فلا تفيده نورًا يُبصر به في الظلمات ولا فرقانًا يُميِّز به بين المتشابهات، ولا هداية تنحلُّ بها العُقَد والمشكلات، وأنَّ شأن المؤمن العابد التقي المحاسِب لنفسه المراقِب لربِّه المُخْلِص في عمله ونِيَّته، كشأن العاصي المُسْرِف على نفسه، أو الغافل عن ذِكْرِ ربِّه، الناسي لأمر آخرته، إذا استويا في الذكاء والتحصيل!

وربَّما يُؤَيِّد هذا الظنَّ ما قد يلحظه بعضهم من جمودٍ وتزمتٍ في فريق من الحَرْفيِّين الَّذين ينسبون أنفسهم ـ أو ينسبهم النَّاس ـ إلى مدرسة ابن تيمية السلفيَّة.

وكيف يتصوَّر من هذا الإمام الَّذي قضى عمره كلَّه في رحاب كتاب الله تعالى، وفي ظلال سُنَّة رسول الله ﷺ، ومع هَدْي خير قرون هذه الأُمَّة، وأفضل أجيالها علمًا وعملًا وإيمانًا وتقوًى، وإخلاصًا وجهادًا في الله، أن يجحد أثر الإيمان والعبادة والمجاهدة في هداية الإنسان المؤمن التَّقِيِّ إلى الحقِّ والسَّداد، وهو يجد بين يديه الآيات والأحاديث والآثار تنطق بهذا المعنى بكلِّ بيان وجلاء؟!

وكيف يجحد ذلك أو يجهله وهو في حياته وسلوكه يُجَسِّد صورة مشرقة للعالم الربَّاني، الَّذي جعل علمه وعمله وصلاته ونسكه ومحياه ومماته لله ربِّ العالَمين، ففاضت الحكمة من قلبه على لسانه وقلمه، ومنحه الله من النور والفرقان ما لم يُمْنَح إلَّا للصفوة من أولياء الله تعالى؟

وكثيرًا ما ظلم شيخ الإسلام وأصحابه، ونسب إليهم من الأفكار والمفاهيم والاتِّجاهات ما لم يقولوا به، وما يُكَذِّبه تراثهم وسيرتهم العِلْميَّة والعمليَّة، وما ظُلِمُوا إلَّا بسبب هؤلاء المحجوبين المطموسين اليابسين، من زوامل النقل، وأسارى الرسم والشَّكْل، الَّذين شُغلوا

QaradawiBooks.com

بالظاهر عن الباطن، وبالصُّوَر عن الحقائق، الَّذين حُرِمُوا عمق الحاسَّة الرُّوحيَّة، ولم يُوَجِّهوا عنايتهم لأعمال القلوب، ومقامات الإيمان والإحسان، وتزكية الأنفس، ومجاهدتها في الله حتَّى يهديها سبله، ويذيقها حلاوة الإيمان.

وليس أدلَّ على منهج ابن تيمية وموقفه في هذه القضيَّة من نقل كلامه نفسه بنصِّه رضي الله عنه.

يقول فيما نقل في مجموع فتاواه ورسائله:

«القلب المعمور بالتقوى إذا رجَّح بمجرَّد رأيه فهو ترجيحٌ شرعي»، قال: «فمتى ما وقع عنده وحصل في قلبه ما يظنُّ معه أنَّ هذا الأمر أو هذا الكلام أرضى لله ورسوله، كان هذا ترجيحًا بدليلٍ شرعيٍّ، والَّذين أنكروا كون الإلهام ليس طريقًا إلى الحقائق مطلقًا أخطؤوا، فإذا اجتهد العبد في طاعة الله وتقواه كان ترجيحه لما رجح أقوى من كثيرٍ من الأقيسة الضعيفة والموهومة، والظواهر والاستصحابات الكثيرة، الَّتي يحتجُّ بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف وأصول الفقه.

وقد قال عمر بن الخطَّاب: «اقرُبوا من أفواه المُطِيعين، واسمعوا منهم ما يقولون؛ فإنَّهم تنجلي لهم أمورٌ صادقة»[1]. وحديث مكحول المرفوع: «**ما أخلص عبد العبادة لله تعالى أربعين يومًا إلَّا أجرى الله الحكمة على قلبه، وأنطق بها لسانه**». وفي رواية: «**إلَّا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[2]. وقال أبو سليمان الدَّارَاني: إنَّ القلوب إذا اجتمعت على

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢٠٨/١)، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٨٥)، عن مكحول مرسلًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التقوى جالت في الملكوت، ورجعت إلى أصحابها بطُرَف الفوائد، من غير أن يُؤدِّي إليها عالِم عِلْمًا[١].

وقد قال النبيُّ ﷺ: «**الصلاة نورٌ، والصدقة برهانٌ، والصبر ضياء**»[٢]، ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها؟ ولا سيَّما الأحاديث النبويَّة، فإنَّه يعرف ذلك معرفة تامَّة؛ لأنَّه قاصدٌ العملَ بها؛ فتتساعد في حقِّه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبَّة الله ورسوله، حتَّى إنَّ المُحِبَّ يعرف من فحوى كلام محبوبه مرادَه منه تلويحًا لا تصريحًا:

وَالْعَيْنُ تَعْرِفُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِها ... إن كان من حِزْبِها أو من أَعَادِيها[٣]

إنارةُ العقلِ مُكْسُوفٌ بطَوْعِ هَوًى ... وعقلُ عاصي الهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا[٤]

وفي الحديث الصحيح: «**لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورجله الَّتي يمشي بها**»[٥].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤/١٠) بنحوه، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري، وهو من أحاديث الأربعين النووية.

(٣) البيت ذكره الماوردي وقال: وأنشدني بعض أهل الأدب هذه الأبيات، وذكر أنَّها لعلي بن أبي طالب. انظر: أدب الدنيا والدين صـ ٢٦، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، وهو في الديوان المنسوب إليه ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صـ ٢٠٧، جمع عبد العزيز الكرم، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٤) ذكره ابن مالك ولم ينسبه في شرح التسهيل (٢٣٨/٢)، تحقيق د. عبد الرحمٰن السيد ود. محمد بدوي المختون، نشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٥) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرةٍ نافذةٍ ونفس فعَّالة؟ وإذا كان الإثم والبرُّ في صدور الخلق له تردُّد وجَوَلان، فكيف حالُ مَنْ اللهُ سَمْعُه وبصرُه وهو في قلبه؟ وقد قال ابن مسعود: «الإثم حوازُّ القلوب»[١]. وقد قدَّمنا أنَّ الكذب رِيبَة والصدق طمأنينة، فالحديث الصدق تطمئنُّ إليه النفس، ويطمئنُّ إليه القلب.

وأيضا فإنَّ الله فطر عباده على الحقِّ، فإذا لم تَسْتَحِلِ الفطرةُ شاهدت الأشياء على ما هي عليه، فأنكرت مُنْكَرها، وعرفت معروفَها. قال عمر: الحقُّ أبلج، لا يخفى على فَطِنٍ.

فإذا كانت الفطرة مستقيمة على الحقيقة، مُنَوَّرة بنور القرآن، تجلَّت لها الأشياء على ما هي عليه في تلك المزايا، وانتفت عنها ظلمات الجهالات، فرأت الأمور عِيَانًا مع غَيْبِها عن غيرها.

وفي «السنن» و«المسند» وغيره عن النوَّاس بن سَمْعَانَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جَنْبَتَي الصِّراط سُوران، وفي السُّورَيْن أبوابٌ مُفَتَّحة، وعلى الأبواب سُتُور مُرْخاة، وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداعٍ يدعو من فوقِ الصِّراط، والصِّراطُ المستقيم هو الإسلام، والسُّتُور المرخاةُ حدودُ الله، والأبواب المُفَتَّحة محارمُ الله، فإذا أراد العبد أنْ يفتح بابًا من تلك الأبواب ناداه المنادي: يا عبدَ الله، لا تفتحه، فإنَّك إن فتحته تَلِجه، والداعي على رأس الصراط كتابُ الله، والداعي فوق الصراط واعظُ الله في قلب كلِّ مؤمن**»[٢]. فقد بيَّن في هذا

(١) رواه الطبراني (١٤٩/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١٩): رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (١٧٦٣٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الأمثال (٢٨٥٩)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في السهو (١١١٦٩).

QaradawiBooks.com

الحديث العظيم ـ الَّذي من عرفه انتفع به انتفاعًا بالغًا إن ساعده التوفيق، واستغنى به عن علومٍ كثيرة ـ أنَّ في قلب كلِّ مؤمن واعظًا، والوعظُ هو الأمر والنهي، والترغيب والترهيب.

وإذا كان القلب معمورًا بالتقوى انجلت له الأمور وانكشفت، بخلاف القلب الخراب المظلم، قال حذيفة بن اليَمَان: «إنَّ في قلب المؤمن سراجًا يُزْهِر»[1]، وفي الحديث الصحيح: «**إنَّ الدجَّال مكتوبٌ بين عَيْنَيْه كافر، يقرؤه كلُّ مؤمن، قارئ وغير قارئ**»[2]. فدلَّ على أنَّ المؤمن يتبيَّن له ما لا يتبيَّن لغيره، ولا سيَّما في الفتن، وينكشف له حال الكذَّاب الواضع على الله ورسوله، فإنَّ الدجال أكذب خلق الله، مع أنَّ الله يُجْري على يديه أمورًا هائلةً، ومخاريقَ مُزَلزلة، حتَّى إنَّ من رآه افتُتِنَ به، فيكشفها الله للمؤمنِ حتَّى يعتقد كذبَها وبطلانها.

وكلَّما قَوِي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها، وكلَّما ضعف الإيمان ضعف الكشف، وذلك مثل السِّراج القويِّ والسِّراج الضعيف في البيت المظلم، ولهذا قال بعض السلف في قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، قال: هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحقِّ، وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع فيها بالأثر كان نورًا على نور. فالإيمان الَّذي في قلب المؤمن يُطابق نور القرآن، فالإلهام القلبي تارة يكون من جنس القول والعلم، والظنَّ أنَّ هذا القول كذب، وأنَّ هذا العمل باطل، وهذا أرجح من هذا، أو هذا أصوب.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣١٠٤٣).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٣٤)، وأحمد (٢٣٢٧٩)، وفيه: «كاتب وغير كاتب» بدل «قارئ وغير قارئ»، عن حذيفة.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في أُمَّتي منهم أحدٌ فعُمَر**»(١). والمُحَدَّث: هو المُلْهَم المُخَاطَب في سِـرِّه، وما قال عمرُ لشـيءٍ: إنِّي لأظنه كذا وكذا؛ إلَّا كان كما ظنَّ، وكانوا يرون أنَّ السكينة تنطق على قلبه ولسانه.

وأيضًا فـإذا كانت الأمور الكونيَّة قد تنكشـف للعبـد المؤمن لقوَّة إيمانه يقينًا وظنًّا، فالأمور الدينيَّة كشفها له أيسر بطريق الأولى، فإنَّه إلى كشـفها أحوج، فالمؤمن تقع في قلبه أدلَّة على الأشياء لا يمكنه التعبير عنها في الغالب، فإنَّ كلَّ أحد لا يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه، فإذا تكلَّم الكاذب بين يدي الصادق عرف كذبه مـن فحوى كلامه، فتدخل عليه نخوة الحيـاء الإيماني فتمنعه البيان، ولكن هو في نفسـه قد أخذ حذره منه، وربَّما لوَّح أو صرَّح به خوفًا من الله، وشـفقة على خلق الله، ليحذروا من روايته أو العمل به.

وكثير من أهل الإيمان والكَشْف يُلْقي الله في قلبه أنَّ هذا الطعام حرام، وأنَّ هـذا الرجل كافر، أو فاسـق، أو دَيُّـوث، أو لُوطي، أو خمَّار، أو مغـنٍّ، أو كاذب، من غير دليلٍ ظاهر، بل بما يُلقي الله في قلبه.

وكذلك بالعكس، يُلقي في قلبه محبَّةً لشخص، وأنَّه من أولياء الله، وأنَّ هذا الرجل صالـح، وهذا الطعام حلال، وهـذا القول صدق، فهذا وأمثاله لا يجوز أن يُسْتَبْعَد في حقِّ أولياء الله المؤمنين المتَّقين.

وقصَّة الخَضِر مع موسـى هي من هذا الباب، وأنَّ الخَضِر علم هذه

(١) سبق تخريجه صـ١٥.

QaradawiBooks.com

الأحوال المعيَّنة بما أطلعه الله عليه، وهذا باب واسع يطول بسطُه، قد نبَّهنا فيه على نُكَتٍ شريفة تُطْلِعُكَ على ما وراءها»[١] اهـ.

وما قاله شيخ الإسلام هنا أكَّده وأيَّده تلميذه المُحقِّق الإمام ابن القَيِّم ـ رحمهما الله ـ في عددٍ من كتبه، وخصوصًا في كتابه الشهير «مدارج السالكين».

• شرط الاعتبار بالكشف والإلهام والرؤيا:

كما لا نزاع في الإلهام والكشف في باب الكرامات والخوارق الَّتي يكرم الله بها بعض أوليائه المُتَّقين، فيُقَرِّب لهم البعيد، أو يُكَثِّر على أيديهم القليل، أو يكشف لهم بعض المستور من غيوب المستقبل، أو مكنونات الصدور، أو خفايا الأمور، أو يُذَلِّل لهم بعض الصعاب، بغير الطريق المعتاد، إلى غير ذلك ممَّا كثرت فيه الحكايات، وتناقلته الروايات، ممَّا لا يخلو بعضه من صحَّة وثبوت، وما لا يسلم بعضه أيضًا من مبالغةٍ أو اختلاق.

ولكن المبدأ مُسَلَّم به وبنتائجه بشرطه، وهو ألَّا يخرم قاعدة دينيَّة ثابتة، ولا حكمًا شرعيًّا مُتَّفَقًا عليه.

وهو ما بيَّنه وفصَّله بأدلَّته وأمثلته الإمام الشاطبي في كتاب «المقاصد» من «الموافقات»، فلْيرجعْ إليه.

فقد بيَّن أن ما يخرم قاعدة شرعيَّة، أو حكمًا شرعيًّا ليس بحقٍّ في نفسه، بل هو إمَّا خيال، أو وهم، وإمَّا من إلقاء الشَّيْطان، وقد يخالطه

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٤٢ ـ ٤٧)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ما هو حقٌّ، وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصلح اعتباره، من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع، فإنَّ التشريع الَّذي جاء به رسول الله ﷺ عامٌّ لا خاصٌّ، لا ينخرم أصلُه، ولا ينكسر له اطِّراد، ولا يستثنى من الدخول تحت حكمه مُكلَّف.

وإذا كان كذلك فكلُّ ما جاء من هذا القبيل الَّذي نحن بصدده مضادًّا لما تمهَّد في الشريعة، فهو فاسدٌ باطل.

قال الشاطبي: «ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكمٍ شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر، فرأى الحاكم في منامه أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «لا تحكم بهذه الشهادة؛ فإنَّها باطل»، فمثل هذا من الرؤيا لا مُعْتَبَرٌ بها في أمرٍ ولا نهي، ولا بشارة ولا نذارة؛ لأنَّها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة، وكذلك سائر ما يأتي من هذا النوع، وما روي أنَّ أبا بكر رضي الله عنه أنفذ وصيَّة رجلٍ بعد موته برؤيا رُؤِيَت[1]، فهي قضيَّة عينٍ لا تقدح في القواعد الكُلِّيَّة لاحتمالها، فلعلَّ الورثة رضوا بذلك، فلا يلزم منها خَرْمُ أصلٍ.

وعلى هذا لو حصلت له مكاشفة بأنَّ هذا الماء المُعَيَّن مغصوب أو نَجِسٌ أو أنَّ هذا الشاهد كاذب، أو أنَّ المال لزيد وقد تحصَّل بالحُجَّة لعمرو، أو ما أشبه ذلك فلا يصحُّ له العمل على وفق ذلك ما لم يتعيَّن سبب ظاهر، فلا يجوز له الانتقال إلى التيمم، ولا ترك قبول الشاهد، ولا الشهادة[2] بالمال لزيد على حال، فإنَّ الظواهر قد تعيَّن فيها بحكم

(١) رواه الطبراني (٧٠/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧٨٤): رواه الطبراني، وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر أنَّ بنت ثابت بن قيس صحابية؛ فإنها قالت: سمعت أبي، والله أعلم.

(٢) لعلها: ولا الحكم.

QaradawiBooks.com

الشـــريعة أمر آخر، فلا يتركها اعتمادًا على مجرَّد المكاشفة أو الفِراسة، كما لا يعتمد فيها على الرؤيا النوميَّة، ولو جاز ذلك لجاز نقض الأحكام بها، وإن ترتَّبت فـــي الظاهر مُوجِباتها، وهذا غيـــر صحيحٍ بحال. فكذا ما نحن فيه.

وقد جاء في الصحيح: «**إنَّكـــم تختصمون إليَّ، ولعـــلَّ بعضَكم أنْ يكون ألحن بحُجَّته مـــن بعض، فأحكمَ له على نحو ما أســـمع منه...**» الحديث[1]، فقيَّد الحكم بمقتضى ما يسمع وترك ما وراء ذلك، وقد كان كثير من الأحكام الَّتي تجـــري على يديه يطلع على أصلها، وما فيها من حقٍّ وباطل، ولكنَّه ﷺ لم يحكم إلَّا على وَفْق ما ســـمع، لا على وَفْق ما علم، وهو أصلٌ في منع الحاكم أن يحكم بعلمه»[2] اهـ.

وقد كان ﷺ يعلم من دخائـــل المنافقين وبواطـــن كفرهم ما يعلم، ولكنَّه لم يعاملهم وَفقًا لما كشف الله له من بواطنهم، بل عاملهم حسَب ظواهرهم، وأجرى عليهم أحكام الإسلام، ومنحهم حقوق المسلمين في الحياة وبعد الممات.

وبهـــذا ردٌّ على من أراد مـــن الصحابـــة أنْ يعاملهم معاملـــة الكفار المجاهرين، فقال: «**أخشى أنْ يتحدَّث النَّاس أنَّ محمدًا يقتل أصحابَه**»[3]!

وهكذا أمرنـــا أن نحكم بالظاهر، والله يتولَّى الســـرائر، ولم نؤمر أن نشقَّ عن قلوب الناس.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٠)، ومسلم في الأقضية (١٧١٣)، عن أم سلمة.

(٢) الموافقات للشاطبي (٢٦٦/٢ ـ ٢٦٨)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

• **في هذه الأمور يتحدَّد النزاع:**

إذا كانت المدرسة السلفيَّة ـ وعلى رأسها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم ـ لا ترفض الكشف الصحيح، والفِراسة الصادقة، والرؤيا الصالحة، وكان هذا موقف الربَّانيِّين الراسخين من علماء الأُمَّة كالشاطبي وغيره، فأين يكون موضع النزاع بين المُتَصوِّفة وغيرهم؟

نستطيع أن نُحدِّد مواضع النزاع في ستَّة أمور:

١ ـ زعمهم أنَّ إلهامَهم أو كشْفَهم دليلٌ شرعي، يؤخذ منه الحكم بالحلِّ أو الحرمة أو الكراهة أو الوجوب، أو الاستحباب.

بل قد يجعلون إلهامهم حُجَّة على الشرع نفسه، فإذا حرَّم الشرع وحلَّل إلهامهم أو العكس؛ فإنَّ إلهامهم هو الحُجَّة المعتمدة، والدليل المُرجِّح.

٢ ـ ومعنى هذا أنَّهم يُضفون على إلهاماتهم وكشوفهم العصمة والقداسة، فهي الصواب الَّذي لا يحتمل الخطأ بحال، على خلاف أقوال الأئمَّة المجتهدين الَّتي تحتمل الخطأ والصواب.

٣ ـ تحقيرهم للعلم الشرعي: علم الكتاب والحديث والفقه وغيرها، الَّذي اعتُبر طلبه فريضةً على كلِّ مسلم ومسلمة، وادعاؤهم أنَّهم لا حاجة لهم إلى أخذ العلم من أسبابه ووسائطه النقليَّة، فهم يأخذونه مباشرة عن الله تعالى: «حدَّثني قلبي عن ربِّي».

٤ ـ تفرقتهم بين «الشريعة» و«الحقيقة»، أو بين «العلم» الَّذي يأتي به «النصُّ» و«المعرفة» الَّتي يأتي بها «الكشف»، واعتبار الأولى من نصيب العوامِّ، والأخرى من حظِّ الخواصِّ.

QaradawiBooks.com

٥ ـ اعتبارهم الكشف هو غاية الغايات الَّتي يسعون إليها، ويحرصون عليها كأنَّما أصبحت عبادتهم ومجاهدتهم ابتغاء الكشفِ، لا ابتغاء وجه الله.

٦ ـ اتِّخاذهم إلى هذا الكشف طرقًا مبتدعة لم يجئ بها كتابٌ ولا سُنَّة، ولا عمل بها سلف الأُمَّة.

ويمكن إدماج الأمرين الخامس والسادس، فتكون المواضع خمسة.

وسنُفَصِّل القول في هذه الأمور الستَّة ـ أو الخمسة ـ في المباحث التالية.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

١

دعوى حُجِّيَّة الإلهام في الأحكام الشرعيَّة

• حجج المُحَقِّقين من أهل السُّنَّة:

ذكرنا أنَّ رأي جمهور علماء الأُمَّة: أنَّ الإلهام لا يجوز العمل به إلَّا عند فقد الحجج كلِّها في باب المباح.

١ ـ قال الإمام الدَّبُوسي: وحُجَّة أهل السُّنَّة ـ يعني في عدم الاستدلال بالإلهام في الأحكام ـ الآيات والنصوص الدالَّة على اعتبار الحُجَّة. يعني مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وغيرها.

قال: والحثُّ على التَّفَكُّر في الآيات، والاعتبار، والنظر في الأدلَّة، وذمِّ الأماني، والهواجس والظنون، وهي كثيرةٌ مشهورة.

٢ ـ وأضاف إلى ذلك: بأنَّ الخاطر قد يكون من الله، وقد يكون من الشَّيْطان، وقد يكون من النفس، وكلُّ شيء احتمل ألَّا يكون حقًّا لم يوصف بأنَّه حقٌّ[١].

(١) نقله في فتح الباري (٣٨٨/١٢).

نسخة مجانية

٣ ـ وممَّا يُؤيِّد ذلك ما جاء في الحديث المشـــهور: «**إنَّ للمَلَك لمَّة بقلب ابن آدم، وللشيطان لمَّة**»[١]، فكيف يستطيع غير المعصوم أنْ يميِّز بين لمَّة المَلَك ولمَّة الشَّيْطان؟

وفرَّق بعضهم بينهما: بـــأنَّ الخاطر الَّذي يكون من الحقِّ يســـتقرُّ ولا يضطرب، والَّذي يكون من الشَّـــيْطان يضطرب ولا يستقرُّ، ولكن هذه التفرقة نفســـها تحتـــاج إلى دليلٍ شـــرعي، فالأولـــى ما قاله ابن السَّمْعاني[٢]: إنَّ كلَّ ما استقام على الشـــريعة المُحَمَّديَّة، ولم يكن في الكتاب والسُّـــنَّة ما يردُّه، فهـــو مقبول، وإلَّا فمـــردود، يقع من حديث النفس، ووسوسة الشَّيْطان.

ثُمَّ قال: ونحـــن لا ننكر أنَّ الله يكرم عبده بزيادة نـــورٍ منه، يزداد به نظره، ويقوى به رأيه، وإنَّما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله، ولا نزعم أنَّه حُجَّة شـــرعيَّة، وإنَّما هو نورٌ يختص الله به من يشـــاء من عباده، فإنْ وافق الشرع كان الشرع هو الحُجَّة[٣] اهـ.

وأضاف العلَّامة الفَنَاري الحنفي في كتابه «فصول البدائع» في أصول الفقه أربعة أوجه في إبطال حُجِّيَّة الإلهام:

أوَّلًا: أنَّه مُعَارَض بالمثل. بمعنى: أن يحتـــجَّ زيد بإلهامه، فيعارضه عمرٌو بإلهامٍ مثله، ولا مَزِيَّة لأحدهما على الآخر.

---

(١) رواه الترمذي في التفسير (٢٩٨٨)، وقال: حســـن غريب. والنسائي في الكبرى في التفسير (١٠٩٨٥)، وابن حبان في الرقائق (٩٩٧)، وقال الألباني في المشـــكاة (٧٤) التحقيق الثاني: صحيح لغيره. عن ابن مسعود.

(٢) قواطع الأدلة في الأصول (٣٥٢/٢)، شرح محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٩م.

(٣) فتح الباري (٣٨٩/١٢).

QaradawiBooks.com

ثانيًا: أنَّه ملتبس بالهواجس والوساوس، فلا يتبع إلَّا إذا كان على وفق الحجج الشرعيَّة، كيف وإذا وجب ردُّ الحديث المخالف لكتاب الله فردُّ غيره أولى!

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ونحوه. أي: من الآيات الَّتي تدعو إلى طلب البرهان، وتحثُّ على النظر والتدبر، وترفض تقليد الآباء، وطاعة الكبراء ونحوها.

رابعًا: دلالة الإجماع على عدم جواز ـ قبول ـ قول الرسول ـ أي رسول ـ إلَّا بعد إظهار المعجزة، وإلَّا لاشتبه النبيُّ بالمُتَنَبِّئ، وقبول المُتَنَبِّئ كفر[1] اهـ.

• شبهات القائلين بحُجِّيَّة الإلهام في الأحكام الشرعيَّة:

ذكر الدَّبُوسي عن بعض المبتدعة أنَّ الإلهام حُجَّة في الشَّرع، وكذلك نقل صاحب «فصول البدائع في أصول الشرائع»، والزركشي في «البحر»، والشَّوْكاني في «إرشاد الفحول»، وغيرهم.

ومجمل ما استند إليه هؤلاء المبتدعة ما يأتي:

١ ـ أنَّ الله تعالى يقول: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٨]، فبيَّن أنَّ النفوس مُلْهَمة.

٢ ـ ويقول: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [النحل: ٦٨]، أي: ألهمها حتَّى عرفت مصالحها، فيؤخذ منه مثل ذلك للآدمي بطريق الأولى.

---

(١) فصول البدائع في أصول الشرائع للعلَّامة الفناري (٤٤٥/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

٣ ـ ما جاء في الحديث الَّـذي رواه الترمذي وغيره: «**اتَّقوا فِراسة المؤمن، فإنَّه ينظر بنور الله**»[١]، ومن ينظر بنور الله لا يخطئ ولا يَضِلُّ.

٤ ـ قوله ﷺ لوابِصة: «**استفتِ قلبَكَ وإنْ أفتاك النَّاس وأفْتَوْك**»[٢]، فجعل شهادة قلبه حُجَّة مُقدَّمة على الفتوى.

٥ ـ حديث: «**قد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون**»[٣]، والمُحَدَّث كما هو معلوم: الَّذي يُحَدَّث في سِرِّه وقلبه بالشيء، فيكون كما حُدِّث به، وقد يكون ذلك بخطابٍ من الملأ الأعلى، يسمع فيه صوتًا أو لا يسمع، أو بصورة يراها بعين بصره أو قلبه، أو يكون إعلامًا من الله له بلا واسطة، فينكشف له المجهول، ويتجلَّى له المُغَيَّب والمستور، تكريمًا من الله لأوليائه وأصفيائه، كما كرَّم أنبياءه بالوحي والمعجزة.

٦ ـ القياس على الرؤيا الصادقة، وبخاصَّة رؤيا الرسول ﷺ، فقد أخذ بعضهم من حديث: «**إنَّ الشَّيْطان لا يتمثل بي**»[٤]، أنَّ من تمثَّلت صورته ﷺ في خاطره من أرباب القلوب، وتصوَّرت له في عالم سرِّه: أنَّه يخاطبه ويكلمه، فإنَّ ذلك يكون حقًّا، بل ذلك أصدق من مرأى غيرهم، لما منَّ الله به عليهم من تنوير قلوبهم[٥].

---

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣١٢٧)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٧٨٤٣)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٨٢١)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في البيوع (٢٥٣٣)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨٣)، وحسَّنه النووي في الأربعين، الحديث السابع والعشرون، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤): حسن لغيره. عن وابصة بن معبد.

(٣) سبق تخريجه صـ١٥.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في التعبير (٦٩٩٣)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦٦)، عن أبي هريرة.

(٥) فتح الباري (٣٨٨/١٢).

QaradawiBooks.com

٧ ـ قصَّة العبد الصالح الَّذي ذكره الله في سورة الكهف، والمعروف باسم الخَضِر عليه السلام، مع كليم الله موسى، أحد أولي العزم من الرسل، وقد أمره الله تعالى أن يتَّبع الخضر في إلهاماته، وإن خالفت ظاهر الشرع، وقد اعترض عليه موسى في مواقف ثلاثة لا يتَّفق تصرُّفه فيها مع أحكام الشريعة الظاهرة، وكان الحقُّ مع الخضر في المسائل الثلاث، كما بيَّن ذلك القرآن الكريم، وذلك أنَّ موسى كان معه علم الظاهر، وكان مع الخَضِر علم الباطن، وهو «علم لَدُنِّي» يُعَلِّمه الله من يشاء من عباده، كما قال تعالى عن الخَضِر: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

• الردُّ على هذه الشبهات:

ولا حُجَّة في شيء ممَّا استند إليه هؤلاء:

١ ـ أمَّا آية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ فلها معنيان:

الأوَّل: أنَّ الاستعداد للفجور والتقوى أمرٌ ذكره الله في الفطرة، فالإنسان قد خُلِقَ مُزَوَّدًا باستعدادات متساوية للخير والشرِّ، والهُدى والضَّلال، بحكم ازدواج طبيعته وخلقه من طين الأرض ونفخة الرُّوح.

والثاني: أنَّ معنى «ألهمها» بيَّن لها، وعرفها إيَّاهما، بحيث تُمَيِّز رُشْدَها من ضلالها، كما جاء ذلك عن مُفَسِّري السلف[1]، والآية على ذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

على أنَّ الإلهام في الآية إلهامٌ عامٌّ لكلِّ نفس، والإلهام الَّذي

(١) انظر: روح المعاني (٣٦٠/١٥)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

يحتجُّون به وله إلهامٌ خاصٌّ بأرباب القلوب، كما يقولون، فلا دليل في الآية، ولا شبه دليل.

٢ ـ وأمَّا آية: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ فإنَّ الله يُلهم كلَّ كائنٍ حيٍّ ما تقوم به حياته، وما يهتدي به إلى بقائه وحاجته كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

وقد ألهم الله تعالى الدوابَّ والطيور والحشرات، ما تُدَبِّر به أمرَ نَفْسِها ونوعها، وهذا من دلائل ربوبيَّته سبحانه لكلِّ شيء، والإنسان لم يحرم هذا النوع من الهداية والإلهام، وإلَّا فمن ألهم الطفل ـ منذ يولد ـ كيف يلتقم ثدي أُمِّه؟ ومن علمه كيف يزرع ويصنع، وكيف يستفيد من تجارب غيره؟ فأمَّا الاستدلال بالآية على أنَّ بعض النَّاس يلهم ويحدَّث بحيث يعدُّ إلهامه حُجَّة في الشرع، فلا.

٣ ـ وأمَّا حديث: «**اتَّقوا فِراسة المؤمن، فإنَّه ينظر بنور الله**»[1]، فهو لم يصل إلى درجة الصحَّة الَّتي يُحْتَجُّ بها، وعلى التسليم بصحَّته، فمعنى أنَّه ينظر بنور الله: صدق نظره في النَّاس والحوادث، فهو قد يرى شخصًا لأوَّل مرَّة فيشكُّ فيه، ويظهر ذلك صحيحًا، وتُصَدِّق الوقائع نظرَه.

وقد قال أحد الأعراب: إنِّي إذا نظرت إلى الرجل من قفاه عرفتُ خُلُقَه.

قيل له: فإذا رأيتَ وجهَه؟

قال: ذاك كتاب أقرؤه!

فهذه فِراسة فطريَّة، وهناك فِراسة تكتسب بالتعلم والتحصيل، كما نقلنا ذلك من قبل عن الراغب الأصفهاني.

(١) سبق تخريجه صـ٤٥.

QaradawiBooks.com

على أنَّا لا ننكر أنَّ للإيمـــان والعبادة والتقوى والمجاهدة آثارها في جلاء مرآة النَّفْس، وصدق فِرَاستها وحَدْسها، فهذا ما قامت عليه الأدلَّة، وما نقلنا تأييـــده عن ابن تيميـــة، وينبغي أنْ يكون موضـــع اتِّفاق، إنَّما الخلاف في الاحتجاج بالفِراسة ونحوها على الأحكام الشرعيَّة.

• حديث: «استفتِ قلبَكَ وإن أفتاك المفتون»:

٤ ـ وأمَّا حديث وابِصة: «**استفتِ قلبك وإنْ أفتاك المفتون**»[(١)]، وما في معناه[(٢)]، والاســـتدلال به على أنَّ فتوى القلب مقدمة على فتوى المفتي بحكم الشرع، فهو استدلال مردود، وتحريف للكلم عن مواضعه.

أوَّلًا: لأنَّ الحديث ـ كما نقل المُنَاوي عن حُجَّة الإسلام ـ لم يَرُدَّ كلَّ أحد لفتوى نفسه، وإنَّما ذلك لوابِصة في واقعة تخصُّه[(٣)].

أي: إنَّ الحديث لم يجئ بلفظٍ عـــامٍّ، بحيث تؤخذ منه قاعدة عامَّة، بل جاء في واقعة مُعَيَّنة لشخصٍ مُعَيَّن، ووقائع الأعيان لا عموم لها، كما هو مُقَرَّر في الأصول.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٥.

(٢) مثل حديث أبي ثعلبة الخشني قلت: يا رسول الله، أخبرني ما يحل لي وما يحرم عليَّ؟ فقال: «البرُّ ما سكنت إليه النفس واطمأنَّ إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإنْ أفتـــاك المفتون». رواه أحمـــد (١٧٧٤٢)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح. والطبراني (٣١٩/٢٢)، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨٤).
ومثل حديث أبي أمامة قال: قال رجل: يا رســـول الله، ما الإثم؟ قال: «إذا حاك في صدرك شيء فدعه». قال ابن رجب: رواه أحمد (٢٢١٩٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن حبان في الإيمان (١٧٦)، وإسناده جيد على شرط مسلم. وأقوى من ذلك كله: حديث النواس بن سمعان، عند مسلم في البر والصلة (٢٥٥٣)، وفيه: «والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أنْ يطلع عليه الناس».

(٣) فيض القدير للمناوي (٤٩٥/١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: على فرض العموم، فموضع هذا فيما لا نصَّ فيه ولا حُجَّة شرعيَّة، وإلَّا وجب اتِّباع الشرع، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فكيف يوجب الله تعالى سؤالهم ثمَّ نترك أجوبتهم وفتاواهم إلى فتاوى قلوبِنا؟

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يقلْ: ردُّوه إلى خواطركم وأحاديثِ قلوبِكم.

ثالثًا: أنَّ المُفتي يبني فتواه على ظاهر الحال كما يعرضه له السائل، وقد يكون هناك أمور خفيَّة لا يطلع عليها، لعلَّه لو عرفها لغيَّر فتواه، والمستفتي هو الَّذي يعرفها، ولذلك تظلُّ نفسه قلقة غير مطمئنة بما أُلْقِي إليه من فتوى، ففتوى المفتي هنا مثل قضاء القاضي الَّذي يحكم بالظاهر، ويقضي على نحو ما يسمع، ولكنَّه لا يجعل الحرام حلالًا لمن استقضاه إذا كان ألحنَ بحُجَّته من خَصْمه صاحب الحقِّ.

وبهذا يكون الاستدلال بالحديث على حُجِّيَّة الخواطر والإلهامات في مواجهة أدلَّة الشرع استدلالًا باطلًا.

يقول العلَّامة ابن رجب الحنبلي في شرح حديث وابِصة: «**استفتِ قلبك**»:

«فدلَّ حديثُ وابِصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه، فما سكن إليه القلب، وانشرح إليه الصدر، فهو البرُّ والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام، وقوله في حديث النَّواس بن سمعان: «**الإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطَّلع عليه النَّاس**»[1]، إشارة

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥٣)، وأحمد (١٧٦٣١)، عن النواس بن سمعان.

QaradawiBooks.com

إلى أنَّ الإثم ما أثَّر في الصدر حرجًا وضيقًا وقلقًا واضطرابًا، فلم ينشرح له الصدر، ومع هذا فهو عند النَّاس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطِّلاعهم عليه، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه، وهو ما استنكره النَّاس على فاعله وغير فاعله، ومن هذا المعنى قول ابن مسعود رضي الله عنه: ما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحًا فهو عند الله قبيح[(١)].

وقوله في حديث وابِصة وأبي ثَعْلَبة: «**وإنْ أفتاك المفتون**» يعني: أنَّ ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم، وإنْ أفتاه غيره بأنَّه ليس بإثم، فهذه مرتبة ثانية، وهو أنْ يكون الشيء مستنكرًا عند فاعله دون غيره، وقد جعله أيضًا إثمًا، وهذا إنَّما يكون إذا كان صاحبه ممَّن شُرح صدره للإيمان، وكان المفتي يفتي له بمجرَّد ظنٍّ أو ميلٍ إلى هوى، من غير دليلٍ شرعيٍّ، فأمَّا ما كان مع المفتي به دليلٌ شرعيٌّ فالواجب على المستفتي الرجوع إليه، وإن لم ينشرح له صدرُه، وهذا كالرخص الشرعيَّة مثل الفِطْر في السفر والمرض، وقصر الصلاة في السفر، ونحو ذلك، ممَّا لا ينشرح به صدورُ كثير من الجهَّال، فهذا لا عِبْرة به.

وقد كان النبيُّ ﷺ أحيانًا يأمر أصحابه بما لا تنشرح به صدور بعضهم، فيمتنعون من فعله، فيغضب من ذلك، كما أمرهم بفسخ الحجِّ إلى العمرة[(٢)]، فكرهه من كره منهم، وكما أمرهم بنحر هديهم والتحلُّل من عمرة الحُدَيْبِيَة،

---

(١) رواه أحمد (٣٦٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والطبراني (١١٢/٩)، والأوسط (٣٦٠٢)، والحاكم في معرفة الصحابة (٧٨/٣، ٧٩)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣٢): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٢) روى ذلك عنه ﷺ أربعة عشر من أصحابه، ذكرهم في زاد المعاد وخرَّج أحاديثهم محقِّقه رحمه الله فانظره (١٧٨/٢ ـ ١٨٦)، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

فكرهوه، وكرهوا مفاوضته لقريشٍ على أن يرجع من عامِهِ، وعلى أنَّ مَنْ أتاه منهم يردُّه إليهم[١].

وفي الجملة: فما ورد النصُّ به فليس للمؤمن إلَّا طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وينبغي أن يتلقَّى ذلك بانشراح الصدر والرضا، فإنَّ ما شرعه الله ورسوله يجب الإيمان والرضا به والتسليم له، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأمَّا ما ليس فيه نص من الله ولا رسوله، ولا عمَّن يُقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأُمَّة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئنِّ قلبُه بالإيمان، والمُنْشَرِحِ صدرُه بنور المعرفة واليقين منه شيء، وحاك في صدره بشبهةٍ موجودة، ولم يجد من يفتي فيه بالرخصة، إلَّا من يخبر عن رأيه، وهو ممَّن لا يوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتِّباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن إلى ما حاك في صدره، وإنْ أفتاه هؤلاء المفتون، وقد نصَّ الإمام أحمدُ على مثل هذا أيضًا»[٢] اهـ.

والخلاصة: أنَّ استفتاء القلب إنَّما يطلب حيث لا يوجد مفتٍ ثقة يستند إلى دليلٍ شرعيٍّ مُعْتَبَر، يثق المسلم بعلمه ودِينه معًا.

وأضاف العلَّامة الشَّوْكاني معنى آخر في حديث: «**استفتِ قلبَكَ**»، وهو: أنَّ ذلك في الواقعة الَّتي تتعارض فيها الأدلَّة[٣].

(١) انظر الخبر مطولًا في صحيح البخاري في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٠١/٢ ـ ١٠٣)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٣) إرشاد الفحول (٢٠٠/٢).

QaradawiBooks.com

ومعنى هــذا أنَّ الأدلَّة حين تتعارض ولا يوجــد مرجِّح واضحٌ يُرجِّح أحدها على الآخر؛ يكون قلب المؤمن وما يفتي به مرجِّحًا من المُرَجِّحات.

أقول: ومثله تعارض أجوبة أهل الفتوى بالنسبة للعامِّي المُقَلِّد، ولم يكن لديه مرجِّح لأحدهم على الآخر أو الآخرين، فينبغي أنْ يرجع إلى من يطمئنُّ إليه قلبه.

ولكن متى يؤخذ فتوى القلب؟ في الإباحة أم التحريم أو فيهما معًا؟

هنا يقول الإمام الغزالي: واستفتاء القلب إنَّما هو حيث أباح المفتي، أمَّا حيث حرم فيجب الامتناع.

وهذا مقبولٌ إذا كان تحريم المفتي بدليلٍ مُقْنِع.

ولكنْ أيُّ قلبٍ يُعْتَمَدُ عليه في الفتوى؟

هنا يذكر الإمــام الغزالي أنَّه لا يعــول على كلِّ قلب، فــرُبَّ قلبٍ مُوسوس ينفي كلَّ شيء، وربَّ متســاهلٍ يطير إلى كلِّ شيء، فلا اعتبار بهذين القلبين، وإنَّما الاعتبار بقلب العالم الموفق لدقائق الأحوال، فهو المحكُّ الَّذي يَمْتحِنُ به حقائق الأمور، وما أعزَّ هذا القلب[1]!

- **حديث: «لقد كان فيمن قبلكم محدَّثون»:**

٥ ـ وأمَّا حديث: «**لقد كان فيمن قبلكم مُحَدَّثون، فإنْ يكنْ في أُمَّتي منهم أحد فعُمَر بن الخطاب**». فهــو حديثٌ صحيحٌ مُتَّفَق عليه[2]، ولكن لا دليل فيه على الدَّعوى.

(١) إرشاد الفحول (٢٠١/٢)، انظر: إحياء علوم الدين (١١٨/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٩)، عن أبي هريرة، ورواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ولا بدَّ من وقفة عند نصِّ الحديث، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جزم بأنَّهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلَّق وجودهم في هذه الأُمَّة بـ «إنْ» الشَّرْطيَّة، مع أنَّها أفضل الأمم؛ لاحتياج الأمم قبلنا إليهم، واستغناء هذه الأُمَّة عنهم بكمال نبيِّها ورسالته، فلم يحوج الله الأُمَّة بعده إلى محدَّث ولا مُلْهَم، ولا صاحب كشفٍ ولا منام، فهذا التعليق لكمال الأُمَّة، واستغنائها لا لنقصها»[1].

والحديث ليس فيه أي دليل على أنَّ المُحَدَّث أو المُلْهَم يعمل بحديث قلبه في مواجهةِ شرع ربه، ولو فعل لكان محدَّثًا من الشَّيْطان لا من الرحمٰن.

قال الإمام ابن تيمية فيما نقله عنه تلميذه ابن القَيِّم: «وأمَّا ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: «حدَّثني قلبي عن ربِّي»، فصحيحٌ أنَّ قلبه حدَّثه ولكن عمَّن؟ عن شيطانه أو عن ربِّه؟! فإذا قال: «حدَّثني قلبي عن ربِّي» كان مُسْنِدًا الحديث إلى من لم يعلم أنَّه حدَّثه به، وذلك كذب».

قال: «ومحدَّث الأُمَّة ـ يعني عمر بن الخطَّاب ـ لم يكن يقول ذلك، ولا تفوَّه به يومًا من الدهر، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك، بل كتب كاتبه يومًا: هذا ما أرى اللهُ أميرَ المؤمنين عمر بن الخطَّاب»، فقال: لا، امحُه واكتبْ: «هذا ما رأى عمر بن الخطَّاب، فإنْ كان صوابًا فمن الله، وإنْ كان خطأً فمن عمر، والله ورسوله منه بريء»[2].

(١) انظر: مدارج السالكين (٦٣/١).

(٢) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٣٥٨٣)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠).

QaradawiBooks.com

وقال في الكَلالة ـ ميراث من مات ولا والد له ولا ولد ـ: «أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأً فمِنِّي ومن الشَّيْطان»[١].

فهذا قول المُحَدَّث بشهادة الرسول ﷺ وأنت ترى الاتِّحادي والحُلولي والإباحي والشطَّاح والسماعي يجاهر بالقِحَة والفِرْيَة فيقول: «حدَّثني قلبي عن ربِّي»!

فانظر إلى ما بين القائلَيْن والمرتبتَيْن والقولَيْن والحالَيْن، وأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ولا تجعل الزَّغَلَ والخالص شيئًا واحدًا»[٢].

وأمَّا ادِّعاء بعض المحدَّثين أو المُلْهَمِين بأنَّه جاءه التحديث أو الإلهام أو الكشف مقرونًا بسماع، قطع بمُوجِبه أنَّه من الله تعالى إليه، بعلمٍ ضروريٍّ يجده في نفسه، فقد حقَّق هذا المقام الإمام ابن القَيِّم تحقيقًا يجب أن ننقله عنه، حتَّى لا تزلَّ الأقدام، وتضلَّ الأفهام، قال في «المدارج» شارحًا لكلام الشيخ الهروي:

«قلتُ: أمَّا حصوله بواسطة سمع: فليس ذلك إلهامًا، بل هو من قبيل الخِطَاب، وهذا يستحيل حصوله لغير الأنبياء، وهو الَّذي خُصَّ به موسى، إذ كان المُخَاطِب هو الحقَّ عزَّ وجل.

وأمَّا ما يقع لكثير من أرباب الرياضات من سماع: فهو من أحد وجوه ثلاثة، لا رابع لها:

أعلاها: أنْ يخاطبه المَلَك خطابًا جزئيًّا، فإنَّ هذا يقع لغير الأنبياء،

---

(١) لم أجده من كلام عمر إنَّما هو من كلام أبي بكر، رواه الدارمي (٣٠١٥)، وفيه فلما استخلف عمر، قال: إنِّي لأستحيي الله أن أرد شيئًا قاله أبو بكر.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/٦٤).

QaradawiBooks.com

فقد كانت الملائكة تخاطب عمران بن حصين بالسلام، فلما اكتوى تركت خطابه، فلما ترك الكي عاد إليه الخطاب، وهو نوعان:

أحدهما: خطاب يسمعه بأذنه، وهو نادر بالنسبة إلى عموم المؤمنين.

والثاني: خطاب يُلقى في قلبه يخاطب به المَلَكُ رُوحه، كما في الحديث المشهور: «**إنَّ للملك لمَّة بقلب ابن آدم، وللشيطان لمَّة، فلمَّة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد، ولمَّة الشَّيْطان إيعاد بالشرِّ، وتكذيب بالوعد**»[1]، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢]، قيل في تفسيرها: قوُّوا قلوبهم، وبشِّروهم بالنصر، وقيل: احضُرُوا معهم القتال.

والقولان حقٌّ، فإنَّهم حضروا معهم القتال، وثبَّتوا قلوبهم.

ومن الخطاب: واعظ الله عزَّ وجل في قلوب عباده المؤمنين كما في «جامع الترمذي»، و«مسند أحمد» من حديث النَّوَّاس بن سَمْعَان، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إنَّ الله تعالى ضرب مثلًا: صراطًا مستقيمًا، وعلى كَتِفَي الصِّراط سوران، لهما أبواب مُفَتَّحة، وعلى الأبواب سُتُور مُرْخاة، وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداعٍ يدعو فوق الصراط، فالصراط المستقيم: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المُفَتَّحة: محارم الله، فلا يقع أحد في حدٍّ من حدود الله حتَّى يكشف السِّتْر، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظُ الله في قلبِ كلِّ مؤمن**»[2]، فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلٰهي بواسطة الملائكة.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٣.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٤.

QaradawiBooks.com

وأمَّا وقوعه بغير واسطة، فممَّا لم يتبيَّن بعد، والجزم فيه بنفيٍ أو إثباتٍ موقوف على الدليل. والله أعلم.

النوع الثاني من الخطاب المسموع: خطاب الهواتف من الجانِّ، وقد يكون المخاطِب جِنِّيًّا مؤمنًا صالحًا، وقد يكون شيطانًا، وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما: أن يخاطبه خطابًا يسمعُه بأذنه.

والثاني: أنْ يُلْقي في قلبه عندما يُلِمُّ به، ومنه وعده وتمنيتُه حين يَعِدُ الإنسيَّ ويُمنِّيه، ويأمره وينهاه، كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، وقال: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وللقلب من هذا الخطاب نصيب، وللأذن أيضًا منه نصيب، والعصمة منتفية إلَّا عن الرسل، ومجموع الأُمَّة.

فمن أين للمخاطب أنَّ هذا الخطاب رحمانيٌّ أو مَلَكي؟ بأي برهان؟ أو بأي دليل؟ والشَّيْطان يقذف في النفس وَحْيَه، ويلقي في السمع خِطَابَه، فيقول المغرور المخدوع: «قيل لي، وخوطبتُ». صدقتَ، لكنَّ الشأن في القائل لكَ والمُخاطِب، وقد قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لغَيْلان بن سَلَمَةَ ـ وهو من الصحابة ـ لما طلَّق نساءه، وقسم ماله بين بنيه: «إنِّي لأظن الشَّيْطان فيما يسترق من السمع سَمِعَ بموتِكَ، فقذفه في نَفْسِكَ»[1].

النوع الثالث: خطاب حالي، تكون بدايته من النفس، وعوده إليها، فيتوهَّمه من خارجٍ، وإنَّما هو من نفسه، منها بدأ وإليها يعود.

(١) رواه أحمد (٤٦٣١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح.

QaradawiBooks.com

وهذا كثيرًا ما يعرض للسالك، فيغلط فيه، ويعتقد أنَّه خطاب من الله، كلَّمه به منه إليه، وسبب غلطه: أنَّ اللطيفة المُدْرِكة من الإنسان إذا صفت بالرياضة، وانقطعت عُلُقها عن الشواغل الكثيفة، صار الحكم لها بحكم استيلاء الرُّوح والقلب على البدن، ومصير الحكم لها، فتنصرف لهما، فتنصرف عناية النفس والقلب إلى تجريد المعاني الَّتي هي متَّصل بهما، وتشتدُّ عناية الروح بها، وتصير في مُلَح تلك العلائق والشواغل فتملأ القلب، فتصرف تلك المعاني إلى المنطق، والخطاب القلبي الرُّوحي بحكم العادة، ويتَّفق تجرُّد الرُّوح، فتتشكَّل تلك المعاني للقوَّة السامعة بشكل الأصوات المسموعة، وللقوَّة الباصرة بشكل الأشخاص المرئيَّة، فيرى صُوَرها، ويسمع الخطاب، وكلُّه في نفسه ليس في الخارج منه شيء، ويحلف أنَّه رأى وسمع، وصدق، لكنْ رأى وسمع في الخارج أو في نَفسِه؟ ويتَّفق ضعف التمييز، وقلَّة العلم، واستيلاء تلك المعاني على الرُّوح، وتجرُّدها عن الشواغل.

فهذه الوجوه الثلاثة هي وجوه الخطاب، ومن سمع نفسه غيرها فإنَّما هو غرور، وخدع وتلبيس، وهذا الموضع مقطع القول، وهو من أجَلِّ المواضع لمن حقَّقه وفهمه، والله المُوَفِّق للصواب»[1].

- **قياس الإلهام على الرؤيا الصادقة:**

أمَّا قياس الإلهام والكشف على الرؤيا الصادقة، وخصوصًا رؤيا النبيِّ ﷺ، الَّذي لا يتمثَّل الشَّيْطان به... فهو قياس لم يستوفِ شرائطه؛ لأنَّ المقيس عليه نفسه غير مُسلَّم عند الخصم.

(١) مدارج السَّالكين (١/٦٩ ـ ٧٢).

QaradawiBooks.com

وقد علم أنَّ الرؤى الصادقة مُجَرَّد مُبَشِّـــرات ومُنَبِّهات، كما صحَّ في الحديث، وليست أدلَّة تؤخذ منها الأحكام.

حتَّى رؤيا المؤمنِ للنبيِّ ﷺ نفْسِه، لا يجوز أنْ تكون مصدرًا لحكمٍ شرعيٍّ لم يثبت بالقرآن والسُّنَّة، بعد أنْ أكمل الله لنا الدِّين، وأتمَّ به علينا النعمة، وهو ما قرَّره المحقِّقون من علماء الأُمَّة، وردُّوا على من اتَّخذ من حديث: «**إنَّ الشَّـــيْطان لا يتمثَّل بي**» ـ وهو صحيحٌ مُتَّفَق عليه[1] ـ دليلًا على أنَّها تكون حُجَّة يلزم العمل بها.

قالوا: لا تكون الرؤيا حُجَّة، ولا يثبت بها حكمٌ شـــرعيٌّ، وإن كانت رؤيا النبيِّ ﷺ رؤيا حقٍّ، والشَّـــيْطانُ لا يتمثَّل به، لكون النَّائم ليس من أهل التحمَّل للرواية لعدم ضبطه وحفظه[2].

ونضيف هنا أمرًا آخر، وهو: أنَّ الرائي لا يمكنه أنْ يجزم ويوقن بأنَّ الَّذي رآه هو النبيُّ ﷺ، إلَّا إذا كان يعرف صورته في اليقظة معرفة تامَّة، وذلك لا يتحقَّق إلَّا للصحابة رضي الله عنهم، وربَّما لمن عرف أوصافه عليه الصلاة والسلام معرفةً كاملة.. وسنُحَقِّق ذلك بتفصيلٍ في موضعٍ آخر.

وذكر الشَّوْكاني قولًا آخر: أنَّه يعمل بالرؤيا ما لم تخالفْ شرعًا ثابتًا.

قال الشَّـــوْكاني: «ولا يخفاك أنَّ الشرع الَّذي شرعه الله لنا على لسان نبيِّنا ﷺ قد كمَّله الله عز وجل، وقـــال: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]، ولم يأتِنا دليلٌ يدلُّ على أنَّ رؤيته فـــي النوم بعد موته ﷺ إذا قال فيها بقول أو فعل فيها فعـــلًا، يكون دليلًا وحُجَّة، بل قبضـــه الله إليه بعد أنْ

(١) سبق تخريجه صـ٤٥.

(٢) إرشاد الفحول (٢/٢٠٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كمَّل لهذه الأُمَّة ما شرعه لها على لسانه، ولم يبق بعد ذلك حاجة للأُمَّة في أمر دينها، وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع وتبيينها بالموت، وإن كان رسولًا حيًّا وميتًا، وبهذا نعلم أن لو قدرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله ﷺ أو فعله حُجَّة عليه ولا على غيره من الأُمَّة»[1] اهـ.

• **قصَّة الخَضِر مع موسى:**

وأمَّا الاستدلال بقصَّة الخضر مع موسى، أو موسى مع الخَضِر عليهما السلام، فلا يملك المسلم فيها أو فيما شابهها إلَّا أنْ يقف موقف موسى أوَّلًا، بأنْ ينكر كلَّ ما خالف ظاهر الشرع، إلَّا أن يكون معه أمر من الله باتِّباع ذلك الآخر المخالِف، ولا أمر بعد رسول الله ﷺ، فقد اكتمل الدِّين وانقطع الوحي، فموسى ينفذ أمر الله باتباع الخضر، والخضر ينفذ أمر الله كذلك في مواقفه الثلاثة، كما سجَّل القرآن ذلك على لسانه إذ يقول في نهاية القصَّة لموسى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وللإمام أبي إسحاق الشاطبي كلمة نَيِّرة يردُّ بها على من تعلَّق بقصَّة الخَضِر عليه السلام في جواز مخالفة الشريعة باسم الكشف أو غيره، ذكرها في كتابه القيِّم «الموافَقات» قال:

«وأمَّا قصَّة الخضر عليه السلام وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ فيظهر به أنَّه نبيٌّ، وذهب إليه جماعة من العلماء استدلالًا بهذا القول، ويجوز للنبيِّ أنْ يحكم بمقتضى الوحي من غير إشكال، وإن سلم، فهي قضيَّة عين ولأمرٍ ما، وليست جارية على شرعنا.

(١) إرشاد الفحول (٢/٢٠٢).

QaradawiBooks.com

والدليل على ذلك أنَّه لا يجوز في هــذه المِلَّة لولي ولا لغيره ممَّن ليس بنبيٍّ أنْ يقتل صبيًّا لم يبلغ الحُلُم، وإن علم أنَّــه طُبِعَ كافرًا، وأنَّه لا يؤمن أبدًا، وأنَّــه إن عاش أرهق أبويه طغيانًا وكفــرًا، وإن أذن له من عالم الغيب في ذلك؛ لأنَّ الشريعة قد قرَّرت الأمر والنهي، وإنَّما الظاهر في تلك القصَّة أنَّها وقعت على مقتضى شــريعة أخرى، وعلى مقتضى عتاب موسى عليه السلام، وإعلامه أنَّ ثمَّ علمًا آخر وقضايا أُخَرَ لا يعلمها هو.

فليس كلُّ ما اطَّلع عليه الوليُّ من الغيوب يســوغ له شرعًا أنْ يعمل عليه، بل هو على ضَرْبَيْن:

أحدهما: ما خالف العمل به ظواهر الشــريعة من غير أنْ يصحَّ ردُّه إليها، فهذا لا يصحُّ العمل عليه البتَّة.

والثاني: ما لم يخالف العمل به شــيئًا من الظواهر، أو إن ظهر منه خلاف فيرجع بالنظر الصحيح إليها، فهذا يسوغ العمل عليه، وقد تقدَّم بيانه.

فإذا تقرَّر هذا الطريق فهو الصواب، وعليــه يُرَبِّي المُرَبِّي، وبه يعلق هِمَم السَّالكين، تأسيًا بسيِّد المتبوعين رســول الله ﷺ، وهو أقرب إلى الخروج عن مقتضى الحظوظ، وأولى برسوخ القدم، وأحرى بأنْ يتابع عليه صاحبه، ويقتدى به فيه، والله أعلم»[1].

وقبل الشــاطبي بيَّن شــيخ الإســلام ابن تيمية بالأدلَّة الناصعة من الكتاب والسُّــنَّة، الغلط الَّذي وقع لأولئك القوم فــي الاحتجاج بقصَّة موســى والخَضِر على مخالفة الشــريعة، وممَّا ذكره: أنَّ موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى الخَضِر، ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته، بل

(١) الموافقات (٢/٢٩٦، ٢٩٧).

QaradawiBooks.com

قد ثبت في الصحيحين: أنَّ الخَضِر قال له: «**يا موسى، إنِّي على علمٍ من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه**»(١)، وذلك أنَّ دعوة موسى كانت خاصَّة.

وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أنَّه قال فيما فضله الله به على الأنبياء، قال: «**كان النبي يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعِثْتُ إلى النَّاس عامَّة**»(٢).

فدعوة مُحَمَّد ﷺ شاملة لجميع العِبَاد، ليس لأحدٍ الخروجُ عن متابعته وطاعته، والاستغناء عن رسالته، كما ساغ للخَضِر الخروج عن متابعته موسى وطاعته، مستغنيًا عنه بما علَّمه الله.

وليس لأحد ممَّن أدركه الإسلام أنْ يقول لمحمد: إنِّي على علمٍ من علم الله علَّمَنِيه الله لا تَعْلَمُه.

ومن سوَّغ هذا، أو اعتقد أنَّ أحدًا من الخلق ـ الزهَّاد والعُبَّاد أو غيرهم ـ له الخروج عن دعوة مُحَمَّد ﷺ ومتابعته، فهو كافرٌ باتِّفاق المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسُّنَّة أكثر من أن تذكر هنا.

وقصَّة الخَضِر ليس فيها خروج عن الشريعة، ولهذا لمَّا بيَّن الخَضِر لموسى الأسباب الَّتي فعل لأجلها ما فعل وافقه موسى، ولم يختلفا حينئذٍ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفًا لشريعة موسى لما وافقه.

ومثل هذا وأمثاله يقع للمؤمنين بأنْ يختصَّ أحد الشخصين بالعلم بسبب يبيح له الفعل في الشريعة، والآخر لا يعلم ذلك السبب، وإن كان قد

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣٨٠)، عن ابن عباس.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

يكون أفضل من الأول، مثل شخصين دخلا إلى بيت شخص، وكان أحدهما يعلم طيب نفسه بالتصرف في منزله، إمَّا بإذن لفظي أو غيره، فيتصرف، وذلك مباح في الشريعة، والآخر الَّذي لم يعلم هذا السبب لا يتصرَّف.

وخرق السفينة كان من هذا الباب، فإنَّ الخضر كان يعلم أنَّ أمامهم مَلِكًا يأخذ كلَّ سفينة غصبًا، وكان من المصلحة الَّتي يختارها أصحاب السفينة إذا علموا ذلك، لئلَّا يأخذَها.. خيرٌ من انتزاعها منهم.

ونظير هذا حديث الشاة الَّتي أصابها الموت فذبحتها امرأة بدون إذن أهلها، فسألوا النبيَّ ﷺ عنها فأذن لهم في أكلها، ولم يلزم الَّتي ذبحت بضمان ما نقصت بالذبح؛ لأنَّه كان مأذونًا فيه عرفًا، والإذن العرفي كالإذن اللفظي.

ولهذا بايع النبيُّ ﷺ عن عثمان في غَيْبته بدون استئذانه لفظًا.

ولهذا لمَّا دعاه أبو طلحة ونفرًا قليلًا إلى بيته، قام بجميع أهل المسجد لما علم من طِيب نفس أبي طَلْحة[١]، وذلك لما يجعله الله من البركة، وكذلك حديث جابر[٢].

وقد ثبت أنَّ لحَّامًا دعاه[٣] فاستأذنه في شخصٍ يستتبعه[٤]؛ لأنَّه لم يكن يعلم من طِيبِ نفس اللحَّام ما علمه من طِيب نفْس أبي طَلْحة وجابر وغيرهما.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٧٨)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤٠)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤١٠٢)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٩).

(٣) الداعي رجل من الأنصار، يقال له أبو شعيب، واللحَّام غلامه. كما في روايات الحديث.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٥٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

QaradawiBooks.com

وكذلك قتلُ الغلام، كان من باب دفع الصائل على أبويه، لعلمه بأنَّه كان يفتنهما عن دينهما، وقتل الصبيان يجوز إذا قاتلوا المسلمين، بل يجوز قتلهم لدفع الصَّوْل على الأموال.

فلهذا ثبت في «صحيح البخاري»[١] أنَّ نَجْدَةَ الحَرُوريَّ ـ من رؤوس الخوارج ـ لما سأل ابن عبَّاس عن قتل الغلمان قال: «إن كنتَ تعلم منهم ما علمه الخَضِر من الغلام فاقتلْهم، وإلَّا فلا تقتلهم»[٢].

• **شهادةُ القلبِ في التَّحَرِّي:**

زاد بعضُهم دليلًا آخر لمشروعيَّة الاحتجاج بالإلهام على الأحكام، فاستدلَّ بما قرَّره الفقهاء من الترجيح بين القياسَيْن المتعارضَيْن بشهادة القلب، وكذلك أنواع التحرِّي في القبلة، واختلاط الحرام بالحلال، والنجس بالطاهر.

ذكر ذلك العلَّامة الفَنَاري الحنفي، وردَّ عليه قائلًا: «التَّحَرِّي ليس من الإلهام المخصوص بالعَدْل التقي، بل هو دليلٌ ضروريٌّ لا يُعْمَل به إلَّا عند العجز عن أسباب العلم، مشروع في حقِّ الصالح والطالح»[٣] اهـ.

* * *

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٨١٢)، ولم أجده في البخاري، وأورده الحميدي في الجمع بين الصحيحين في أفراد مسلم (١٢٢٢)، وكذا ابن الأثير في جامع الأصول (١٠٩٣)، والمزي في تحفة الأشراف (٦٥٥٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢٥/١١ ـ ٤٢٧). وما ذكره عن ابن عباس هنا، فإنما قصد به ـ كما قال السبكي ـ المحاجة والإحالة على ما لا يمكن قطعًا لطمعه في الاحتجاج بقصة الخضر، وليس مقصوده رضي الله عنه أنَّه إن حصل له ذلك يجوز القتل. انظر: روح المعاني للآلوسي (٣٣٩/٨)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) فصول البدائع (٤٤٦/٢).

QaradawiBooks.com

٢

ادِّعاء العصمة لما جاء عن طريق الكشف والإلهام

من النقاط الأساسية الَّتي خطَّأ فيها المحققون من علماء السُّنَّة الطائفة الَّتي غلت في إثبات الإلهام وحجيته: هي إضفاؤهم على ما جاءهم عن طريق الإلهام والكشف لونًا من القداسة والعصمة، بدعوى أنَّه من الله تعالى، وما كان من عند الله فهو حق لا يدخله باطل.

وإذا كانت أقوال الأئمَّة المُجْتَهِدِين منذ عصر الصحابة فمن بعدهم قابلة للصواب والخطأ، وهم مأجورون على الصواب أجرين، ومأجورون على الخطأ أجرًا واحدًا؛ لإخلاصهم واستفراغهم الوُسْع في تحري الصواب وتحصيله، فإنَّ خواطر الصوفيَّة وإلهاماتهم لا تقبل الخطأ في زعمهم.

ولهذا وجدنا مثل صاحب «فواتح الرحموت شرح مُسَلَّم الثُّبوت» في أصول الفقه، وهو ذو نزعة صوفيَّة ظاهرة، يردُّ على العلَّامة ابن الهُمَام الحنفي ـ الَّذي نفى أن يكون الإلهام حُجَّة أصلًا لانعدام ما يوجب نسبته إلى الله تعالى ـ قائلًا: «إنَّ الإلهام لا يكون إلَّا مع خلق علم ضروري أنَّه من عند الله تعالى، أو من عند الرُّوح المُحَمَّدِي، فحينئذٍ لا يتطرَّق إليه شبهة الخطأ، وهذا النحو من العلم أعلى ممَّا يحصل بالأدلَّة غير القاطعة، فالعجب كلُّ العجب من مثل هذا الشيخ، قد رفض وعاءً من العلم، ولعلَّه

QaradawiBooks.com

زعم أنَّ الإلهام ما يحدث في القلب من قَبِيل الخَطَرات، وليس كذلك، أما سمعتَ ما كتب الشيخ قطب وقته أبو يَزِيد البِسْطَامي قُدِّس سِرُّه الشَّرِيف لبعض من المُحَدِّثين: أنتم تأخذون عن ميِّت فتنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، ونحن نأخذ من الحيِّ الَّذي لا يموت! وإن تأمَّلت في مقامات الأولياء ومواجيدهم وأذواقهم كمقامات الشيخ محيي الدِّين وقطب الوقت محيي الملَّة والدِّين السيِّد عبد القادر الجيلاني، الَّذي قَدَمُه على رقابِ كُلِّ وَلِيٍّ، والشيخ سهل بن عبد الله التُّسْتَري، والشيخ أبي مَدْيَن المغربي، والشيخ أبي يزيد البِسْطَامي، وسيِّد الطائفة الجُنَيْد البغدادي، والشيخ أبي بكر الشِّبْلي، والشيخ عبد الله الأنصاري، والشيخ أحمد النامقي، وغيرهم ـ قُدِّسَت أسرارُهم ـ علمتَ أنَّ ما يُلْهَمُون به لا يتطرق إليه احتمالٌ وشبهة! بل هو حقٌّ حقٌّ حقٌّ، مطابقٌ لما في نَفْس الأمر! ويكون مع خلق علم ضروري أنَّه من الله تعالى، لكن لا ينالون هذا الوعاء من العلم إلَّا بالمدد المُحَمَّدي وتأييده، لا بالذات من غير وسيلة أصلًا، وإن تأمَّلت في كلام الشيخ الأكبر خليفة الله في الأَرضين، خاتم فصِّ الولاية الشيخ محيي الملَّة والدين الشيخ مُحَمَّد ابن العربي ـ قُدِّس سِرُّه ووفَّقنا لفهم كلماته الشريفة ـ لما بقي لك شائبةُ وهْمٍ وشكٍّ في أنَّ ما يُلْهَمُون به من الله تعالى.

وممَّا يصلح هاهنا أنَّه علم ضرورة من الدِّين أنَّ أولياء هذه الأُمَّة أفضل من أولياء الأمم السابقين، كما أنَّ نبيَّهم أفضل من نبيِّ السابقين، ولا شكَّ أنَّ الأولياء الَّذين كانوا في بني إسرائيل مثل: مريم، وأمِّ موسى، وزوجة فرعون، كان يوحى إليهم، ولا أقلَّ من أن يكون إلهامًا، ولا يكون إلَّا مع خَلْقِ عِلْمٍ ضروريٍّ أنَّه من الله تعالى، فهو حُجَّة قاطعة، ولو لم يكن أحدٌ من هذه الأُمَّة المرحومة الفاضلة منهم أفضل في تحصيل العلم القطعي،

QaradawiBooks.com

فتكون مفضولةً عنهم غايــة المفضوليَّة؛ لأنَّ التفاضل ليــس إلَّا بالعلم، والفضل بما عداه غير مُعْتَدٍّ به، ولا خُلْفَ أشنعُ من هذا اللازم فافهمْ»[١].

وقد نقلنا من كلام شــيخ الإســلام ابن تيمية ما يردُّ على آخر هذه المقولة، باســتغناء هذه الأُمَّة عن المُحَدَّثين والمُلْهَمين، بكمال رســالة نبيِّهم، وتمام شــريعته، ولهذا كانت صيغة الحديث: «**فإنْ يكنْ في أُمَّتي منهم أحدٌ فعُمَر**»[٢].

أمَّا ما ذكره صاحب الـ «فواتح» فهو كلام خِطَابي غير علمي، ومجرَّد دعاوى عريضة من غير برهان، وقد خلط في الأسماء الَّتي حشرها الحابل بالنابل، والسُّنِّي بالمبتدع، والمُوَحِّد بالحُلُولي والاتِّحادي، ومن عجب أن يكتب هذا في علم الأصول، الَّذي هو ميزان العقول، ومنطق المنقول!

وما قاله صاحب الـ «فواتح» هذا وأمثاله شــبيه بما قاله الشــيعة في أئمَّتهم، وهو ما أنكره أهل السُّنَّة عليهم.

فقد انتهى قول الشيعة الاثنا عشــريَّة بإلهام أئمَّتهم الاثني عشر، إلى القول بعصمتهم، فما يُلهمونه لا يتطرَّق إليه احتمالُ خطأ؛ لأنَّه ليس ناشئًا عن اجتهاد، كسائر الأئمَّة، يحتمل الصواب والخطأ، ويؤجر فيه المُصيب مرَّتين، والمُخْطِئ مرَّة واحدة، إنَّما هو إلهام من الله للإمام يكشــف له به ما غاب عن غيره، فهو الصواب حتمًا، سواء أكان خبرًا أم حكمًا، فإن كان خبرًا فهو الصدق ولا بدَّ، وإن كان حُكمًا فهو العَدْل لا مِرَاء!

وبهذا أثبتوا عصمةً لغير رسول الله ﷺ، وأوجبوا طاعةً لغير الله ورسوله، على خلاف ما قرَّرته مُحْكَمَات القرآن الكريم، وبيِّنات الحديث الشريف.

---

(١) فواتح الرحموت المطبوع مع المستصفى للغزالي (٣٧٢/٢)، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) سبق تخريجه صـ١٥.

QaradawiBooks.com

بل لقد بلغ الاعتداد بالإلهام الَّذي يمنح لبعض النَّاس في بعض المواقف أو القضايا أنَّ قال من قال من الغُلاة والمنحرفين: إنَّ باب النبوَّة لم يغلق، وإنَّ الوحي الَّذي نزل على مُحَمَّد ﷺ لم يكن هو الوَحْيَ الأخير، بل يمكن أنْ ينزل على غيره!

بل تطاول بعضهم في وَقاحة وسَفالة ممَّن ينتسب إلى فلسفة الإشراق، فقال لعنه الله: لقد حجَّر ابن آمنة واسعًا حين قال: «**لا نَبِيَّ بعدي**»[1]!

وأعتذر إلى الله وإلى رسوله من وقاحة العبارة وسوء أدبها، وكلُّ إناء ينضح بما فيه!

• لا عصمة لغير الكتاب والسُّنَّة:

ومن الواجب أن نُقَرِّر هنا بكلِّ وضوحٍ ويقينٍ لا يعتريه رَيْب:

أنَّه لا عصمة لغير ما ثبت عن الله ورسوله، وكل أحد بعد ذلك يؤخذ من كلامه ويرد عليه، إنَّ الله أمرنا أن نرجع في معرفة أحكام شرعه إلى كتابه تعالى وسُنَّة نبيه، وقال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) جزء من حديث متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فلم يأمرنا أن نرجع إلى قلوبنا أو أذواقنا أو خواطرنا وما يكشف لنا، فإن شيئًا من ذلك لا عصمة له، وقد يصح مرَّة ولا يصح أخرى.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: «قد ضُمِنَتْ لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسُّنَّة، ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام»[١].

ولهذا كان أوَّل المُحَدَّثين المُلْهَمين في هذه الأُمَّة ـ وهو عمر بن الخطَّاب كما ثبت في الصحيحين[٢] ـ يرجع إلى القرآن والسُّنَّة ويحكمهما في كلِّ ما يعرض له.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان عمر بن الخطَّاب وقَّافًا عند كتاب الله، وكان أبو بكر الصِّدِّيق يُبَيِّن له أشياء تخالف ما يقع له، كما بين له يوم الحديبيَة، ويوم موت النبي ﷺ، ويوم قتال مانعي الزكاة، وغير ذلك.

وكان عمر بن الخطَّاب يشاور الصحابة، فتارة يرجع إليهم، وتارة يرجعون إليه، وربَّما قال القول فتردُّ عليه امرأة من المسلمين قولَه، وتُبَيِّن له الحقَّ، فيرجع إليها، ويَدَعُ قولَه.

وربَّما يرى رأيًا فيُذكر له حديثٌ عن النبيِّ ﷺ فيعمل به ويدع رأيه، وكان يأخذ بعض السُّنَّة عمَّن هو دونه في قضايا متعدِّدة، وكان يقول القول فيقال له: أحسنت، فيقول: والله ما يدري عمر أصاب الحقَّ أم أخطأ!

فإذا كان هذا إمام المحدَّثين، فكلُّ ذي قلبٍ يُحَدِّثه عن ربِّه إلى يوم القيامة هو دون عمر، فليس فيهم معصوم، بل الخطأ يجوز عليهم كلُّهم، وإن كان طائفة تدَّعي أنَّ الوليَّ محفوظ، وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة ـ والحكيم التِّرْمِذي قد أشار إلى هذا ـ فهذا باطل مخالف للسُّنَّة والإجماع.

---

(١) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في مجموع الفتاوى (٢/٢٢٦).

(٢) سبق تخريجه صـ٥٢.

QaradawiBooks.com

ولهذا اتَّفق المسلمون على أنَّ كل أحد من النَّاس يؤخذ من قوله ويُتْرك إلَّا رسول الله ﷺ، وإن كانوا مُتَفَاضِلَيْن في الهَدْيِ والنُّور والإصابة.

ولهذا كان الصِّدِّيق أفضل من المُحَدَّث؛ لأنَّ الصِّدِّيق يأخذ من مشكاة النبوَّة، فلا يأخذ إلَّا شيئًا معصومًا محفوظًا، أمَّا المُحَدَّث فيقع له صوابٌ وخطأ، والكتاب والسُّنَّة تُميِّز صوابه من خطئه، وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسُّنَّة، فما وافق آثار الرسول فهو الحقُّ، وما خالف ذلك فهو باطل، وإن كانوا مجتهدين فيه، والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم، ويغفر لهم خطأهم.

ومعلومٌ أنَّ السابقين الأولين أعظم اهتداءً واتباعًا للآثار النبويَّة، فهم أعظم إيمانًا وتقوى»[1] اهـ.

• نتائج الإلهام غير ثابتة ولا مطردة:

يؤكِّد ذلك أنَّ الإلهام أو الكشف ـ كما قال صاحب «المنار» رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره ـ إنَّما هو ضَرْب من إدراك النفس الناطقة، غير ثابتٍ ولا مُطَّرد، فليس بدليلٍ عقليٍّ ولا شرعيٍّ، إنَّما هو إدراكاتٌ ناقصةٌ تخطئ وتصيب، وقد عرفت أسبابه الطبيعيَّة، وأنَّ منها ما هو فِطْري، ومنها ما هو كَسْبِي وصِنَاعي، كالتنويم المغناطيسي المعروف في هذا العصر، وما يُسَمُّونه قراءة الأفكار، ومراسلة الأفكار، ويُشَبِّهونه بنقل الأخبار بخطوط الأسلاك الكهربائيَّة وبدونها، وهو يقع للمؤمنِ والكافر، والبَرِّ والفاجر، ويعترف به صوفيَّة المسلمين لصوفيَّة الهندوس وغيرهم، كما يعترفون بتلبيس

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/٢٢٦، ٢٢٧).

QaradawiBooks.com

الشـــياطين عليهم فيه، وقلَّة من يميز بين الكشـــف الشَّيْطاني والكشف الحقيقي منهم، ولا يصح أنْ يُسَمَّى حقيقيًّا إلَّا ما وافق نصًّا قطعيًّا.

ومن دلائل الخطـــأ والتلبيس والتخيُّلات في الكشـــف الَّذي يُسَـــمُّونه «النُّورانـــي» تعارُض أهلِـــهِ وتناقضهم فيه، وما يذكرونه فيـــه من معلوماتهم المختلفة باختلاف معلوماتهم الفَنِّيَّة والخُرَافيَّة والشـــرعيَّة... فترى بعضهم يذكر في كَشْفِه «جبل قاف» المحيط بالأرض! و«الحيَّة» المحيطة به! كما تراه في ترجمة الشعراني للشيخ أبي مَدْيَن، وهو من الخرافات الَّتي لا حقيقة لها.

ومنهم من يذكر في كشـــفه الأفلاك وكواكبها على الطريقة اليونانيَّة الباطلة أيضًا، وأكثرهم يذكرون في كشـــفهم الأحاديث الموضوعة، فإن اعترض عليهم ـ أو على المفتونين بكشفهم ـ علماء الحديث، قالوا: إنَّ الحديث قد صحَّ في كشفنا، وإن لم يصحَّ في رواياتكم، وكَشْفُنا أصحُّ؛ لأنَّه من علم اليقين، وعِلْمُكم ظَنِّي!

والحاصل أنَّ كشفًا هذا شـــأنه وشـــأن أهله إنْ صحَّ أن نُصَدِّقه فيما لا يخالف الشـــرع وعقائده وأحكامه، فلا يصحُّ لمـــن يؤمن بكتاب الله وسُنَّة رسوله أنْ يُصَدِّق منه ما يخالفهما، وأنْ يثبت من أمر عالم الغيب ما لم يثبت بهما، وما أغنانا عن هذا كله[1].

* * *

(١) تفسير المنار للعلَّامة محمد رشيد رضا (٣٦٥/١١، ٣٦٦)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م. وقد ذكر العلَّامة الألوسي عن صاحب الفتوحات المكية في الباب صـ ٣٧١ من أوصاف العرش وقوائمه وأنَّه أحد حَمَلَته! وأنَّه أنزل عند أفضل قوائمه! قال: وأطال الكلام في هذا الباب، وأتى فيه بالعجب العجاب، وليس له ـ في أكثر ما ذكره فيه ـ مســـتند نعلمه من كتاب الله تعالى، أو سُنَّة رسوله ﷺ، ومنه ما لا يجوز أن نقول بظاهره. انتهى من روح المعاني (٤٧٦/٨).

QaradawiBooks.com

٣

ضلالة ازدراء العلم الشرعي

ومن ضلالات المُعَظِّمين للكشف والإلهام والقائلين بحُجِّيَّته المؤمنين بقُدْسِيَّته: ازدراؤهم للعلم الشرعي، علم القرآن والسُّنَّة والفقه والأصول، وما تفرَّع عنها، وتحقير أولئك الَّذين يذيبون شموع أعمارهم في طلبه وتحصيله، والتعمُّق فيه، مُسْتَغْنِين بكشفهم المزعوم عن السعي لتلقِّي العلم من أهله، جاهلين أو متجاهلين: أنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورثوا أممهم العلم، وأنَّ «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم**»[1]، كما نطق بذلك حديث المعصوم، وكما أجمعت عليه الأُمَّة.

والعلم المفروض طلبه هو علم النُّبُوَّة، الَّذي به يعرف الله سبحانه، ويعرف الطريق إليه، ويعرف ما يُحِبُّه وما يكرهه، ولا طريق لذلك إلَّا معرفة الشريعة الَّتي جاء بها مُحَمَّد ﷺ، وبها يعرف المسلم دِينَه، ويُصَحِّح عقيدته وعبادته ويضبط سلوكه.

فالعلم بشرع الله تعالى كما نزل به وحيه إلى رسوله في كتابه وسُنَّته، هو الدليل المعصوم الَّذي لا يخطئ ولا ينسى.

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة وحيدة

وهو ـ كما قال ابـــن القَيِّم ـ تركة الأنبياء وتراثهـــم، وأهله عَصَبتهم ووراثهم، وهو حيـــاة القلوب، ونور البصائر، وشـــفاء الصدور، ورياض العقول، ولذَّة الأرواح، وأُنس المستوحشـــين، ودليـــل المُتَحَيِّرين، وهو الميزان الَّذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

وهو الحاكم المُفَرِّق بين الشـــكِّ واليقين، والغَيِّ والرشاد، والهُدى والضلال، بـــه يُعْرَف الله ويُعْبَـــد، ويُذْكَر ويُوَحَّد، ويُحْمَـــد ويُمَجَّد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون.

به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميَّز الحلال من الحرام، وبه تُوصَل الأرحام، وبه تُعْرَف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يُوصَل إليه من قريبٍ.

وهو إمامٌ والعمل مأموم، وهو قائد والعمل تابع، وهو الصاحب في الغربة، والمُحَدِّث في الخَلْوة، والأنيس في الوحشـــة، والكاشـــف عن الشُّبْهة، والغني الَّذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكَنَف الَّذي لا ضَيْعة على من أوى إلى حِرْزِه.

مذاكرتُه تســـبيح، والبحثُ عنـــه جهاد، وطلبُه قربـــة، وبذلُه صدقة، ومدارســـتُه تَعْدِل الصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام.

قال الإمام أحمـــد رضي الله عنه: «النَّاس إلى العلم أحـــوجُ منهم إلى الطعام والشـــراب؛ لأنَّ الرجل يحتاج إلى الطعام والشـــراب فـــي اليوم مرَّة أو مرَّتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنْفَاسِه».

QaradawiBooks.com

وروينا عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنَّه قال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة[١]. ونصَّ على ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه.

وقال ابن وهب: كنت بين يدي مالك رضي الله عنه فوضعت ألواحي وقمت أصلي، فقال: ما الَّذي قمت إليه بأفضل ممَّا قمت عنه[٢]... ذكره ابن عبد البر وغيره.

واستشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجلِّ مشهود به، وهو «التوحيد»، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته[٣]، وفي ضمن ذلك تعديلهم، وأنَّه سبحانه وتعالى لا يستشهد بمجروح.

ومن هاهنا ـ والله أعلم ـ يؤخذ الحديث المعروف: «**يحملُ هذا العِلْمَ من كلِّ خلفٍ عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[٤].

---

(١) مسند الشافعي (١٨/١) ترتيب السندي.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٦)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

(٤) رواه ابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم في مفتاح دار السعادة وقوَّاه لتعدد طرقه (١٦٣/١، ١٦٤) نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلَّامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (٢١/١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.
وانظر: كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

وهو حُجَّة الله في أرضه، ونوره بين عباده، وقائدهم ودليلهم إلى جنته، ومُدْنيهم من كرامته، ويكفي في شرفه: أن فضل أهله على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأنَّ الملائكة لتضع لهم أجنحتها، وتظلُّهم بها، وأنَّ العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتَّى الحيتان في البحر، وحتى النمل في جحرها، وأنَّ الله وملائكته يصلون على معلمي النَّاس الخير.

ولقد رحل كليم الرحمٰن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام في طلب العلم هو وفتاه، حتَّى مسَّهما النَّصب في سفرهما في طلب العلم، حتَّى ظفر بثلاث مسائل، وهو من أكرم الخلق على الله وأعلمهم به.

وأمر الله رسوله أنْ يسأله المزيد منه، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وحرم الله صيد الجوارح الجاهلة، وإنَّما يباح للأمة صيد الجوارح العالمة، فهكذا جوارح الإنسان الجاهل لا يجدي عليه صيدها من الأعمال شيئًا»[(١)] اهـ.

• الصوفيَّة الأولون ملتزمون باتباع الشريعة:

ولا غرو أن وجدنا من سادات الصوفيَّة من أنكر على المنحرفين هذه الدعاوى العريضة الَّتي زعموا فيها الاستغناء عن علم الكتاب والسُّنَّة.

ونذكر هنا بعض ما نقله ابن القَيِّم في «مدارج السالكين» عن المعتدلين من أكابر شيوخهم:

«قال سيِّد الطائفة وشيخهم الجُنَيْد بن مُحَمَّد رحمه الله: الطرق كلُّها مسدودة على الخلق إلَّا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ[(٢)].

(١) مدارج السالكين (٢/٤٣٩ ـ ٤٤٢).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/٢٥٧)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

وقال: من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ علمنا مُقيَّد بالكتاب والسُّنَّة[١].

وقال: مذهبُنا هذا مُقَيَّد بأصول الكتاب والسُّنَّة[٢].

وقال أبو حفصٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: من لم يَزِنْ أفعالَه وأحوالَه في كلِّ وقتٍ بالكتاب والسُّنَّة ولم يتَّهم خواطره، فلا يُعَدُّ في ديوان الرجال[٣].

وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ: ربَّما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيَّامًا، فلا أقبل منه إلَّا بشاهدين عَدْلَين: الكتاب، والسُّنَّة[٤].

وقال أبو زيد: عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئًا أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته[٥].

وقال مرَّة لخادمه: قم بنا إلى هذا الرجل الَّذي قد شهر نفسه بالصلاح لنزوره، فلما دخلا عليه المسجد تنخَّع، ثمَّ رمى بها نحو القبلة، فرجع فلم يُسَلِّم عليه، وقال: هذا غير مأمونٍ على أدب من آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأمونًا على ما يَدَّعِيه؟!

وقال: لقد هممتُ أنْ أسأل الله تعالى أنْ يكفيني مؤنة النساء، ثمَّ قلتُ: كيف يجوز لي أنْ أسأل الله هذا، ولم يسألْه رسول الله ﷺ؟ ولم أسألْه، ثمَّ إنَّ الله كفاني مؤنة النساء، حتَّى لا أبالي استقبلتْني امرأةٌ أو حائط[٦].

---

(١) حلية الأولياء (٢٥٥/١٠).

(٢) رواه القشيري في رسالته (٧٩/١)، تحقيق الإمام عبد الحليم محمود، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٠/١٠).

(٤) رواه القشيري في رسالته (٦١/١).

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦/١٠).

(٦) رواه القشيري في رسالته (٥٧/١، ٥٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات إلى أنْ يرتفع في الهواء، فلا تغترُّوا به، حتَّى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وآداب الشريعة[١].

وقال أحمد بن أبي الحُوَاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من عمل عملًا بلا اتِّباع سُنَّة، فباطلٌ عمله»[٢].

قال ابن القَيِّم: «وأمَّا الكلمات الَّتي تُروى عن بعضهم: من التزهيد في العلم، والاستغناء عنه، كقول من قال: نحن نأخذ علمنا من الحيِّ الَّذي لا يموت، وأنتم تأخذونه من حيٍّ يموت!

وقول الآخر وقد قيل له: ألا ترحل حتَّى تسمع من عبد الرزَّاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزَّاق من يسمع من الخلَّاق؟!

وقول الآخر: العلم حجابٌ بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ!

وقول الآخر: إذا رأيتَ الصوفي يشتغل بـ «أخبرنا» و«حدَّثنا» فاغسلْ يدَكَ منه!

وقول الآخر: لنا علم الحَرْف، ولكم علم الوَرَق.

ونحو هذا من الكلمات الَّتي أحسن أحوال قائلها: أن يكون جاهلًا يُعْذَر بجهله، أو شاطحًا معترفًا بشطحه، وإلَّا فلولا عبد الرزَّاق وأمثاله ولولا «أخبرنا» و«حدَّثنا» لما وصل إلى هذا وأمثاله شيء من الإسلام.

ومن أحالك على غير «أخبرنا» و«حدَّثنا» فقد أحالك: إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي، أو رأي نفسي، فليس بعد القرآن و«أخبرنا»

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤٠/١٠).

(٢) الرسالة القشيرية (٦٨/١). وراجع: مدارج السالكين (٤٣٤/٢ ـ ٤٣٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

و«حدَّثنا» إلَّا شبهات المُتَكَلِّمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوِّفين، وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل ضلَّ عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنَّة، سوى الكتاب والسُّنَّة، وكل طرق لم يصحبها دليل القرآن والسُّنَّة فهي من طرق الجحيم، والشَّيْطان الرجيم»[1].

• العِلم اللَّدُني:

أمَّا العِلم اللَّدُني الَّذي طنطن به بعضهم، وزعم الاستغناء به عن العلم الكسبي، فقد قال فيه ابن القَيِّم في شرح ما جاء في كلام الهَرَوي عنه في «منازل السائرين»:

«العِلم اللَّدُني هو: العلم الَّذي يقذفه الله في القلب بلا سبب من العبد، ولا استدلال، ولهذا سُمِّي لدُنِّيًّا، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ولكن هذا العلم أخص من غيره، ولذلك أضافه إليه سبحانه، كبيته وناقته وبلده وعبده، ونحو ذلك، فتضمحل العلوم المستندة إلى الأدلة والشواهد في العِلم اللَّدُني، الحاصل بلا سبب ولا استدلال، هذا مضمون كلامه ـ يعني: الهَرَوي صاحب «المنازل» ـ.

قال ابن القَيِّم: «ونحن نقول: إنَّ العلم الحاصل بالشواهد والأدلَّة، هو العلم الحقيقي، وأمَّا ما يُدَّعى حصوله بغير شاهد ولا دليل، فلا وثوق به ـ وليس بعلم ـ نعم قد يقوى العلم الحاصل بالشواهد ويتزايد، بحيث يصير المعلوم كالمشهود، والغائب كالمُعَاين، وعلم اليقين كعين اليقين، فيكون الأمر شعورًا أوَّلًا، ثمَّ تجويزًا، ثمَّ ظنًّا، ثمَّ علمًا، ثمَّ معرفة، ثمَّ

(١) مدارج السالكين (٢/٤٣٨، ٤٣٩).

QaradawiBooks.com

علم يقين، ثمَّ حق يقين، ثمَّ عين يقيـــن، ثمَّ تضمحل كل مرتبة في الَّتي فوقها، بحيث يصير الحكم لها دونها، فهذا حقٌّ.

وأمَّا دعوى وقوع نوع من العلم بغير ســـببٍ من الاســـتدلال فليس بصحيح؛ فإنَّ الله سبحانه ربط التعريفات بأســـبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلَّا بدليل يدله عليه، وقد أيَّد الله سبحانه رسله بأنواع الأدلَّة والبراهين الَّتي دلَّتهم على أنَّ ما جاؤوا به هو من عند الله، ودلت أممهم على ذلك، وكان معهم أعظم الأدلَّة والبراهين على أن ما جاءهم هو من عند الله، وكانت براهينهم أدلَّة وشـــواهد لهم وللأمم، فالأدلَّة والشـــواهد الَّتي كانت لهم، ومعهم: أعظم الشواهد والأدلَّة، والله تعالى شهد بتصديقهم بما أقام عليه من الشواهد، فكلُّ علم لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها، وحكم لا برهان عند قائله، وما كان كذلك لم يكن علمًا، فضلًا عن أن يكون لدُنِّيًّا.

فالعِلم اللَّدُني: ما قام الدليل الصحيح عليه أنَّه جاء من عند الله على لسان رسله، وما عداه فلَدُني من لَدُنْ نَفْس الإنسان، منه بدأ وإليه يعود.

وقد انبثق سدَّ العِلم اللَّدُني، ورخَّص سعره، حتَّى ادَّعت كل طائفة أنَّ علمهم لَدُني، وصار من تكلَّم في حقائق الإيمان والسلوك وباب الأسماء والصفات بما يسنح له، ويلقيه شـــيطانه في قلبه، يزعم أنَّ علمه لَدُني! فملاحدة الاتِّحاديَّة، وزنادقة المنتمين إلى الســـلوك يقولون: إنَّ علمهم لَدُنـــي! وقد صنَّف فـــي العِلـــم اللَّدُني متهوِّكـــو المُتَكَلِّميـــن، وزنادقة المُتَصَوِّفين، وجهلة المُتَفَلْسِـــفِين، وكلٌّ يزعم أنَّ علمـــه لَدُني! وصَدَقوا وكذبوا، فإنَّ «اللَّدُني» منســـوب إلى «لَدُنْ» بمعنى «عِنْد»، فكأنَّهم قالوا: العلم العِنْدي، ولكنَّ الشأن فيمن هذا العلم من عنده ومن لَدُنه، وقد ذمَّ

QaradawiBooks.com

الله تعالى بأبلغ الذمِّ من ينسب إليه ما ليس من عنده، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فكلُّ من قال: هذا العلم من عند الله وهو كاذب في هذه النسبة؛ فله نصيبٌ وافر من هذا الذمِّ. وهذا في القرآن كثير، يذمُّ الله سبحانه من أضاف إليه ما لا علم به، ومن قال عليه ما لا يعلم، ولهذا رتَّب سبحانه المُحَرَّمات أربع مراتب، وجعل أشدَّها القولَ عليه بلا علم، فجعله آخر مراتب المُحَرَّمات الَّتي لا تباح بحال[١]، بل هي محرمة في كلِّ ملَّة، وعلى لسان كلِّ رسول، فالقائل: إنَّ هذا «علم لَدُني» لِمَا لا يُعْلَم به من عند الله، ولا قام عليه برهان من الله أنَّه من عنده: كاذب مُفْتَرٍ على الله، وهو من أظلم الظالمين، وأكذب الكاذبين»[٢].

على أنَّ كثيرًا من الصوفيَّة المتأخِّرين رفضوا حُجِّيَّة الإلهام.

قال العلَّامة الألوسي في تفسيره عند قصَّة الخَضِر من سورة الكهف: «وممَّن صرَّح بأنَّ الإلهام ليس بحُجَّة من الصوفيَّة: الإمام الشعراني، وقال: قد زلَّ في هذا الباب خلق كثيرٌ فضلُّوا وأضلُّوا، ولنا في ذلك مؤلَّف سَمَّيْته «حدَّ الحُسَام في عنق من أطلق إيجاب العمل بالإلهام» وهو مجلدٌ لطيف»[٣] اهـ.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

(٢) مدارج السالكين (٣/٣٩٩ ـ ٤٠١).

(٣) روح المعاني للألوسي (٨/٣٤٠).

QaradawiBooks.com

فمن احتجَّ بالإلهام على حكمٍ شرعيٍّ فاحتجاجُه مردودٌ عليه[١].

وسننقل الكثير عن المعتدلين من الصوفيَّة فيما بعد.

* * *

(١) قال العلامة ابن حجر الهيتمي الشافعي في التحفة: «وقع لليافعي ـ مع جلالته ـ في روضه: لو أذن الله تعالى لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلًا، وعلم الإذن يقينًا، فلبسه، لم يكن منتهكًا للشرع، وحصول اليقين له من حيث حصوله للخضر بقتله الغلام، إذ هو ولي لا نبي على الصحيح» اهـ.

قال: وقوله: «مثلًا» ربما يدخل فيه بعض المتصوفة الذي ذكره الغزالي: «أن له مع الله حالًا أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم شرب الخمر...».

وبفرض أنَّ اليافعي لم يرد بـ «مثلًا» إلَّا ما هو مثل الحرير في أن استحلاله غير مكفر، لعدم علمه ضرورة، فإن أراد بعد انتهاكه للشرع: أن له نوع عذر، وإن كنا نقضي عليه بالإثم، بل والفسق إن أراد ذلك، فله نوع اتجاه.

أو أنَّه لا حرمة عليه في لبسه، كما هو الظاهر من سياق كلامه فهو زلة منه؛ لأن ذلك اليقين إنَّما يكون بالإلهام، وهو ليس بحُجَّة عند الأئمة، إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم.

وبفرض أنَّه حجة فشرطه ـ عند من شذ بالقول به ـ ألا يعارضه نص شرعي، كالنص بمنع لبس الحرير المجمع عليه، إلَّا من شذ ممن لا يعتد بخلافه فيه.

وبتسليم أنَّ الخضر ولي ـ وإلا فالأصح أنَّه نبي ـ فمن أين لنا أنَّ الإلهام لم يكن حجة في ذلك الزمن؟

وبفرض أنَّه غير حجة، فالأنبياء في زمنه موجودون، فلعل الإذن في قتل الغلام جاء إليه على يد أحدهم. انتهى من تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي (٨٨/٩، ٨٩)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٨٣م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

التفرقة بين الشريعة والحقيقة

إنَّ اعتداد كثير من الصوفيَّة بأذواقهم وخواطر نفوسهم، وما يعرض لهم من إلهام وكشف، وادعاء بعضهم العصمة لهذه الإلهامات والخواطر، قد انتهى بطائفة منهم إلى الوقوع في ضلالات عدَّة.

فمنها: تفرقتهم بين «الشـــريعة» الَّتي يجيء بهـــا النصُّ، و«الحقيقة» الَّتي يجيء بها الكشـــف، واعتبارهم الأولى من نصيب العوامِّ، والثانية من حظِّ الخواصِّ، وممَّـــا يقولونه في ذلك: من نظر إلـــى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم!

وقد يُعتَبر العمل معصية بل كبيرة في نظر أهل الشـــريعة، على حين يُعَدُّ مباحًا بل قربة في نظر أهل الحقيقة!

• قصَّة موسى والخَضِر:

ويستدلُّون على هذه التفرقة بقصَّة موســـى والخضر الَّتي ذكرها الله في سورة الكهف، فقد كان موسى ينظر بعين الشريعة فأنكر خرق السفينة، وقتل الغلام بغير جناية، وإقامة الجدار لقوم لا يستحقون إكرامًا ولا معونة، وكان الخَضِر ينظر بعين الحقيقة، ولهذا بيَّن لموســـى مـــا وراء كلِّ فعلة من هذه الفعلات من أسرار وغيوب، فسلَّم موسى للخَضِر؛ لأنَّ موسى لم يكن معه إلَّا علم الظاهر، علم الشريعة، والخَضِر معه علم الباطن، وهو علم الحقيقة.

QaradawiBooks.com

والعلم الَّذي عند الخَضِر لم يأت نتيجة تعلُّم ولا اكتساب، إنَّما هو علمٌ وَهْبي من لَدُن الله مباشرة وبلا واسطة، ويسمُّونه «العِلم اللَّدُني» أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

ومن هنا جاء عن بعض المُتَصوِّفة احتقارهم لعلم الشرع، الَّذي يعرف من النصوص، ويطلب من العلماء، ويروى بالأسانيد، ويسمُّونه «علم الورق».

وإنَّما يُعنيهم علم «الباطن» أو «الحقيقة» أو «العِلم اللَّدُني» كما يُسمُّونه، علم الخَضِر لا علم موسى، علم «أصحاب الأذواق» لا علم «أصحاب الأوراق»، علم الصوفيَّة لا علم المُحَدِّثين والفقهاء.

بل قال بعضهم: إنَّ العلم حجابٌ بين صاحبه وبين الله!

ولا ريب أنَّ هذا جهل مُبِين، وغرورٌ قبيح، وشرودٌ عن الصراط المستقيم، الَّذي سار عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسانٍ، بل سار عليه سادة الصوفيَّة الأوائل أنفسهم.

وقد بيَّن الإمام الشاطبي في «الموافقات» أنَّ الشريعة عامَّة لكلِّ المُكَلَّفين في كلِّ الأحوال[1].

فلا يخرج عنها وليٌّ ولا غيره بدعوى الكشف أو غيره، وأنَّ العوائد الجارية ضروريَّة الاعتبار شرعًا، فليس الاطلاع على المغيَّبات ولا الكشف الصحيح بالذي يمنع جريانها على مقتضى الأحكام العادية، والقدوة في ذلك رسول الله ﷺ ثمَّ ما جرى عليه السلف الصالح رضي الله عنهم.

(١) انظر: الموافقات (٢/٢٤٩).

QaradawiBooks.com

ثم تعرَّض لقصة «الخضر» الَّتي يحتجُّ بهـا قوم على جواز الخروج عن ظاهر الشريعة لمن سمَّوهم الأولياء، أو أهل الكشف، وقد نقلنا قوله في ردِّنا على القول بحُجِّيَّة الإلهام.

وهم يُسَـمُّون صاحب العلم الشـرعي «عالِمًا» ويُسَـمُّون صاحب الكشـف الصوفي «عارفًا»، فالعلم عندهم كسبي استدلالي، و«المعرفة» وهبِيَّة ضروريَّة ـ وهي العِلـم اللَّدُني ـ والعلم له الخبـر، والمعرفة لها العِيَان.

ومثال هذا: أنَّك إذا رأيت في حومة ثلج ثقبًا خاليًا، استدللتَ به على أن تحته حيوانًا يتنفَّس، فهذا علم، فإذا حفرته وشـاهدت الحيوان، فهذه معرفة.

ولا مشـاحَّة في الاصطلاح، فلكلِّ طائفة أن تصطلح على ما تتفاهم به، بشرط أن تتَّضح المدلولات، وتتحدَّد المفاهيم، ولكنَّ الخطر هنا هو تحقير «العالِم» وتقديس «العارِف»، أو اعتبار ما يجيء من طريق المعرفة معصومًا، وما يجيء من طريق العلم مظنونًا أو مرفوضًا.

وذلك كقول بعض المنحرفيـن: «العالم يُسْـعِطُكَ الخلَّ والخردل، والعارف يُنشقك المِسْكَ والعنبر»!

قال: ومعنى هذا: أنَّك مـع العالم في تعب، ومـع العارف في راحة، العارف يبسط عذر العوالم والخلائق، والعالم يلوم، وقد قيل: من نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم، ومن نظر إليهم بعين المعرفة عذرهم[1]!

(١) أذكر أنِّي قرأت هذا النص في قسم التصوف من كتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا.

QaradawiBooks.com

يقول الإمام ابن القَيِّم معقبًا على هذا الكلام الخطير: «فانظر ما تضمَّنه هذا الكلام ـ الَّذي ملمسه ناعم، وسمُّه زُعافٌ قاتل ـ من الانحلال عن الدين، ودعوى الراحة من حكم العبودية، والتماس الأعذار لليهود والنصارى وعباد الأوثان، والظلمة والفجرة، وأن أحكام الأمر والنهي ـ الواردين على ألسن الرسل ـ للقلوب بمنزلة سعط الخل والخردل، وأن شهود الحقيقة الكونيَّة الشاملة للخلائق، والوقوف عليها، والانقياد لحكمها، بمنزلة تنشيق المسك والعنبر.

فلْيَهْنِ الكفَّار والفجَّار والفسَّاق انتشاق هذا المسك والعنبر إذا شهدوا هذه الحقيقة وانقادوا لحكمها!

ويا رحمةً للأبرار المُحَكِّمين لما جاء به الرسول ﷺ من كثرة سُعُوطهم بالخَلِّ والخردل!

فإنَّ قوله ﷺ هذا يجوز، وهذا لا يجوز، وهذا حلال وهذا حرام، وهذا يُرضي الله، وهذا يُسْخِطه؛ خَلٌّ وخَرْدَلٌ عند هؤلاء الملاحدة، وإلَّا فالحقيقة تُشهدك الأمر بخلاف ذلك.

ولذلك إذا نظرت عندهم إلى الخلق بعين الحقيقة عذرت الجميع، فتعذر من توعَّده الله ورسوله أعظم الوعيد، وتهدَّده أعظم التهديد.

ويا لله العجبَ! إذا كانوا معذورين في الحقيقة، فكيف يُعَذِّب الله سبحانه المعذور، ويُذيقه أشدَّ العذاب؟

وهلَّا كان الغنيُّ الرحيم أولى بعذره من هؤلاء؟»[1] اهـ.

(١) مدارج السالكين (١٥٨/٣، ١٥٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **كلام الألوسي:**

ومن المتأخِّرين الَّذين عُنُوا بدراسة موضوع الإلهام: العلَّامة شهاب الدِّين الألوسي، وذلك في تفسيره المعروف باسم «رُوح المعاني»، وفي سورة الكهف عند ذكر قصَّة الخضر عليه السلام، ونقل نقولًا مهمة في الموضوع عن الصوفيَّة المعتبرين، يحسن بنا أنْ نسجِّلها هنا.

قال رحمه الله: «استدلَّ بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] القائلون بنبوَّته ـ أي الخَضِر عليه السلام ـ وهو ظاهر في ذلك، واحتمال أن يكون هناك نبيٌّ أمره بذلك عن وحي ـ كما زعمه القائلون بولايته ـ احتمالٌ بعيد، على أنَّه ليس في وصفه بقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] على هذا كثير فائدة.

بل قد يقال: أي فائدة في هذا العِلم اللَّدُني إذا احتاج في إظهار العجائب لموسى عليه السلام إلى توسيط نبيٍّ مثله.

وقال بعضهم: كان ذلك عن إلهام، ويلزمه القول بأنَّ الإلهام كان حُجَّة في بعض الشرائع، وأنَّ الخَضِر من المُكَلَّفين بتلك الشريعة، وإلَّا فالظاهر أنَّ حُجِّيَّته ليست في شريعة موسى عليه السلام، وكذا هو ليس بحُجَّة في شريعتنا على الصحيح، ومن شذَّ وقال بحُجِّيَّته، اشترط لذلك ألَّا يُعَارضه نصٌّ شرعي، فلو أطلع الله تعالى بالإلهام بعض عباده على نحو ما أطلع عليه الخضر عليه السلام من حال الغلام، لم يَحِلَّ له قتلُه.

وما أخرجه الإمام أحمد عن عطاء أنَّه قال: كتب نَجْدَة الحَرُورِي إلى ابن عبَّاس يسأله عن قتل الصبيان، فكتب إليه: «إن كنتَ الخَضِر تعرف

الكافر من المؤمن فاقتُلْهم»[1]، إنَّما قصد به ابن عبَّاس ـ كما قال السُّبكي ـ المحاجَّة والإحالة على ما لم يمكن؛ قطعًا لطمعه في الاحتجاج بقصَّة الخضر، وليس مقصوده رضي الله تعالى عنه أنَّه إن حصل ذلك يجوز القتل...

فما قاله اليافعي في روضه من أنَّه لو آذن الله تعالى لبعض عباده أن يلبس ثوبَ حريرٍ مثلًا، وعلم الإذن يقينًا فلبسه، لم يكن منتهكًا للشرع، وحصول اليقين له من حيث حصوله للخَضِر بقتله للغلام؛ إذ هو وليٌّ لا نبيٌّ على الصحيح. اهـ. عثرة يكاد ألَّا يقال لصاحبها: لعلَّ؛ لأنَّ مظنَّة حصول اليقين اليوم الإلهام، وهو ليس بحُجَّة عند الأئمَّة، ومن شذَّ اشترط ما اشترط، وحصوله بخبر عيسى عليه السلام إذا نزل متعذر؛ لأنَّه عليه السلام ينزل بشريعة نبينا ﷺ، ومن شريعته تحريم لبس الحرير على الرجال إلَّا للتداوي، وما ذكره من نفي نبوة الخضر لا يعول عليه ولا يلتفت إليه.

قال الألوسي: وممَّن صرح بأنَّ الإلهام ليس بحُجَّة من الصوفيَّة الإمام الشعراني وقال: قد زلَّ في هذا الباب خلقٌ كثير، فضلُّوا وأضلُّوا، ولنا في ذلك مؤلَّف سمَّيْتُه «حدَّ الحُسَامِ في عنق من أطلق إيجاب العمل بالإلهام»، وهو مجلدٌ لطيف. اهـ

وقال أيضًا في كتابه المسمى بـ «الجواهر والدرر»: قد رأيت من كلام الشيخ محيي الدين ـ قُدِّس سِرُّه ـ ما نصُّه: اعلمْ أنَّا لا نعني بمَلَك الإلهام حيث أطلقناه إلَّا الدقائق الممتدة من الأرواح المَلَكيَّة لا نفس الملائكة، فإنَّ المَلَك لا ينزل بوحيِ مَحَلٍّ غير قلب نبيٍّ أصلًا، ولا يأمر بأمر إلٰهي جملة واحدة، فإنَّ الشريعة قد استقرَّت وتبيَّن الفرض والواجب وغيرهما، فانقطع الأمر الإلٰهي بانقطاع النبوَّة والرسالة، وما بقي أحد يأمره الله

(١) سبق تخريجه صـ ٦٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تعالى بأمر يكون شرعًا مستقلًّا يتعبد به أبدًا؛ لأنَّه إن أمره بفرض كان الشارع قد أمر به، وإن أمر بمباحٍ فلا يخلو إمَّا أن يكون ذلك المباح المأمورٌ به صار واجبًا أو مندوبًا في حقه، فهذا عين نسخ الشرع الذى هو عليه، حيث صيَّر المباح الشرعي واجبًا أو مندوبًا، وإن أبقاه مباحًا كما كان، فأيُّ فائدة للأمر الَّذي جاء به ملك الإلهام لهذا المدعي؟! فإن قال: لم يجئني ملك الإلهام بذلك، وإنَّما أمرني الله تعالى بلا واسطة قلنا: لا يصدق في مثل ذلك، وهو تلبيس من النفس، فإن ادعى أنَّ الله سبحانه كلَّمه كما كلم موسى عليه السلام فلا قائل به، ثمَّ إنَّه تعالى لو كلمه ما كان يلقي إليه في كلامه إلَّا علومًا وأخبارًا، لا أحكامًا وشرعًا، ولا يأمره أصلًا. اهـ

• **من كلمات مُجدِّد الألف الثاني:**

قال الألوسي وقد صرَّح الإمام الربَّاني مجدِّد الألف الثاني[1] في «المكتوبات» في مواضع عديدة بأنَّ الإلهام لا يُحِلُّ حرامًا ولا يُحَرِّم حلالًا، ويُعْلَم من ذلك أنَّه لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن، وكلامه قُدِّس سِرُّه في «المكتوبات» طافح بذلك.

ففي المكتوب الثالث والأربعين من المُجَلَّد الأول: أنَّ قومًا مالوا إلى الإلحاد والزندقة، يتخيَّلون أنَّ المقصود الأصليَّ وراء الشريعة، حاشا وكلا، ثمَّ حاشا وكلَّا، نعوذ بالله سبحانه من هذا الاعتقاد السوء، فكلٌّ من

(١) هو الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، مجدِّد الإسلام في الهند في عصره، والمؤثِّر في ملوكها، ومغير طريقتهم من الانحراف عن الإسلام والعداء له، إلى الولاء له والالتزام بأحكامه، ذكره الشيخ أبو الحسن الندوي في رسالته: منهج أفضل للإصلاح صـ ١٣، ١٤، نشر المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، الهند، ط ٢، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، وذكره المودودي في رسالة: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه صـ ٩١ وما بعدها، نشر دار الفكر الحديث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

الطريقة والشريعة عينُ الآخَر، لا مخالفة بينهما بقدر رأس الشَّعيرة، وكل ما خالف الشريعة مردود، وكلُّ حقيقة ردَّتها الشريعة فهي زندقة!

وقال في أثناء المكتوب الحـادي والأربعين من المُجَلَّد الأوَّل أيضًا في مبحث الشـريعة والطريقة والحقيقة: مثلًا عدم نطق اللسان بالكذب شـريعة، ونفي خاطر الكذب عن القلب؛ إن كان بالتكلُّف والتعمُّد فهو طريقة، وإن تيسَّر بلا تكلُّف فهو حقيقة، ففي الجملة: الباطن ـ الَّذي هو الطريقة والحقيقة ـ مُكَمِّل الظاهر، الَّذي هو الشـريعة، فالسالكون سبيلَ الطريقةِ والحقيقة إن ظهر منهم في أثناء الطريـق أمورٌ ظاهرها مخالِفٌ للشريعة، ومنافٍ لها، فهو من سُكْر الوقت، وغلبة الحال، فإذا تجاوزوا ذلك المقام ورجعوا إلى الصَّحْو، ارتفعت تلك المنافاة بالكُلِّيَّة، وصارت تلك العلوم المضادَّة بتمامها هباءً منثورًا.

وقال ـ نفعنا الله تعالى بعلومه ـ في أثناء المكتوب السادس والثلاثين من المُجَلَّد الأوَّل أيضًا: للشريعة ثلاثة أجزاء: علم وعمل وإخلاص، فما لم تتحقق هذه الأجزاء لم تتحقَّق الشريعة، وإذا تحققت الشريعة حصل رضـا الحق سـبحانه وتعالى، وهـو فرق جميـع السـعادات الدنيوية والأخرويـة: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، فالشـريعة مُتَكَفِّلة بجميع السـعادات، ولم يبق مطلب وراء الشـريعة، فالطريقة والحقيقة اللتان امتـاز بهما الصوفيَّة كلتاهما خادمتان للشـريعة في تكميل الجزء الثالث، الَّذي هو الإخلاص، فالمقصود منهما تكميل الشريعة لا أمر آخر وراء ذلك، إلى آخر ما قال.

وقال ـ عليه الرحمة ـ في أثناء المكتوب التاسـع والعشـرين من المُجَلَّد المذكور بعد تحقيقٍ كثير: فتقرَّر أنَّ طريق الوصول إلى درجات

QaradawiBooks.com

القرب الإلٰهي ـ سواء أكان قرب النبوَّة أو قرب الولاية ـ منحصر في طريق الشريعة الَّتي دعا إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصار مأمورًا بها في آية: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، تدلُّ على ذلك أيضًا، وكل طريق سوى هذا الطريق ضلال، ومنحرف عن المطلوب الحقيقي، وكل طريقة ردتها الشريعة فهي زندقة، وشاهد ذلك آية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)]، وآية: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥][(٢)]، وحديث: «خطَّ لنا النبي ﷺ ...» الخبر[(٣)]، وحديث: «**كُلُّ بدعةٍ ضلالة**»[(٤)]، وأحاديث أخر إلى آخر ما قال عليه رحمة الملك المتعال.

وقال قُدِّس سِرُّه في معارف الصوفيَّة:

«اعلم أنَّ معارف الصوفيَّة وعلومهم في نهاية سيرهم وسلوكهم، إنَّما هي علوم الشريعة، لا أنَّها علوم أخر غير علوم الشريعة، نعم يظهر في أثناء الطريق علوم ومعارف كثيرة، ولكن لا بدَّ من العبور عنها، ففي نهاية النهايات علومهم علوم العلماء، وهي علوم الشريعة».

---

(١) تتمتها: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

(٢) تتمتها: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

(٣) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢/٢٣٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١/١٧٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

QaradawiBooks.com

وقال أيضًا: «اعلمْ أنَّ الشريعة والحقيقة متَّحدان في الحقيقة، ولا فرق بينهما إلَّا بالإجمال والتفصيل، وبالاستدلال والكشف، وبالغيب والشهادة، وبالتعمُّل وعدم التعمُّل، وللشريعة من ذلك الأول، وللحقيقة الثاني، وعلامة الوصول إلى حقيقة حق اليقين: مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها، وما دامت المخالفة موجودة ولو أدنى شعرة فذلك دليل على عدم الوصول، وما وقع في عبارة بعض المشايخ من أنَّ الشريعة قشر والحقيقة لب فهو ـ وإن كان مشعرًا بعدم استقامة قائله ـ ولكن يمكن أن يكون مراده أنَّ المجمل بالنسبة إلى المفصل حكمه حكم القشر بالنسبة إلى اللب، وأنَّ الاستدلال بالنسبة إلى الكشف كذلك، والأكابر المستقيمة أحوالهم لا يجوِّزون الإتيان بمثل هذه العبارات الموهمة» اهـ.

- **من كلمات كبار الصوفيَّة:**

قال الألوسي: «وقال سيدي القطب الربَّاني الشيخ عبد القادر الكيلاني: جميع الأولياء لا يستمدُّون إلَّا من كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يعملون إلَّا بظاهرهما.

وقال سيِّد الطائفة الجُنَيْد: الطرق كلُّها مسدودة إلَّا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام[1].

وقال أيضًا: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا العلم؛ لأنَّ علمنا مقيَّد بالكتاب والسُّنَّة[2].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٤.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٥.

QaradawiBooks.com

وقال السَّرِي السَّقَطي: التصوُّف اسم لثلاثةِ معانٍ، وهو لا يُطْفِئ نورُ معرفته نورَ وَرَعــه، ولا يتكلَّم بســرٍّ باطنٍ في علم ينقضــه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله[١].

وقال أيضًا قُدِّس سِــرُّه: من ادَّعى باطنَ علمٍ ينقضه ظاهرُ حكم فهو غالط[٢].

وقال أبو الحسين النوري: من رأيتُه يدعي مع الله تعالى حالة تخرجه عند حدِّ العلم الشــرعي فلا تقربه، ومن رأيته يدَّعي حالة لا يشــهد لها حفظ ظاهر، فاتَّهِمه على دِينه.

وقال أبو سعيدٍ الخرَّاز: كلُّ فيض باطن يُخالفه ظاهرٌ فهو باطل.

وقال أبو العبَّاس أحمد الدِّينَوَري: لسانُ الظاهر لا يُغَيِّر حُكْمَ الباطن[٣].

وفي «التُّحفة» لابن حجر: قال الغزالي: من زعم أنَّ له مع الله تعالى حالًا أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم شــرب الخمر: وجب قتلُه، وإن كان في الحُكْم بخلوده في النــار نظر، وقتلُ مِثْلِه أفضــلُ من قتل مائة كافر؛ لأن ضرره أكثر!

قال ابن حجــر الهَيْتَمِي: ولا نظر في خلوده؛ لأنَّه مرتدٌّ لاســتحلاله ما عُلِمَتْ حرمتُه، أو نَفْيِه وجوبَ ما عُلِمَ وجوبه ضرورة فيهما، ومن ثمَّ جزم في الأنوار بخلوده[٤].

(١) الرسالة القشيرية (٤٥/١، ٤٦).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٢١/١٠).
(٣) الرسالة القشيرية (١٤٣/١).
(٤) انظر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٨٨/٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال في «الإحياء»: من قال: إنَّ الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، إلى غير ذلك، وفي رسالة القُشَيْرِيِّ طَرَف منه»[(١)].

قال الألوسي: «والَّذي ينبغي أن يُعْلَم أن كلام العارفين المُحَقِّقين وإن دلَّ على أنَّه لا مخالفة بين الشريعة والطريقة والحقيقة في الحقيقة، لكنَّه يدلُّ أيضًا على أن في الحقيقة كشوفًا وعلومًا غيبيَّة، ولذا تراهم يقولون: علم الحقيقة هو العِلم اللَّدُني، وعلم المكاشفة، وعلم الموهبة، وعلم الأسرار، والعلم المكنون، وعلم الوراثة، إلَّا أنَّ هذا لا يدلُّ على المخالفة، فإنَّ الكشوف والعلوم الغيبيَّة ثمرة الإخلاص، الَّذي هو الجزء الثالث من أجزاء الشريعة، فهي بالحقيقة مُتَرَتِّبة على الشريعة ونتيجة لها، ومع هذا لا تُغَيِّر تلك الكشوف والعلوم الغيبيَّة حُكْمًا شرعيًّا، ولا تُقَيِّد مطلقًا، ولا تطلق مُقَيَّدًا، خلافًا لما توهَّمه «ساجقلي زاده»، حيث قال في شرح عبارة «الإحياء» السابقة آنفًا: يريد الغزالي من الباطن ما ينكشف لعلماء الباطن من حِلِّ بعض الأشياء لهم، مع أنَّ الشارع حرَّمه على عباده مطلقًا، فيجب أن يقال: إنَّما انكشف حلُّه لهم لما انكشف لهم من سبب خَفِيٍّ يُحَلِّله لهم، وتحريم الشارع تعالى ذلك على عباده مُقَيَّد بانتفاء انكشاف السبب المُحَلِّل لهم، فمن انكشف له ذلك السبب حلَّ له، ومن لا فلا!

لكن الشارع سبحانه حَرَّمه على عباده على الإطلاق، وترك ذلك القيد لنُدْرة وقوعه؛ إذ من ينكشف له قليل جدًّا. مثاله: انكشاف مَحَلِّ خَرْق السفينة، وقتل الغلام للخَضِر عليه السلام، فحلَّ له بذلك الانكشاف الخَرْق والقَتْل، وحِلُّهما له مخالفٌ لإطلاق نهي النبيِّ صلى الله تعالى

(١) إحياء علوم الدين (١/١٠٠).

QaradawiBooks.com

عليه وسلم أُمَّته عن الضَّرر، وعن قتل الصبيِّ، لكنَّهما مُقَيَّدان، فالأوَّل مُقَيَّد بما إذا لم يُعْلَم هناك غاصب مثلًا، والثاني بما إذا لم يُعْلَم أنَّ الصبي سيصير ضالًّا مُضِلًّا، لكنَّ الشارع ترك القَيْدَيْن لندرة وقوعهما، واعتمادًا على فهم الراسخين في العلم إيَّاهما. إلى آخر ما قال، فإنَّ النصوص السابقة تنادي بخلافه كما سمعت.

ثم إنَّ تلك الغيوب والمكاشفات، بل سائر ما يحصل للصوفيَّة من التجلِّيات، ليست من المقاصد بالذات، ولا يقف عندها الكامل، ولا يلتفت إليها، وقد ذكر الإمام الربَّاني في المكتوب السادس والثلاثين المتقدِّمِ نقلُ بعضه: أنَّها تُرَبَّى بها أطفال الطريق! وأنَّه ينبغي مجاوزتها، والوصول إلى مقام الرضا، الَّذي هو نهاية مقامات السلوك، وهو عزيزٌ لا يصل إليه إلَّا واحدٌ من ألوف، ثمَّ قال: إنَّ الَّذين هم قليلو النظر يعدُّون الأحوال والمواجيد من المقامات والمشاهدات والتجلِّيات من المطالب، فلا جَرَم بقوا في قيد الوهم والخيال، وصاروا محرومين من كمالات الشريعة... ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]» اهـ.

• **موقف الكاملين في الشريعة:**

قال العلَّامة الألوسي: «ويعلم منه أنَّ الكاملين في الشريعة يَعْبُرون على ذلك، ولا يلتفتون إليه، ولا يَعُدُّونه مقصدًا، وجُلُّ مقصدهم تحصيل مقام الرضا.

وقد يُحْجَب الكامل عن جميع ذلك، ويلحق من هذه الحيثية بعوامِّ النَّاس، ويُعْلَم ممَّا ذكر أن موسى عليه السلام أكملُ من الخَضِر، وأعلميَّة الخَضِر عليه السلام بعلم الحقيقة كانت بالنسبة إلى الحالة الحاضرة، فإنَّ

QaradawiBooks.com

موسى عليه السلام عَبَر على ذلك، ولم يقفْ عنده؛ لأنَّه في مقام التشريع، ولعلَّ طلبه التعليم كان بالأمر ابتلاءً له بسبب تلك الفلتة.

وقد ذكروا: أنَّ الكامل كلَّما كان صعوده أعلى كان هبوطه أنزل، وكلَّما كان هبوطه أنزل كان في الإرشاد أكملَ، وفي الإفاضة أتمَّ، لمزيد المناسبة حينئذٍ بين المرشد والمسترشد.

ولهذا قالوا فيما يُحْكَى أنَّ الحسن البصري وقف على شطِّ نهر ينتظر سفينة، فجاء حبيبٌ العجمي فقال له: ما تنتظر؟ فقال: سفينة، فقال: أيُّ حاجة إلى السفينة؟ أما لك يقين؟ فقال الحسن: أما لك علم؟ ثمَّ عبر حبيبٌ على الماء بلا سفينة، ووقف الحسن: إنَّ الفضل للحسن، فإنَّه كان جامعًا بين علم اليقين وعين اليقين، وعرف الأشياء كما هي وفي نفس الأمر، وجعلت القدرة مستورة خلف الحكمة، والحكمة في الأسباب، وحبيب صاحب سُكْر، لم يرَ الأسباب، فعومل برفعها.

ومن هنا يظهر سرُّ قلَّة الخوارق في الصحابة، مع قول الإمام الربَّاني: إنَّ نهاية أُوَيْس سيِّد التابعين بداية وَحْشِي قاتل حمزة يوم أسلم، فما الظنَّ بغير أويسٍ مع غير وحشي؟».

قال الألوسي: «وأنا أقول: إنَّ الكامل وإن كان من علمت إلَّا أنَّ فوقه الأكمل، وهو من لم يزل صاعدًا في نزوله، ونازلًا في صعوده، وليس ذلك إلَّا رسول الله ﷺ، ولولا ذلك ما أمدَّ العالَم العُلْوي والسُّفْلي، وهذا مرجع الحقيقة والشريعة له عليه الصلاة والسلام على الوجه الأتمِّ، كما أشرنا إليه سابقًا، والحمد لله تعالى على أن جعلنا من أُمَّته وذُرِّيَّته.

ولا يعكر على ما ذكرنا ما قاله الإمام الغزالي في «الإحياء»، وهو: أنَّ علم الآخرة قسمان: علم مُكاشفة، وعلم مُعاملة. أمَّا علم المكاشفة: فهو

QaradawiBooks.com

علم الباطن، وهو غاية العلوم، وهو علم الصِّدِّيقين والمقرَّبِين، هو عبارة عن نورٍ يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من الصفات المذمومة، وينكشف بذلك ما كان يسمع من قبل أسمائها، ويتوهَّم لها معاني مجملة غير متَّضحة، فتتضح إذ ذاك، حتَّى تحصل المعرفة بذات الله تعالى وبصفاته التامَّات، وبأفعاله وبحكمته في خلق الدُّنْيا والآخرة[1] اهـ. لأنَّ المراد أن ذلك من علم الباطن الَّذي هو علم الحقيقة، وهذا البعض لا يمكن أن يخلو منه نبي، كيف ورتبة الصديقين دون رتبة الأنبياء عليهم السلام، كما قرَّروه في آية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وممَّا ذكرنا ـ من عدم المخالفة بين الشريعة والحقيقة ـ يُعْلَم ما في كلام البُلْقَيْني في دفع ما استشكله من قول الخَضِر لموسى عليه السلام بـ «**إنِّي على عِلْم...**» الحديث السابق[2]، حيث زعم أنَّه يدلُّ بظاهره على امتناع تعليم العِلْمَين معًا، مع أنَّه لا يمتنع. وأجاب بأنَّ علم الكشوف والحقائق يُنافي علم الظاهر، فلا ينبغي للعالِم الحاكم بالظاهر أن يَعْلَم الحقائق للتنافي، وكذا لا ينبغي للعالِم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر، والَّذي ليس مُكَلَّفًا به، وينافي ما عنده من الحقيقة» اهـ.

ولَعَمْري لقد أخطأ فيما قال، وبالحقِّ تُعْرَف الرجال، وكأنَّه لم يعتمد عليه، فأردفه بجوابٍ آخر، هو خلاف الظاهر.

وأنت تعلم أنَّه لا حاجة إلى شيء من ذلك والاستشكال من ضعف النظر.

---

(١) إحياء علوم الدين (١/١٩، ٢٠).

(٢) سبق تخريجه صـ٦١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم إنَّ قصَّة الخضر عليه السلام لا تصلح حُجَّة لمن يزعم المخالفة بين العِلْمَيْن، فإنَّ أعظم ما يشكل فيها قتل الغلام؛ لكونه طُبِع كافرًا، وخشي من بقائه حيًّا ارتداد أبويه، وذلك أيضًا شريعة، لكنَّها مخصوصة به عليه السلام؛ لأنَّه كما قال العلَّامة السُّبْكي: أُوحي إليه أن يعمل بالباطن وخلافِ الظاهر الموافق للحكمة، فلا إشكال فيه، وإن عُلِمَ من شريعتنا أنَّه لا يجوز لأحدٍ كائنًا مَن كان قتْل صَغِير، لا سيَّما بين أبوين مؤمنين، وكيف يجوز قتله بسببٍ لم يحصل، والمولود لا يوصف بكفرٍ حقيقيٍ ولا إيمانٍ حقيقي؟ واتِّفاق الشرائع في الأحكام ممَّا لم يذهب إليه أحد من الأنام، فضلًا عن العلماء الأعلام.

وهذا ظاهر على القول بنُبُوَّته، وأمَّا على القول بولايته فيقال: إنَّ عمل الوليِّ بالإلهام كان إذ ذاك شرعًا، أو كما قيل: إنَّه أُمِرَ بذلك على يد نبيٍّ غير موسى عليه السلام.

وأمَّا إقامة الجدار بلا أجر، فلا إشكال فيها؛ لأنَّها إحسان، وغاية ما يُتَخَيَّل أنَّه للمسيء، فليكنْ كذلك، ولا ضيرَ، فإنَّه من مكارم الأخلاق.

وأمَّا خرق السفينة لتسلم من غصب الظالم، فقد قالوا: إنَّه ممَّا لا بأس به، حتَّى قال العزُّ بن عبد السلام: إنَّه إذا كان تحت يد الإنسان مال يتيمٍ أو سفيهٍ أو مجنون، وخاف عليه أن يأخذه ظالم يجب عليه تعييبه لأجل حفظه، وكان القولُ قولَ من عَيَّب مال اليتيم ونحوه إذا نازعه اليتيم ونحوه بعد الرشد ونحوه في أنَّه فعله لحفظه على الأوجه، كما قاله القاضي زكريا في «شرح الروض» قُبَيْل باب الوديعة.

ونظير ذلك ما لو كان تحت يده مال يتيم مثلًا، وعلم أنَّه لو لم يبذلْ منه شيئًا لقاضي سوءٍ لانتزعه منه، وسلَّمه لبعض الخونة، وأدَّى ذلك إلى

QaradawiBooks.com

ذهابه، فإنَّه يجب عليه أن يدفع إليه شيئًا، ويتحرى في أقل ما يمكن إرضاؤه به، ويكون القول قوله أيضًا.

وقال بعضهم: قُصارى ما تدلُّ عليه القصَّة ثبوت العلم الباطن، وهو مُسَلَّم، لكن إطلاق الباطن عليه إضافي كما تقدَّم، وكان في قوله ﷺ: «**إنَّ من العلم كهَيْئَة المكنون لا يعرفه إلَّا العلماء بالله تعالى، فإذا قالوه لا ينكره إلَّا أهل الغِرَّة بالله تعالى**»[(١)]، إشارة إلى ذلك، والمراد بأهل الغرة: علماء الظاهر الَّذين لم يؤتوا ذلك.

وبعض مثبتيه يستدلُّون بقول أبي هُرَيْرة: «حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين من العلم، فأمَّا أحدهما فبثثتُه، وأمَّا الآخر فلو بثثتُه لقُطِعَ مِنِّي هذا البلعوم»[(٢)]. واستدلَّ به أيضًا على المخالفة بين العلمين.

وأنت تعلم أنَّه يحتمل أن يكون أراد بالآخر الَّذي لو بثَّه لقُتِلَ علمَ الفتن، وما وقع من بني أُمَيَّة، وذمِّ النبيِّ ﷺ لأناسٍ مُعَيَّنين منهم، ولا شكَّ أنَّ بثَّ ذلك في تلك الأعصار يجرُّ إلى القتل.

وعلى تسليم أنَّه أراد به العلم الباطن المُسَمَّى بعلم الحقيقة، لا نسلم أن قطع البلعوم منه على بثِّه لمخالفته للعلم الظاهر في نفس الأمر، بل لتوهُّم من بيده الحلُّ والعَقْد والأمر والنهي من أمراء ذلك الزمان المخالفة، فافهمْ»[(٣)].

* * *

(١) رواه أبو عبد الرحمٰن السلمي في الأربعون في التصوف صـ ١٣، نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط ٢، ١٩٨١م. وضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٢٩.

(٢) رواه البخاري في العلم (١٢٠)، عن أبي هريرة موقوفًا.

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (٣٣٩/٨ ـ ٣٤٤).

QaradawiBooks.com

٥

اعتبار الصوفيَّة الكشف هو غاية الغايات واتِّخاذهم إليه طرقًا غير شرعيَّة

ومن الانحرافات الَّتي وقع فيها الصوفيَّة في موضوع الكشف والإلهام والفيض: اعتبارهم ذلك هو الغاية الَّتي إليها يشمِّرون، وعليها يحرصون، فكأنَّما عبادتهم وذكرهم لحظِّ أنفسهم فيما يَرِدُ عليهم من فَيْضٍ، وما يتجلَّى لهم من كشف، لا لحقِّ ربِّهم عليهم، وواجب عبوديتهم له، كما أنَّهم يسلكون إلى هذه الغاية طريقًا لم يشرعه الرسول ﷺ، ولا أمر به، ولا سلكه أصحابه، وتابعوهم بإحسان.

وأبلغ من عبَّر عن ذلك هو الإمام الغزالي في «الإحياء»، وقد أطال في ذلك وأفاض، ولا بدَّ لنا أن ننقل أهمَّ كلامه هنا لنناقشه فيه رضي الله عنه.

• موقف الإمام الغزالي من الكشف والإلهام:

أحسن الإمام أبو حامد الغزالي حين جعل «كتاب العلم» أوَّل كتاب في موسوعته الشهيرة «إحياء علوم الدين» الَّتي تحوي في الحقيقة أربعين كتابًا موزَّعة على أرباع أربعة: في العبادات، والعادات، والمهلكات، والمنجيات.

كما أنَّه جعل «العلم» في آخر كتاب صنَّفه ـ وهو «منهاج العابدين» ـ أوَّل «عقبة» يجب أنْ يجتازها العابد أو السالك في طريقه إلى مرضاة ربه.

QaradawiBooks.com

وقد أفاض في «كتاب العلم» من «الإحياء» عن فضيلة العلم والتعلم والتعليم وما يتعلق به، وتكلَّم عن العلم المحمود والعلم المذموم، والعلم المفروض طلبه فرضًا عينيًّا أو كفائيًّا، والفرق بين علم الدنيا، وعلم طريق الآخرة، وبين علماء الدُّنْيا وعلماء الآخرة، وعرض لما تبدَّل من أسامي العلوم كالفقه والتوحيد وغيرهما.

وله في ذلك بحوث وتحقيقات لم يسبق إليها، جديرة بالغزالي الفقيه الأصولي المحقق، وإن لم يخلُ بعضها من تعقُّب، مثل حديثه عن الطبِّ والعلوم والتعمُّق فيها، إذ يراه توسعًا غير لازمٍ ولا مطلوب، فرأيه يحمل طابع عصره، وكذلك رأيه في دراسة الأدب والشعر، وإنكاره على من تخصَّص أو تبحَّر في ذلك، وقد ناقشته في الأمرين في كتابي «الرسول والعلم»[1].

بيد أنَّ أهمَّ ما تعرَّض له في كتابه حول العلم والمعرفة، وأشدَّه خطرًا على العقل الإسلامي، والسلوك الإسلامي، هو: ما ذكره بعد ذلك ـ في كتاب «شرح عجائب القلب» من الربع الثالث ـ عن الكشف أو الإلهام، أو المعرفة الَّتي يسعى إليها أهل التصوُّف، وطريق الوصول إليها.

فقد أفرد لذلك عدَّة فصولٍ أو مباحث نذكر هنا أهمَّها، لنناقشه فيه، فقد علَّمنا هو في كتبه ألَّا نعرف الحق بالرجال، بل نعرف الحق بأدلَّته فنعرف أهله.

كتب رَحِمَهُ اللَّهُ في أحد مباحثه مبحثًا عنوانه: «بيان الفرق بين الإلهام والتعلُّم، والفرق بين طريق الصوفيَّة في استكشاف الحقِّ وطريق النظار»

(١) انظر: الرسول والعلم صـ ٩٠ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

قال فيه: «اعلمْ أنَّ العلوم الَّتي ليست ضروريَّة ـ وإنَّما تحصل في القلب في بعض الأحوال ـ تختلف الحال في حصولها، فتارة تهجم على القلب كأنَّه أُلْقِـيَ فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسـب بطريق الاسـتدلال والتعلُّم، فالَّذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يُسمَّى إلهامًا، والَّذي يحصل بالاستدلال يُسمَّى اعتبارًا واستبصارًا.

ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنَّه كيف حصل له؟ ومن أين حصل؟ وإلى ما يطَّلع معه على السـبب الَّذي منه اسـتفاد ذلك العلم. وهو مشاهدة المَلَك الملقى فـي القلب. والأول يُسـمَّى إلهامًا ونفثًا في الـروع، والثاني: يُسـمَّى وحيًا، وتختـصُّ بـه الأنبيـاء. والأوَّل يختصُّ بـه الأولياء والأصفياء[1]، والَّذي قبله ـ وهو المكتسب بطريق الاستدلال ـ يختصُّ به العلماء.

وحقيقة القول فيه أنَّ القلب مستعدٌّ لأنْ تتجلَّى فيه حقيقة الحقِّ في الأشـياء كلِّها، وإنَّما حيل بينه وبينها بالأسـباب الخمسـة ـ الَّتي سبق ذكرها ـ فهي كالحجاب المُسْـدَل الحائل بين مـرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الَّـذي هو منقوش بجميـع ما قضى الله به إلى يـوم القيامة، وتجلِّـي حقائق العلوم من مـرآة اللوح في مرآة القلـب يضاهي انطباع صورة من مرآةٍ في مرآةٍ تقابلها.

(١) ولكن من المقرر المعلوم: أنَّ الإلهام والنفث في الروع من طرق الوحي، وفي الحديث: «إن روح القدس نفث في روعي»، رواه الطبراني (١٦٦/٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٩٣): رواه الطبراني، وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامـع (٢٠٨٥)، عن أبي أمامة الباهلي. فهذا مشـترك بين الأنبياء والأولياء.

QaradawiBooks.com

فإذا عرفت هذا، فاعلمْ أنَّ ميل أهل التصوُّف إلى العلوم الإلهاميَّة دون التعليميَّة، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنَّفه المُصَنِّفون، والبحث عن الأقاويل والأدلَّة المذكورة، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلِّها، والإقبال بكُنْهِ الهمَّة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده، والمُتَكَفِّل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولَّى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النُّور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سرُّ الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغِرَّة بلُطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلٰهيَّة، فليس على العبد إلَّا الاستعداد بالتصفية المجرَّدة، وإحضار الهمَّة مع الإرادة الصادقة، والتعطُّش التامُّ، والترصُّد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالتعلُّم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا، والتبرِّي من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكُنْه الهمَّة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له.

وزعموا[1] أنَّ الطريق في ذلك أوَّلًا بانقطاع علائق الدُّنْيا بالكُلِّيَّة، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمَّة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العلم والولاية والجاه، بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كلِّ شيءٍ وعدمه، ثمَّ يخلو بنفسه في زاوية، مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهمِّ، ولا يُفَرِّق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمُّل في تفسير! ولا بكُتُبِ حديثٍ ولا غيره، بل يجتهد

(١) هكذا عبر الإمام الغزالي عن اعتقاد القوم!

QaradawiBooks.com

ألَّا يخطر بباله شيءٌ سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلًا بلسانه: الله، الله، على الدوام، مع حضور القلب، حتَّى ينتهي إلى حالةٍ يترك تحريك اللسان، ويرى كأنَّ الكلمة جارية على لسانه، ثمَّ يصبر عليه إلى أنْ يُمحى أثره عن اللسان، ويصادف قلبه مواظبًا على الذكر، ثمَّ يواظب عليه إلى أنْ يُمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقى معنى الكلمة مجرَّدًا في قلبه، حاضرًا فيه، كأنَّه لازم له، لا يفارقه، وله اختيار إلى أنْ ينتهي إلى هذا الحدِّ، واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس، وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى، بل هو بما فعله صار مُتَعَرِّضًا لنفحات رحمة الله، فلا يبقى إلَّا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق، وعند ذلك إذا صدقت إرادته، وصفت هِمَّته، وحسُنت مواظبته، فلم تجاذبه شهواته، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا، تلمع لوامع الحقِّ في قلبه، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت، ثمَّ يعود وقد يتأخَّر، وإن عاد فقد يثبت، وقد يكون مختطفًا، وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق، وقد يقتصر على فنٍّ واحدٍ. ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تُحصر كما لا يُحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم، وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير مَحْضٍ من جانبك وتصفية وجلاء، ثمَّ استعدادٍ وانتظارٍ فقط.

وأمَّا النُّظَّار وذوو الاعتبار: فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور، فإنَّه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء، ولكن استوعروا هذا الطريق، واستبطؤوا ثمرته، واستبعدوا استجماع شروطه، وزعموا أنَّ محو العلائق إلى ذلك الحدِّ كالمتعذِّر،

QaradawiBooks.com

وإن حصل في حال فثباته أبعد منه؛ إذ أدنى وسواس وخاطر يُشَوِّش القَلبُ، وقال رسول الله ﷺ: «**قلبُ المؤمنِ أشدُّ تقلُّبًا من القدر في غَلَيَانها**»(١)، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن**»(٢)، وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج، ويختلط العقل، ويمرض البدن، وإذا لم تتقدَّم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم، نشبت بالقلب خيالات فاسدة، تطمئنُّ النفس إليها مدَّة طويلة، إلى أنْ يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها، فكم من صوفيٍّ سلك هذا الطريق ثمَّ بقي في خيالٍ واحدٍ عشرين سنة، ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال، فالاشتغال بطريق التعلُّم أوثق وأقرب إلى الغرض، وزعموا أنَّ ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلُّم الفقه، وزعم أنَّ النَّبي ﷺ لم يتعلَّم ذلك، وصار فقيهًا بالوحي والإلهام من غير تكريرٍ وتعليق، وأنا أيضًا ربَّما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه، ومن ظنَّ ذلك فقد ظلم نفسه، وضيَّع عمره، بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنزٍ من الكنوز، فإنَّ ذلك ممكن ولكنَّه بعيد جدًّا، فكذلك هذا. وقالوا: لا بدَّ أوَّلًا من تحصيل ما حصَّله العلماء، وفهم ما قالوه، ثمَّ لا بأس بعد ذلك بالانتصار لما لم ينكشف لسائر العلماء، فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢٣٨١٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. والحاكم في التفسير (٢٨٩/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن المقداد بن الأسود.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٥٤)، عن عبد الله بن عمرو بلفظ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن».

(٣) إحياء علوم الدين (١٨/٣ ـ ٢٠)، ونلاحظ أنَّ الغزالي ذكر اعتراض النظار وذوي الاعتبار ولم يرد عليه!

QaradawiBooks.com

• شواهد الشرع على صحَّة طريق أهل التصوُّف:

ثم ذكر الغزالي بعد ذلك مبحثًا طويلًا جعل عنوانه: «بيان شواهد الشَّرع على صحَّة طريق أهل التصوُّف في اكتساب المعرفة لا من التعلُّم ولا من الطريق المعتاد» قال فيه:

«اعلم أنَّ من انكشف له شيءٌ ـ ولو الشيء اليسير ـ بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري، فقد صار عارفًا بصحَّة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به، فإنَّ درجة المعرفة فيه عزيزة جدًّا، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات:

أمَّا الشواهد، فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فكلُّ حكمةٍ تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلُّم فهو بطريق الكشف والإلهام.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢] من الإشكالات والشُّبَه، ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٣] يعلِّمه علمًا من غير تعلُّم ويفطِّنه من غير تجربة.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]، قيل: نورًا يُفَرِّق به بين الحقِّ والباطل، ويخرج به من الشبهات، ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ أعطني نورًا، وزدني نورًا، واجعلْ لي في قلبي نورًا، وفي قبري نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا**»... حتَّى قال: «**وفي شَعَري، وفي بَشَري، وفي لحمي، ودمي، وعظامي**»[(١)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وسئل ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، ما هذا الشرح؟ فقال: «**هو التوسعة، إنَّ النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح**»(١).

وقال ﷺ لابن عبَّاس: «**اللهم فَقِّهْه في الدين وعَلِّمه التأويل**»(٢).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «ما عندنا شيءٌ أسرَّه رسولُ الله ﷺ إلينا، إلَّا أن يؤتي الله تعالى عبدًا فهمًا في كتابه»(٣).. وليس هذا بالتعلُّم.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: إنَّه الفهم في كتاب الله.

وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] خصَّ ما انكشف باسم الفهم.

وكان أبو الدرداء يقول: «المؤمن ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق، والله إنَّه للحقُّ يقذفه الله في قلوبهم، ويُجريه على ألسنتهم»(٤).

وقال بعض السلف: ظنُّ المؤمن كهانة.

وقال ﷺ: «**اتَّقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله تعالى**»(٥)، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

---

(١) رواه الحاكم في الرقاق (٣١١/٤)، وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بقوله: عدي بن الفضل (أحد الرواة) ساقط. والبيهقي في الزهد (٩٧٤).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٧٥) بلفظ: «اللهم عَلِّمْه الكتاب» وبلفظ: «اللهم فَقِّهْه في الدين» (١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فَقِّهْه». «وعَلِّمْه التأويل» رواها أحمد (٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده على شرط مسلم.

(٣) رواه البخاري في العلم (١١١)، والنسائي في القسامة (٤٧٤٤).

(٤) قوت القلوب (٢٠٧/١، ٢٠٨).

(٥) سبق تخريجه صـ٤٥.

QaradawiBooks.com

وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**العلم علمان: فعلمٌ باطنٌ في القلب، فذلك هو العلم النافع**»(١).

وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن: ما هو؟ فقال: هو سِرٌّ من أسرار الله تعالى في قلوب أحبابه، لم يطلع عليه ملكًا ولا بشرًا.

وقد قال ﷺ: «**إنَّ من أمَّتي محدثين ومعلمين ومكلمين، وإنَّ عمر منهم**»(٢).

والقرآن مُصَرِّح بأنَّ التَّقوى مفتاح الهداية والكشف، وذلك علم من غير تعلُّم، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦] خصصها بهم.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الَّذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلًا، إنَّما العالم الَّذي يأخذ علمه من ربِّه أيَّ وقتٍ شاء بلا حفظٍ ولا درس، وهذا هو العلم الربَّاني، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]، مع أنَّ كل علم من لَدُنه، ولكنَّ بعضها بوسائط تعليم الخلق، فلا يسمَّى ذلك علمًا لَدُنِيًّا، بل اللَّدُني الَّذي ينفتح في سرِّ القلب من غير سببٍ مألوفٍ من خارج.

فهذه شواهد النقل، ولو جُمِعَ كلُّ ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٠٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٥٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٩): رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح.

(٢) سبق تخريجه صـ١٥.

QaradawiBooks.com

وأمَّا مشاهدة ذلك بالتجارب، فذلك أيضًا خارج عن الحصر، وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته: «إنَّما هما أخواكِ وأختاكِ»[(١)]، وكانت زوجته حاملًا فولدتْ بنتًا، فكان قد عرف قبل الولادة أنَّها بنت.

وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته: «يا ساريةُ، الجبلَ، الجبلَ»[(٢)]؛ إذ انكشف له أنَّ العدوَّ قد أشرف عليه، فحذره لمعرفته ذلك، ثمَّ بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلتُ على عثمان رضي الله عنه، وكنتُ قد لقيت امرأةً في طريقي، فنظرت إليها شزرًا وتأمَّلتُ محاسِنَها، فقال عثمان رضي الله عنه لمَّا دخلتُ: يدخل عليَّ أحدكم وأثر الزِّنَى ظاهرٌ على عينيه، أما علمتَ أنَّ زنى العينين النظر؟ لتتوبَنَّ أو لأُعَزِّرنَّكَ. فقلتُ: أوحيٌ بعد النبيِّ؟! فقال: لا، ولكنْ بصيرةٌ وبرهانٌ وفِراسةٌ صادقة.

وعن أبي سعيد الخرَّاز قال: دخلتُ المسجد الحرام فرأيتُ فقيرًا عليه خِرْقَتَان، فقلتُ في نفسي: هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس. فناداني، وقال: «والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه»[(٣)]، فاستغفرتُ الله في سِرِّي، فناداني، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥][(٤)]، ثمَّ غاب عَنِّي ولم أره.

وقال زكريَّا بن داود: دخل أبو العبَّاس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي، وهو عليلٌ، وكان ذا عيالٍ ولم يُعْرَفْ له سببٌ يعيش به، قال:

---

(١) رواه مالك في الأقضية (٢٧٨٣)، تحقيق الأعظمي، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٦١/٦).

(٢) رواه اللالكائي في كرامات الأولياء (٦٧)، والبيهقي في الاعتقاد صـ ٣١٤.

(٣) نص الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

(٤) وتتمتها: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلمَّا قمتُ قلتُ في نفسي: من أين يأكل هذا الرجل؟ قال: فصاح بي: يا أبا العبَّاس، رُدَّ هذه الهمَّة الدَّنِيَّة، فإنَّ لله تعالى ألطافًا خفيَّة.

وقال أحمد النقيب: دخلت على الشِّبْلِي فقال مفتونًا: يا أحمد. فقلت: ما الخبر؟ قال: كنتُ جالسًا فجرى بخاطري أنَّك بخيل، فقلتُ: ما أنا بخيل، فعاد مِنِّي خاطري، وقال: بل أنت بخيل، فقلت: ما فُتِحَ اليوم عليَّ بشيء إلَّا دفعته إلى أول فقير يلقاني. فقال: فما استتمَّ الخاطر حتَّى دخل عليَّ صاحبٌ لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارًا، فقال: اجعلها في مصالحك. قال: وقمتُ فأخذتها وخرجت، وإذا بفقيرٍ مكفوف بين يدي مُزَيِّن يحلق رأسه، فتقدَّمت إليه وناولته الدنانير، فقال: أعطها المُزَيِّن. فقلتُ: إنَّ جملتها كذا وكذا. قال: أوليس قد قلنا لك: إنِّك بخيل؟ قال: فناولتها المُزَيِّن، فقال المُزَيِّن: قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا ألَّا نأخذ عليه أجرًا. قال: فرميت بها في دجلة، وقلتُ: ما أعزَّكِ أحدٌ إلَّا أذلَّه الله ﷻ[1].

وقال حمزة بن عبد الله العلوي: دخلتُ على أبي الخير النيناني واعتقدتُ في نفسي أن أُسَلِّم عليه، ولا آكلَ في داره طعامًا، فلمَّا خرجتُ من عنده إذا به قد لحقني، وقد حمل طبقًا فيه طعام، وقال: يا فتى كُلْ، فقد خرجت الساعة من اعتقادِكَ. وكان أبو الخير النيناني هذا مشهورًا بالكرامات.

وقال إبراهيم الرَّقِّي: قصدتُه مُسلِّمًا عليه، فحضرتْ صلاة المغرب، فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويًا، فقلتُ في نفسي: ضاعت سَفْرَتي! فلما سلَّم خرجت إلى الطهارة، فقصدني سبع، فعدتُ إلى أبي الخير، وقلتُ:

(١) وهل هذا التصرف جائز شرعًا؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال؟ وهل خلت الدنيا من المستحقين غير هذا الفقير ومزينه؟!

QaradawiBooks.com

قصدني سبع! فخرج وصاح به وقال: ألم أقل لك لا تتعرَّضْ لضيفاني؟ فتنحَّى الأسد، فتطهَّرت، فلمَّا رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخِفْتُم الأسد، واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد!

وما حُكِيَ من تَفَرُّس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات النَّاس وضمائرهم يخرج عن الحصر[1]، بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخَضِر عليه السلام والسؤال عنه[2]، ومن سماع صوت الهاتف، ومن فنون الكرامات خارج عن الحَصْر، والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل.

والدليل القاطع الَّذي لا يقدر أحد على جحده أمران:

أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة، فإنَّه ينكشف بها الغيب، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضًا في اليقظة، فلم يفارق النوم اليقظة إلَّا في ركود الحواس، وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكم من مستيقظٍ غائصٍ لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه.

ثانيهما: إخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن، وإذا جاز ذلك للنبيِّ ﷺ جاز لغيره، إذ النبيُّ عبارة عن شخصٍ كوشف بحقائق الأمور وشُغِلَ بإصلاح الخلق، فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخصٌ مُكَاشَف بالحقائق، ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا يُسَمَّى وليًّا.

---

(١) ولكن هذا النوع يشترك فيه المسلمون وغير المسلمين، فليس بلازم أن يكون من دلائل التقوى.

(٢) القول الصحيح الذي قامت عليه الأدلَّة الشرعية أنَّ الخضر ليس حيًّا، وأنَّه مات قبل بعثة رسول الله ﷺ، كما دلَّل على ذلك ابن الجوزي وابن القيم وغيرهما. راجع كتابنا: فتاوى معاصرة (١/١٩٣ ـ ١٩٥)، نشر دار القلم بالكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

فمن آمن بالأنبياء، وصدق بالرؤيا الصحيحة، لزمه لا محالة أنْ يقر بأنَّ القلب له بابان: باب إلى خارج وهو الحواسُّ، وباب إلى الملكوت من داخل القلب، وهو باب الإلهام والنَّفْث في الرُّوع والوحي، فإذا أقرَّ بهما جميعًا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة، بل يجوز أن يكون المجاهدة سبيلًا إليه.

فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرنا، من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت.

وأمَّا السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوج إلى التعبير، وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة، فذلك أيضًا من أسرار عجائب القلب، ولا يليق ذلك إلَّا بعلم المكاشفة، فلنقتصر على ما ذكرناه، فإنَّه كافٍ للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها»[1].

• وقفة مع الإمام الغزالي:

وإنِّي مع حُبِّي للإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وإعجابي بعبقريَّته وإخلاصه؛ أقف عند كلامه هذا لمناقشته كما ناقش شيوخه وخالفهم، وبذلك نضع النقط على الحروف، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع.

إمكان الكشف ووقوعه مُتَّفق عليه:

أوَّلًا: لا نزاع في إمكان حصول الكشف ووقوعه بالفعل لبعض الناس، وما ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» من شواهد الشَّرع ومن

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٣ ـ ٢٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحكايات والتجارب مُسَلَّم به في جملته، وإن كانت النتائج الَّتي رتَّبها عليها غير مُسَلَّمة.

فقد استدلَّ بجملة نصوص من القرآن والحديث والآثار، مثل: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

وقوله ﷺ: «**اللهمَّ أعطني نورًا، وزدني نورًا**»[(١)]... الحديث، وحديث: «**لقد كان فيمن قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في أُمَّتي أحدٌ فعُمَر**»[(٢)].

وقوله: «**اتَّقوا فِراسةَ المؤمن، فإنَّه ينظرُ بنور الله**»[(٣)]، ودعائه لابن عباس: «**اللهم فَقِّهه في الدِّين وعلِّمه التأويل**»[(٤)]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

• أدلَّة الغزالي لا تثبت دَعواه:

ثانيًا: هذه الشواهد والنصوص والتجارب والحكايات الَّتي ذكرها الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسلَّمة في جملتها كما قلنا، ولكنَّها لا تثبت دعواه فيما وضعه عنوانًا لهذا الفصل من كتابه، وهو «بيان شواهد الشرع على صحَّة طريق أهل التصوُّف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق

(١) سبق تخريجه صـ١٠٤.
(٢) سبق تخريجه صـ١٥.
(٣) سبق تخريجه صـ٤٥.
(٤) سبق تخريجه صـ١٠٥.

QaradawiBooks.com

المعتاد»، فإنَّ هذه الشواهد والأدلَّة الَّتي ذكرها دلَّت على أنَّ الإنسان المؤمن التقي المجاهد لنفسه، المراقب لربه، الواقف عند أمره ونهيه، يرزقه الله تعالى الهداية أو النور أو الفرقان أو الحكمة أو الفهم أو الفقه أو العلم النافع إلخ، ولكنها لم تدل بحال على أن يكون كل همه انتظارها ـ وقد تجيء أو لا تجيء... ويدع الطريق المعتاد الَّذي سلكه ورثة الأنبياء، والَّذي شرعه الله تعالى لتحصيل المعرفة المأمونة لحقائق الغيب، وأحكام الشرع.

وما ذكره الغزالي أن هذا طريق الأنبياء غير مُسَلَّم له، فنبينا ﷺ حين كان يتعبد لله في غار حراء لم يكن يطلب كشفًا ولا إلهامًا، وما كان يرجو شيئًا ينزل عليه من السماء، ولم يخطر له ذلك بباله، وهذا ما قرره القرآن: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦]، بل حين جاءه الوحي كان مفاجأة هائلة له، ورجع يرجف فؤاده، ويقول لزوجه: «**زمِّلوني، زمِّلوني**»! ويقول: «**لقد خشيتُ على نفسي**»[(١)].

إنَّنا نخالف الإمام أبا حامد الغزالي هنا في اعتباره الكشف أمرًا يُطلَب، والحقيقة أنَّه أمرٌ يُوهَب، ونحن المسلمين لم نؤمر بطلب الكَشْف، وإنَّما أُمِرْنا بطلب العلم، وقد جاءت الأحاديث ناطقة بأنَّ طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم[(٢)]، و«**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكة تضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع**»[(٣)]، ولم يجيء شيء من ذلك لطالب الكشف.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه صـ٧١.

(٣) رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)،

QaradawiBooks.com

وإذا كانت النصوص قد جعلت النور والهداية والفرقان ثمرات للعبادة والتقوى والإخلاص لله تعالى، بوصف ذلك مثوبة عاجلة من الله تعالى في الدُّنْيا لعباده المتقين، فهذا فيمن عبد الله واتقاه مخلصًا له الدين، مبتغيًا وجهه ومرضاته قيامًا بحق عبوديته، أمَّا من جعل الغاية من عبادته أن تُكْشَف له المساتير، ويقوده الإلهام في كل شيء، فهو في الحقيقة لم يُخلص العبادة لربه، إنَّما هو يطلب حظ نفسه!

ولقد صدق ما ذكره أحد المُحَقِّقين عن بعض المتعبدين الَّذي حبس نفسه للصيام والقيام والتعبد أربعين يومًا، رجاء أن تتفجر الحكمة من قلبه على لسانه، كما جاء ذلك في بعض الأحاديث فيمن أخلص لله أربعين يومًا، فلما مرت الأربعون يومًا لم ير أثرًا للحكمة الَّتي ركض وراءها، وأطال العبادة من أجلها.

وعندئذٍ سأل أحد العلماء الربَّانيِّين عن مصداقية الحديث أو الأثر المذكور؟ فقال له العالم: الحديث فيمن أخلص لله وحده، وأنت لم تخلص لله، إنَّما أخصلت للحكمة!

وما ذكره الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ من هذا النوع فهم لا يخلصون لله، إنَّما يخلصون للكشف!

ثالثًا: إن هذا الطريق ـ الَّذي وصفه الغزالي وامتدحه ورفع من قدره، وأثنى على أهله ـ طريق شديد الوعورة، عظيم الخطورة، كثير المنعطفات والمنحدرات، جم الحفر والمهاوي، قلَّما يجد فيه سالكه منارات تهديه

كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وابن حبان في العلم (٨٨)، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٠٣): وصحَّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

وعلامات تدلُّه؛ لأنَّ المنارات في علم الشرع وقد تركوه، والعلامات في ميراث النبوَّة وقد أهملوه.

وقد ذكر الغزالي اعتراض النظار وذوي الاستبصار على طلَّاب الكشف الصوفي بنحو ذلك، ولم يردَّ عليهم بشيء، ممَّا يومئ إلى أن اعتراضهم له وجهه، وكلامهم في محلِّه، قال:

«وأمَّا النُّظَّار وذوو الاعتبار: فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور، فإنَّه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء، ولكن استوعروا هذا الطريق، واستبطؤوا ثمرته، واستبعدوا استجماع شروطه، وزعموا أنَّ محو العلائق إلى ذلك الحدِّ كالمُتَعَذِّر، وإن حصل في حال فثباته أبعد منه، إذ أدنى وسواس وخاطر يُشَوِّش القَلب، وقال رسول الله ﷺ: «**قلب المؤمن أشدُّ تقلُّبًا من القدر في غليانها**»[(١)]، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن**»[(٢)].

وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج، ويختلط العقل، ويمرض البدن، وإذا لم تتقدَّم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم، نشبت بالقلب خيالات فاسدة، تطمئن النفس إليها مدة طويلة، إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها، فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثمَّ بقي في خيالٍ واحدٍ عشرين سنة، ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه القياس ذلك الخيال في الحال، فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض، وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه، وزعم أنَّ النبيَّ ﷺ لم يتعلم ذلك، وصار فقيهًا بالوحي والإلهام

(١) سبق تخريجه صـ١٠٣.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من غير تكرير وتعليق، وأنا أيضًا ربَّما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه، ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه، وضيَّع عمره، بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز، فإن ذلك ممكن ولكنَّه بعيد جدًّا، فكذلك هذا. وقالوا: لا بدَّ أولًا من تحصيل ما حصله العلماء، وفهم ما قالوه، ثمَّ لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء، فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة»[١].

رابعًا: إنَّ هناك سؤالًا مهمًّا، وهو: ما الحكم إذا جاء الكشف بما يخالف ما جاء به الشَّرع؟ ماذا يصنع صاحب الكشف؟ أيصدق كشفه وإلهامه أم يصدق ما جاء به قرآنه الَّذي لا يكذب، ونبيه الَّذي لا ينطق عن الهوى؟

إنَّ بعض الصوفيَّة يعتبرون ما ثبت بالكشف من باب علم اليقين، بل عين اليقين، بخلاف ما ثبت بالشرع فهو من باب الترجيح والظن، كما زعمه من زعمه: أنَّ الدلالات اللفظية تعتريها احتمالات كثيرة تخرجها من دائرة اليقين.

حتَّى الغزالي يقول: إنَّ ما يتعلَّق بعلم المكاشفة لا يجوز أن يودع في الكتب، أو يصرح به، ويومئ إلى أن فيه ما قد يعارض محكمات الشرع وبيِّنات الدين، حتَّى إنَّه في آخر كتبه «منهاج العابدين» استشهد بأبيات نسبوها إلى الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهم يقول فيها[٢]:

يا رُبَّ جوهرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ ... لَقِيلَ لِي: أَنْتَ ممَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا!
ولاستحلَّ رجالٌ مسلمونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنَا!

(١) إحياء علوم الدين (٢٠/٣).
(٢) منهاج العابدين، صـ ٣، نشر مصطفى الحلبي، ١٣٣٧هـ.

QaradawiBooks.com

فما الَّذي يجعل هؤلاء يستبيحون دمه لولا أنَّ هناك مخالفة صريحة لما هو ثابت من الدين بيقين؟!

خامسًا: نريد أن نوجِّه إلى شيخنا أبي حامد الغزالي عدَّة أسئلة حول الطريقة الَّتي ذكرها للوصول إلى الكشف:

أ ـ هل هذه الطريقة الَّتي وصفها الإمام الغزالي هي طريقة الصحابة والتابعين؟ وهم خير هذه الأُمَّة وسادتها وخير قرونها؟ ومَن مِن الصحابة وتابعيهم بإحسان فعل ذلك؟! أما والله لو فعلوا ذلك ما فتحوا الفتوح، ولا نشروا رسالة الإسلام في العالمين، ولا نقلوا لنا القرآن، ولا رووا السنن، ولا فقَّهوا الناس.

ب ـ ثمَّ كيف اعتبر الإمام الغزالي أن ممَّا يفرق الفكر، ويبعد القلب عن الاستغراق المنشود: تلاوة كتاب الله تعالى، وقيام الليل وغيرها من صلوات النوافل، وقراءة تفسير كلام الله، أو أحاديث رسول الله ﷺ، وهذه إنَّما هي مفاتيح الهدى، ومصابيح الدجى، وما عداها لا يُؤْمن فيها الخلط والدخل، وكيد الشَّيْطان.

جـ ـ وإذا كان أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر أنَّ التقوى هي مفتاح الهداية، ومصدر النور والفرقان للقلب، وسبب إخراجه من الشبه والمشكلات، فهل التقوى إلَّا اتباع ما جاء به القرآن والسُّنَّة؟ وهل هناك هدي خير من هدي مُحَمَّد ﷺ؟ وهل هناك منهج أو سُنَّة أفضل من سُنَّته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده؟ وقد انعقد الإجماع على أنَّ كلَّ خير في اتباع من سلف، وأن كلَّ شرٍّ في ابتداع من خلف.

د ـ وهل هذا السلوك يتفق هو ومنهج الإسلام، الَّذي يتميَّز بالشمول والتوازن والاعتدال؛ لأنَّه المنهج الوسط للأمة الوسط؟

QaradawiBooks.com

إنَّ الإســـلام دعوة عالميَّة، جمعت بين الدُّنْيا والآخـــرة، بين الرُّوح والمادَّة، بين العلم والإيمـــان، بين العقل والقلب، بيـــن حقِّ الله وحظِّ النفوس، والدليل على هذا من الآيات والأحاديث وهدي الســـلف أكثر من أن يحصر.

فأين هذا ممَّا وصفه الإمام الغزالي هنا؟

هـ ـ ولِمَ كُلُّ هذا العناء؟!

في انتظار فيضٍ قد يحدث مثله لمن مارس رياضة النفس وعاناها من أهل أيِّ دينٍ كان.

ولفقراء الهندوس الوثنيِّين ورهبان النصارى الضالِّين في هذا الباب عجائب وقصص تحكى وتتناقل.

فهل هذه النتيجة هي غاية المنتهى الَّتي ينشدها المُتَصَوِّفون؟

سادسًا: ونزيد على هذا التساؤل أمورًا إيجابيَّة ذكرها الإمام ابن تيمية في مناقشته لهذا الأمر، منها:

و ـ أنَّ الإنسان إذا فرغ قلبه من كل خاطر، فمن أين يعلم أن ما يحصل فيه حق؟ هذا إما أن يعلم بعقل أو سمع، وكلاهما لم يدل على ذلك.

ز ـ أنَّ الَّذي قد عُلم بالسمع أو العقل أنَّه إذا فرغ قلبه من كل شيء حلَّت فيه الشـــياطين، ثمَّ تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تتنزل على الكهان، فإنَّ الشَّـــيْطان إنَّما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الَّذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولَّاه الشَّيْطان، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

QaradawiBooks.com

وقال الشَّيْطان فيما أخبر الله عنه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [صٓ: ٨٢، ٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، والمخلصون هم الَّذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا، وإنَّما يعبد الله بما أمر به على ألسنة رسله، فمن لم يكن كذلك تولته الشياطين.

وهذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين، واشتبهت عليهم الأحوال الرحمانية بالأحوال الشَّيْطانية، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة، وظنوا أن ذلك من كرامات أولياء الله المتقين، كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع.

ح ـ أنَّ هذه الطريقة لو كانت حقًّا فإنَّما تكون في حق من لم يأته رسول، فأما من أتاه رسول وأُمر بسلوك طريق، فمن خالفه ضل، وخاتم الرسل ﷺ قد أمر أمته بعبادات شرعيَّة من صلاة وذكر ودعاء وقراءة، لم يأمرهم قطُّ بتفريغ القلب من كلِّ خاطرٍ وانتظارِ ما ينزل!

فهذه الطريقة لو قُدر أنَّها طريق لبعض الأنبياء لكانت منسوخة بشرع مُحَمَّد ﷺ، فكيف وهي طريقة جاهلية لا توجب الوصول إلى المطلوب إلَّا بطريق الاتفاق، بأن يقذف الله تعالى في قلب العبد إلهامًا ينفعه؟ وهذا قد يحصل لكل أحد، ليس هو من لوازم هذه الطريق.

ولكن التفريغ والتخلية الَّتي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه ممَّا لا يحبه الله، ويملؤه بما يحبه الله، فيفرغه من عبادة غير الله، ويملؤه بعبادة الله، وكذلك يفرغه من محبة غير الله، ويملؤه بمحبَّة الله، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله، ويدخل فيه خوف الله تعالى، وينفي عنه التوكُّل على غير الله، ويثبت فيه التوكُّل على الله، وهذا هو الإسلام المُتَضَمِّن للإيمان

QaradawiBooks.com

الَّذي يمدُّه القرآن ويُقَوِّيه، ولا يناقضه وينافيه، كما قال جندب وابن عمر[١]: «تعلَّمنا الإيمانَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ، فازددنا إيمانًا»[٢].

وأمَّا الاقتصار على الذكر المُجَرَّد الشرعي مثل قول: «لا إلٰه إلَّا الله»، فهذا قد ينتفع به الإنسان أحيانًا، ولكن ليس هذا الذكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى دون ما عداه، بل أفضل العبادات البدنية الصلاة، ثمَّ القراءة، ثمَّ الذكر، ثمَّ الدعاء[٣].

اللهمَّ ألهمنا رشدنا، وارزقنا نورًا نمشي به في الظلمات، وفرقانًا نُمَيِّز به بين المشتبهات، وإيمانًا يكون لنا منارًا في مفارق الطرقات، وجنبنا الانخداع بضلال الشبهات، وغواية الشهوات، واهدِنا صراطك المستقيم: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]. آمين.

* * *

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة (٦١)، والطبراني (١٦٥/٢)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٢/١): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. عن جندب بن عبد الله.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٩/١٠ ـ ٤٠١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرؤى
هل تصلح دليلًا للأحكام الشرعيَّة؟

• تمهيد:

في الصحائف السابقة عالجنا قضيَّة «الإلهام» أو «الكشف» الَّذي أفرط فيه بعض الناس، فجعلوه حجة في الأحكام الشرعيَّة، وأحلوا به الحلال، وحرموا الحرام، وأوجبوا الواجبات، وبذلك أضفوا على خواطرهم وأحاديث قلوبهم لونًا من العصمة، فهي لا تكذب ولا تخطئ.

وفرط فيه آخرون، فأنكروا أن يكون للإيمان والتقوى والرياضة والمجاهدة أي أثر في تنوير القلب وهدايته إلى الصواب في مفارق الطرقات، وإعطائه الفرقان في المتشابهات.

وبيَّنَّا الرأي السليم، والمنهج القويم، الَّذي انتهى إليه الربَّانيُّون المحققون، الَّذين هدوا إلى الصراط المستقيم ملتزمين بمحكمات القرآن والسُّنَّة، غير مائلين إلى غلو الغالين ولا تقصير المقصِّرين.

وبقي علينا هنا تحقيق القول في قضيَّة «الرؤى» وما يحيط بها، فهي مكمِّلة لموضوع الإلهام والكشف، فالإلهام كشف في حالة اليقظة، والرؤيا كشف في حالة المنام، وكلاهما من إدراكات الرُّوح الَّتي يستوي عندها النوم واليقظة، والليل والنهار.

QaradawiBooks.com

وقد استدلَّ الإمام الغزالي وغيره على صحَّة الكشف في اليقظة بصدق الرؤى الَّتي يراها النائم في المنام، والتي صحَّ الحديث بأنها جزء من أجزاء النبوة.

لهذا كان علينا أنْ نستكمل البحث في موضوع «الرؤيا»، ومدى إمكان الاعتماد عليها في إثبات الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، وهل يعتد بها دليلًا مستقلًّا من أدلة الشرع في الإثبات والنفي أو لا؟ وفي أي مجال يمكننا اعتبارها والاعتداد بها؟

هذا ما نحاول في هذه الصحائف أن نبحث فيه، ونلقي عليه بعض الضوء، في إطار الأصول الشرعيَّة، والأدلَّة الثابتة من كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ.

وقد عرض القرآن الكريم لقضيَّة الرؤيا في قصَّة الخليل إبراهيم مع ابنه الذبيح إسماعيل عليهما السلام، وفي قصَّة يوسف في أكثر من موضع.

• رؤيا الأنبياء وحي:

واتفق العلماء على أنَّ رؤيا الأنبياء إحدى طرق الوحي، وهي داخلة في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، فقوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ يشمل «الإلهام»، وما يطلق عليه «النفث في الروع» في اليقظة، كما يشمل «الرؤيا» في النوم، وعلى هذا اعتبرت رؤيا إبراهيم في ذبح ولده وحيًا وأمرًا من الله تبارك وتعالى.

• أنواع الرؤيا كما فصَّلتها السُّنَّة:

أمَّا السُّنَّة النبويَّة فقد فصلت في أمر الرؤيا، وورد فيها عددٌ وافرٌ من الأحاديث، حتَّى إنَّ الإمام البخاري عقد في «جامعه الصحيح» كتابًا خاصًّا

QaradawiBooks.com

سـمَّاه كتاب «التعبير» أورد فيه تسعة وتسـعين حديثًا، وافقه مسلم على تخريجها كلها، إلَّا بضعة أحاديث، كما أورد فيه عشـرة آثار عن الصحابة والتابعين، كما ذكر ذلك الحافظ في «الفتح» في آخر كتاب «التعبير»[١].

ومن هذه الأحاديث:

حديث أبي قتادة: «**الرؤيا من الله، والحلم من الشَّيْطان، فإذا حَلَم أحدُكم الحُلـمَ يكرهـه فلْيبصقْ عن يسـاره، وليسـتعذْ بالله، فلن يضرَّه**»[٢].

وحديث أنس بن مالك: «**الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستَّة وأربعين جزءًا من النبوة**»[٣].

وحديث أبي سعيد الخدري: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبُّها، فإنَّما هي من الله، فلْيحمد الله عليها وليُحدِّث بها وإذا رأى غير ذلك ممَّا يكره، فإنَّما هي من الشَّيْطان، فليستعذْ من شرِّها، ولا يذكرها لأحدٍ، فإنَّها لا تضرُّه**»[٤].

وحديث أبـي هُرَيْرة: «**لم يبـقَ من النبـوَّة إلَّا المُبَشِّـرات**»، قالوا: وما المُبَشِّرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[٥].

وحديث أنـس: «**من رآني فـي المنام فقـد رآني، فإنَّ الشَّـيْطان لا يتمثَّل بي**»[٦].

---

(١) فتح الباري (٤٤٦/١٢).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التعبير (٧٠٠٥)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦١).
(٣) رواه البخاري في التعبير (٦٩٨٣).
(٤) رواه البخاري في التعبير (٧٠٤٥).
(٥) رواه البخاري في التعبير (٦٩٩٠).
(٦) رواه البخاري في التعبير (٦٩٩٤).

QaradawiBooks.com

وحديث أبي سعيد: «**من رآني فقد رأى الحقَّ، فإنَّ الشَّيْطان لا يتكوَّنُني**»[١].

والجزء الأوَّل من رواية أبي قتادة أيضًا[٢].

• **حقيقة الرؤيا وصلتها بعالم الغيب:**

والناس في قضيَّة الرؤيا جِدُّ متفاوتين:

فمن النَّاس من غَلُظ حجابهم ـ كالماديِّين في عصرنا وفي كلِّ عصر، وكأتباع مدرسة التحليل النفسي ـ فهم ينكرون الرؤيا الصادقة، ولا يرون الرؤى كلَّها إلَّا انعكاسًا لما في النفس حالة اليقظة، أو لما يختبئ في سراديب العقل الباطن (اللاشعور).

وفي مقابل هؤلاء من يعتمدون في حياتهم على الرؤى كأنَّها وحي، وينتظرون في كلِّ أمرٍ أن يروا فيه رؤيا تشير لهم إلى الطريق، بل منهم من يجعلها حُجَّة يستدلُّ بها كما يستدلُّ بالسُّنَّة والكتاب، أو الإجماع والقياس.

وفي بعض الجمعيات الإسلاميَّة انشق فريق من أعضائها على قيادتهم، وناصبوها العداء بناءً على رؤى رآها بعضهم، وكأنَّما اعتبروها وحيًا.

وذكر الأستاذ فهمي هويدي في إحدى مقالاته الأسبوعية في «الأهرام» القاهريَّة وغيرها: أنَّ أحد حكَّام المسلمين بعد أنْ قرَّر إجراء الانتخابات في بلده في موعد معين عاد فألغاها نتيجة لرؤيا رآها، حذَّرته من عواقبها!

---

(١) رواه البخاري في التعبير (٦٩٩٧).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التعبير (٦٩٩٦)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦٧).

QaradawiBooks.com

وهكذا أصبحت الــرؤى تتدخَّل في الدِّين، وتتدخَّل في السياســة، وتتدخَّل في شتَّى شؤون الحياة.

ونحن لا ننفي صدق بعض الــرؤى، فهذا أمر أثبتــه النصُّ، وأثبته الواقع، وأيَّده العلم.

أمَّا النصوص، فحسْــبُنا ما ذكره القرآن في سورة يوسف، من رؤياه أحدَ عَشَــر كوكبًا والشمس والقمر ســاجدين له، ومن رؤيا الملك سبع بقرات سِمَانٍ... ومن رؤيا السجينَيْن معه إلخ، وكلها كانت رؤى صادقة، ووقعت كما رؤيت.

وكذلك رؤيا الرسول ﷺ أنَّهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين.

وفي الحديث الصحيح عند البخاري: «**الرؤيا الصادقة جزءٌ من ســتَّة وأربعين جزءًا من النبوَّة**»[1].

وقد قيل في سبب هذا التخصيص بالعدد المذكور:

١ ـ أنَّ أوَّل ما بدئ به رســول الله ﷺ من الوحي هو الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت كفلق الصبح، وذلك نصف سنة، ثمَّ انتقل إلى وحي اليقظة، مدة ثلاث وعشــرين ســنة، من حين بعــث إلى أن توفي ﷺ.

فنسبة مدة الوحي بالرؤيا إلى سائر المدة نسبة واحد إلى ستَّة وأربعين.

قال ابن القَيِّم: «وهذا حســن، لــولا ما جاء في الروايــة الصحيحة الأخرى... إنَّها جزء من سبعين جزءًا».

٢ ـ وقد قيل في الجمع بينهما: إنَّ ذلك بحسَــب حــال الرائي، فإنَّ

(١) انظر الأحاديث التي سبق تخريجها.

QaradawiBooks.com

رؤيا الصِّدِّيقين من ستَّة وأربعين، ورؤيا عموم المؤمنين الصادقة من سبعين. والله أعلم[١].

٣ ـ وفي تفسير الألوسي: لعلَّ المقصود من كلِّ ذلك ـ على ما قيل ـ مدح الرؤيا الصادقة والتنويه برفعة شأنها، لا خصوصية العدد، ولا حقيقة الجزئيَّة[٢].

وفي حديث آخر: «**لم يبقَ من النبوَّة إلَّا المُبشِّرات**»، قيل: وما المُبَشِّرات يا رسول الله؟ قال: «**الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو تُرى له**»[٣].

فالمراد بهذه الأحاديث وما شابهها تشبيه أمر الرؤيا الصادقة بالنبوَّة؛ لأنَّ فيها اطِّلاعًا على الغيب من وجه ما، لا أنَّ الرؤيا نبوة؛ لأن جزء الشيء ـ إن أثبتنا حقيقة الجزئيَّة هنا ـ لا يستلزم ثبوت وصفه للشيء كله، كمن قال: «لا إلٰه إلَّا الله» رافعًا بها صوته، لا يسمى مؤذنًا، ولا يقال: إنَّه أذن، وإن كان ما قال جزءًا من الأذان.

ويؤيد هذا حديث أم كرز الكعبية قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ذهبت النبوَّة وبقيت المُبشِّرات**»[٤].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٧٤/١). وقال ابن بطال في بيان كون الرؤيا جزءًا من النبوة: المعنى أنَّ الرؤيا خبر صادق عن الله لا كذب فيه، كما أنَّ معنى النبوة: نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب، فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر، وأمَّا خصوص العدد: فقال المازري: هو ما أطلع الله عليه نبيه؛ لأنَّه يعلم من حقائق النبوة ما لا يعلمه غيره. انظر: فتح الباري (٣٦٣/١٢). وقد أطال فيها النقول والبحث.

(٢) روح المعاني (٣٧٤/٦).

(٣) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٩)، وأحمد (١٩٠٠)، عن ابن عباس مرفوعًا: «إنَّه لم يبق من مبشرات النبوة إلَّا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو تُرَى له».

(٤) رواه أحمد (٢٧١٤١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٨٩٦)، وابن حبان في الرؤيا (٦٠٤٧).

QaradawiBooks.com

وعلى كلِّ حال، فقد دلت هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها ـ كما دلَّ القرآن الكريم في قصَّة يوسف وغيرها ـ على أنَّ من الرؤى ما يتكشف فيه للرائي بعض الغيب المستور، ولهذا عدت جزءًا من النبوة، كما أنَّ منها ما يتضمن نوع بشارة للمؤمن بما يسره، ومثله النذارة والتحذير من معصية أو غفلة، أو التنبيه على طريق خير ورشد.

وهذا هو مجال الرؤيا الصادقة الَّذي يثبته المؤمنون بالإسلام، لا أكثر من ذلك. فليست حجة شرعيَّة ولا دليلًا يتوصل بها إلى معرفة أحكام الدين.

أمَّا غير الإسلاميين قديمًا وحديثًا، فلهم في ظاهرة الرؤى تخرصات وتخبطات وأقاويل ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها برهان، ولا أيَّدها واقع.

وهذا الَّذي جاءت به النصوص الهادية، أيده ويؤيده الواقع المشاهد، فلا تزال تجارب النَّاس في كل مكان، وفي كل زمان، إلى يومنا هذا، تثبت أنَّ هناك رؤى تتنبأ بأحداث وأشياء، ثمَّ لا تلبث أنْ تتحقق.

وما منا إلَّا من شاهد من نفسه، وممن حوله شيئًا من هذا الجانب، ومن لم يشاهد ذلك من نفسه سمعه من كثيرين غيره من الثقات، ومن شتَّى الفئات، ممَّن لا يعقل تواطؤهم على الكذب.

أمَّا العلم الحديث فقد اكتشف كثير من رجالاته أنَّ في الإنسان طاقات عجيبة لم تعرف كلها بعد، يمكن بها قراءة الأفكار، واستشفاف بعض المجهول، والتخاطب عن بعد، وللغربيين في ذلك تجارب وملاحظات، وكتب ومؤلفات.

ولهذا يكون من التهور والتسرع الَّذي لا يليق بإنسان يحترم نفسه ويحترم تجارب البشر، ويحترم مواهب النوع الإنساني ـ المبادرة بإنكار

الرؤيا الصادقة إنكارًا كليًّا، لا يقوم على أساس ولا برهان، إلَّا جحد ما وراء الحس، والانحصار في قمقم المادة الكثيفة، وعدم الثقة بما وهب الله الإنسان قدرة على اختراق حاجز الزمان والمكان، واستشفاف بعض ما وراء عالم الشهادة، ممَّا يخبئه عالم الغيب.

ولقد حكوا عن صاحب نظريَّة التحليل النفسي «فرويد» أنَّه لم ينكر ـ على كل ما في نظريته من تجاوز وتمحل وتحكم ـ أن هناك أحلامًا تحمل معنى التنبؤ.

وبعد هذا البيان في تفسير ظاهرة الرؤى الصادقة يلزمنا أن ننبه هنا على أمرين في غاية من الأهمية:

- **الرؤى مُجَرَّد مُبَشِّرات أو مُنَبِّهات:**

الأول: أنَّ الرؤى الصالحة مجرد مُبَشِّرات أو مُنَبِّهات، لتثبيت قلوب المؤمنين أو تقوية عزائمهم، وليست «مُخَدِّرات» يتعاطاها بعض السلبيِّين من الناس، ليتَّخذوا منها تُكَأة للاتكاليَّة الواهنة، وللهرب من الواقع، أو للقعود عن مجاهدة الفساد، ومواجهة الظلم والظلام، فهو إذا رأى في منامه أن طاغية سيسقط، أو أن نظامًا سينهار، أو أن طائفة ستنتصر، هلل وكبر، وضحك واستبشر، ووقف عند هذا الحدِّ، لا يقوم بجهد إيجابي في تحويل الغيب المترقب إلى واقع ملموس، مكتفيًا بإلقاء العبء على كاهل القَدَر الَّذي يقول للشيء: كن، فيكون!

والنبيُّ ﷺ وأصحابه لم يكونوا ينظرون إلى الرؤيا أكثر من أنَّها بشرى، ثمَّ يمضون في خطتهم وجهادهم، سائرين على الدرب، غير وانين ولا متثاقلين، ولا مهملين لسنن الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا واضح من سيرة النبي ﷺ بعد أنْ رأى أنَّه وأصحابه دخلوا المسجد الحرام آمنين.

هذا مع الفرق البيِّن الشاسع بين رؤيا ليس في صدقها شك ـ كرؤيا الرسول ﷺ ـ ورؤى ربَّما كانت من أحاديث النفس وأمانيها في اليقظة، تتشكل في صورة رؤى بالليل، على نحو ما قال المثل: «الجوعان يحلم بأنَّه في سوق العيش».

• الرؤيا ليست حُجَّة شرعيَّة:

الثاني: أنَّ الرؤيا لا تعتبر دليلًا شرعيًّا، ولا يحتجُّ بها على جواز فعل أو ترك، ولا على منع أو استحباب، وذلك لأسباب:

١ ـ أنَّ الشرع قد حدَّد أدلَّة الأحكام في الكتاب والسُّنَّة، وما دلَّا عليه من الإجماع والقياس الصحيح، ولم يجعل من أدلَّة أحكامه رؤيا زيد أو عمرو من البشر غير المعصومين، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]. وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

٢ ـ أنَّ منابع الرؤيا مُتَعَدِّدة مُتَنَوِّعة، فهي كالكشف، منها ما هو رحماني، ومنها ما هو نفساني، ومنها ما هو شيطاني، فمن أين يأتي اليقين بأنَّ رؤيا فلان هذه رحمانيَّة، لا نفسانيَّة ولا شيطانيَّة؟

قال ﷺ: «**الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشَّيْطان، ورؤيا ممَّا يحدث الرجل نفسه في اليقظة، فيراه في المنام**»[(١)]، وفي لفظ:

(١) رواه مسلم في الرؤيا (٢٢٦٣)، وأحمد (٧٦٤٢)، ولفظ مسلم عن أبي هريرة: «والرؤيا ثلاثة: =

QaradawiBooks.com

«إنَّ الرؤيا قد تكــون حقًّا، وهي المعــدودة من النبــوَّة، وقد تكون من الشَّيْطان، وقد تكون من حديث النفس».

وعند ابن ماجه ـ بسند حســن كما في «الفتح»[١] ـ مرفوعًا: «**الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشَّيْطان ليحزن ابن آدم**[٢]**، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستَّة وأربعين جزءًا من النبوة**»[٣]، فالرؤيــا الصادقة الَّتي هي من دلائــل الهداية هي الَّتي مــن الله خاصَّة، وكيف يمكن التمييــز بين الأنواع الثلاثة إلَّا بعرضهــا على ميزان آخر، وهو الشرع؟ فرؤيا الأنبياء وحي، وهي حق؛ لأنَّ الوحي لا يدخله خلل؛ لأنَّه محروس من الشَّــيْطان، هذا باتفاق الأُمَّة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بالرؤيا.

وأمَّا رؤيا غيرهم فلا عصمة لها، ولهذا وجب أنْ تعرض على الوحي الصريح، فإنْ وافقته وإلَّا لم يعمل بها.

٣ ـ أنَّ النائم ليس مــن أهل التحمل، وهو غيــر مأمون على ضبط ما رآه ولذا رفع عنه حكم التكليف.

= فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا ممَّا يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس».

(١) فتح الباري (٤٠٧/١٢).

(٢) مثاله: ما ثبت عند مسلم في الرؤيا (٢٢٦٨) (١٥)، من حديث عن جابر، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت على أثره، فقال رســول الله ﷺ للأعرابي: «لا تحدث الناس بتلعب الشــيطان بك في منامك» وقال: سمعت النبي ﷺ بعد، يخطب فقال: «لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه».

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٠٧)، وابن حبان (٦٠٤٢)، وقال الأرناؤوط: إســناده صحيح. كلاهما في الرؤيا، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٥٥/٤): إسناد صحيح رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٨٧٠)، عن عوف بن مالك.

QaradawiBooks.com

٤ ـ أنَّ الغالب في الرؤيا أنْ تكون على خلاف ظاهرها، فهي عادة رموز وإشارات لا يفطن إلى حقيقتها إلَّا الأقلون من النَّاس، ولهذا اختص يوسف بأنَّ الله علَّمه تأويل الأحاديث، أي: الرؤى، وكذلك قال هو عن نفسه مناجيًا ربه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]، ومَن مِن النَّاس كان يمكن أن يُؤوِّل رؤيا ملك مصر للبقر والسنبلات بما أوَّله يوسف عليه السلام، لقد عجز المعبرون في عصره وقالوا: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]، وحق لهم ما قالوا.

ولقد يرى الشخص الواحد منامين متشابهين في وقتين أو حالين مختلفين فيفسر كل منهما بعكس ما يفسر به الآخر.

ولهذه الأمور اتَّفق أهل العلم على أنَّ الرؤيا لا تصلح للحُجَّة، ولا تتَّخذ دليلًا شرعيًّا، وإنَّما هي تبشيرٌ وتحذيرٌ وتنبيه، ولهذا سمَّاها الرسول: «**المُبَشِّرات**»[(١)].

ولكنَّها قد تعتبر وتصلح للاستئناس بها فقط إذا وافقت حجة شرعيَّة صحيحة، كما ثبت عن ابن عبَّاس: أنَّه كان يقول بمتعة الحج، لثبوتها عنده بالدليل السَّمعي من الكتاب والسُّنَّة، فلمَّا رأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك استبشر بها ابن عبَّاس.

فمجرَّد الاستبشار بمثل هذا لا يضرُّ؛ لأنَّ العمدة في الموضوع إنَّما هو الاستدلال الشرعي.

يقول العلَّامة ابن القَيِّم: «والرؤيا: مبدأ الوحي، وصدقها بحسب صدق الرائي، وأصدق النَّاس رؤيا أصدقهم حديثًا، وهي عند اقتراب

(١) سبق تخريجه صـ١٢٢.

QaradawiBooks.com

الزمان لا تكاد تخطئ، كما قال النبي ﷺ، وذلك لبُعد العهد بالنبوة وآثارها، فيتعوض المؤمنون بالرؤيا، وأمَّا في زمن قوَّة نور النبوة: ففي ظهور نورها وقوته ما يُغني عن الرؤيا.

ونظير هذا الكرامات الَّتي ظهرت بعد عصر الصحابة، ولم تظهر عليهم؛ لاستغنائهم عنها بقوة إيمانهم، واحتياج من بعدهم إليها؛ لضعف إيمانهم، وقد نص أحمد على هذا المعنى.

وقال عبادة بن الصامت: «رؤيا المؤمن كلام يُكَلِّم به الرب عبده في المنام»[(١)]، وقد قال النبي ﷺ: «**لم يبق من النبوة إلَّا المبشرات**»، قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: «**الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له**»[(٢)].

وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه لما أُرُوا ليلة القدر في العشر الأواخر، قال: «**أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان منكم مُتَحَرِّيَها فليتحرَّها في العشر الأواخر من رمضان**»[(٣)].

والرؤيا كالكشف، منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني، وقال النبيُّ ﷺ: «**الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشَّيْطان، ورؤيا ممَّا يحدث به الرجل نفسه في اليقظة، فيراه في المنام**»[(٤)].

والَّذي هو من أسباب الهداية: هو الرؤيا الَّتي من الله خاصَّة.

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٠٢٥)، والضياء في المختارة (٣٣٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧٢٨): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.

(٢) سبق تخريجه صـ١٢٢.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٥٨)، ومسلم في الصيام (١١٦٥) (٢٠٧)، عن ابن عمر.

(٤) سبق تخريجه صـ١٢٨.

QaradawiBooks.com

ورؤيا الأنبياء وحي، فإنَّها معصومة من الشَّيْطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بالرؤيا.

وأمَّا رؤيا غيرهم فتعرض على الوحـــي الصريح، فإن وافقته وإلَّا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة، أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك اســـتحال مخالفتها للوحي، بل لا تكون إلَّا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضيَّة خاصَّة في حكمه، لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك، ومن أراد أن تَصْدُق رؤياه فليتحرَّ الصدق وأكل الحلال، والمحافظة على الأمر والنهي، ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة، ويذكر الله حتَّى تغلبه عيناه، فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتَّة.

وأصدق الرؤيا: رؤيا الأســـحار، فإنَّه وقت النزول الإلٰهي، واقتراب الرحمة والمغفرة، وسكون الشـــياطين، وعكسه رؤيا العتمة، عند انتشار الشـــياطين والأرواح الشَّـــيْطانيَّة، وقال عُبادة بـــن الصامت رضي الله عنه: «رؤيا المؤمن كلامٌ يُكلِّم به الربُّ عبدَه في المنام»[(١)].

وللرؤيا مَلَك مـــوكل بها، يُريها العبد في أمثال تناســـبه وتشـــاكله، فيضربها لكل أحد بحسبه، وقال مالك: «الرؤيا من الوحي»، وزجر عن تفسيرها بلا علم، وقال: «أتتلاعب بوحي الله؟».

ولذكر الرؤيا وأحكامها وتفاصيلها وطـــرق تأويلها مظان مخصوصة بها، يخرجنا ذكرها عن المقصود، والله أعلم»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣١.

(٢) مدارج السالكين (١/٧٤ ـ ٧٦).

QaradawiBooks.com

• **رؤيا النبيِّ ﷺ لا يثبت بها حكمٌ شرعي:**

بل أزيد على ذلك فأقول:

إن رؤيا النبيِّ ﷺ في المنام آمرًا بشيء أو ناهيًا عن آخر، أو مظهرًا حبه لأمر أو شخص أو طائفة، أو مُبْدِيًا كراهته وسخطه على فرد أو جماعة أو موقف أو عمل ـ كل ذلك لا يؤخذ به، ولا يثبت بمثله حكم شرعي من وجوب أو استحباب أو تحريم أو كراهة أو إباحة، أو ولاء أو براءة أو عداوة.

وإنما يعرض ما يكون من ذلك على الشريعة الثابتة المعصومة، فإن وافقها فبها ونعمت، وتكون الحجة هي الشريعة، أمَّا الرؤيا فللتأنيس فقط.

وإن لم يوافق ذلك الشريعة رفض ولا شك؛ لأنَّ الَّذي كلفنا الله اعتقاده والعمل به هو ما أوحاه إلى رسوله في حياته، لا ما تجيء به رؤياه في المنام بعد وفاته.

فإنَّ الله لم يقبضه إليه إلَّا بعد أن أكمل الدين وأتم النعمة، وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالك.

ذكر ابن حزم في «المُحَلَّى» أن بعضهم احتجَّ على منع الصائم من القبلة في النهار بخبر عن ابن عمر قال فيه: قال عمر: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام فرأيتُه لا ينظرني، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما شأني؟ فقال: «**ألست تُقَبِّل وأنت صائم؟!**» قلت ـ القائل عمر ـ: فوالذي بعثك بالحقِّ، لا أُقَبِّل بعدها وأنا صائم[1].

(١) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣١١٤٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعقب أبو مُحَمَّد ابن حزم على هذا الخبر بقوله: الشـرائع لا تؤخذ بالمنامات، لا سيَّما وقد أفتى رسـول الله ﷺ عمر في اليقظة حيًّا بإباحة القُبْلة للصائم، فمن الباطل أنْ ينسخ ذلك مَيِّتًا! نعوذ بالله من هذا[١].

وذكر ابن حزم هنا الخبر الَّـذي أخرجه أبو داود عن جابر، قال: قال عمر بن الخطَّاب: هششـت فقبلت وأنـا صائم، فقلت: يا رسـول الله، صنعت اليوم أمرًا عظيمًا: قبلتُ وأنا صائم! فقال رسول الله ﷺ: «**أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم؟**» قلت: لا بأس به. قال: «**فمه؟**»[٢].

فبيَّن له أنَّ القبلة مـن الجماع المحظور، كالمضمضة من الشـرب الممنوع، كلتاهمـا لا تفطر، ولهذا يُسـتدل بهذا الحديـث على إثبات القياس؛ لأنَّ النبي ﷺ أثبت للشيء حكم نظيره وهو القياس.

وأمَّا قوله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإنَّ الشَّيْطان لا يتمثل بي**»، فهو حديث صحيـح، رواه البخاري عن أنـس[٣]، ومثله عن أبي سـعيد الخدري: «**من رآني فقد رأى الحقَّ، فإنَّ الشَّيْطان لا يتكوَّنني**»[٤]، وعن أبي قتادة: «**إنَّ الشَّيْطان لا يتراءى بي**»[٥].

وعن أبـي هُرَيْـرة: «**ولا يتمثَّلُ الشَّـيْطان بـي**»، أو: «**لا يتمثَّلُ في صورتي**»[٦]، وكلها عند البخاري، فصحَّتُها ممَّا لا ريب فيه.

---

(١) المحلى (٣٤٢/٤)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه أحمد (١٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٣٨٥)، وابن خزيمة (١٩٩٩)، والحاكم (٤٣١/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الصيام.

(٣) سبق تخريجه صـ١٢٢.

(٤) سبق تخريجه صـ١٢٣.

(٥) رواه البخاري في التعبير (٦٩٩٥).

(٦) سبق تخريجه صـ٤٥.

QaradawiBooks.com

ومثلها عند مسلم وابن ماجه من حديث جابر: «**إنَّه لا ينبغي للشيطان أن يتمثَّل بي**»[١].

ومعنى هذا الحديث برواياته كافة: أنَّ الله أكـرم نبيَّه وأكرم أمَّته بأنْ منع الشَّيْطان أنْ يظهر في صورته ﷺ في الرؤيا، لئلَّا يكذب على لسانه، ويضلل الأمة.

فمع أنَّ الله أعطاه القدرة على التشكل في أي صورة أراد، لم يمكنه من التصور في صورته ﷺ، فمن رأى النبي ﷺ في الرؤيا فقد رآه حقًّا، أو رأى الحـقَّ، كما صحَّ عنه[٢]، فليسـت رؤياه مـن أضغاث الأحلام، ولا من وسوسة الشَّيْطان.

ومعنى الحديث كما قال جماعة من العلماء: إذا رآه على الصفة الَّتي كان عليها في حياته، لا على صفة مضـادة لحاله، فإن رؤي على غيرها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة، فإن من الرؤيـا ما يخرج على وجهه، ومنها ما يحتاج إلى تأويل.

وهذا ما اعتمده إمام المعبرين للرؤى مُحَمَّد بن سـيرين رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال تعقيبًا على الحديث المذكور: «هـذا إذا رآه في صورته»، كما علَّقه عنه البخاري[٣].

وذكر الحافظ في «الفتح» عن أيوب قـال: كان ـ يعني: مُحَمَّد بن سـيرين ـ إذا قص عليه رجل أنَّه رأى النبي ﷺ قـال: صف لي الَّذي

(١) رواه مسلم في الرؤيا (٢٢٦٨)، وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٩٠٢).

(٢) سبق تخريجه صـ ١٢٣.

(٣) صحيح البخاري (٣٣/٩) قال أبو عبد الله (يعني البخاري): قال ابن سيرين فذكره.

QaradawiBooks.com

رأيته، فإنْ وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره[١]. قال الحافظ: سنده صحيح. ووجدت لـه ما يُؤيِّده، فأخرج الحاكم مـن طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي، قال: قلت لابن عباس: رأيت النبي ﷺ في المنام، قال: صفه لي. قال: ذكرت الحسـن بن علي، فشـبهته بـه، قال: قد رأيته[٢]. وسنده جيد[٣].

وهـذا القول من ابـن عبَّاس مـن الصحابة، ومن ابن سـيرين من التابعين، يدلُّ على أنَّه ليس كل من رأى شخصًا في المنام خيل إليه أنَّه رسول الله، يكون قد رأى رسول الله حقًّا.

وعلى ذلك جرى علمـاء التعبيـر، فقالوا: إذا قـال الجاهل: رأيت النبي ﷺ فإنَّه يسـأل عن صفته، فإن وافق الصفة المروية ـ أي: في كتب الحديث والسيرة ـ وإلا فلا يُقبل منه[٤].

ومن جهة أخرى: فـإنَّ النائم ليس من أهل التحمـل للرواية، لعدم ضبطه وحفظه[٥]، فلا يؤخذ ما قاله بعد يقظته حجة مطلقة.

وبهذا كله نعلم أن لا حجـة للمنحرفين والمبتدعيـن في اتخاذهم المنامات والرؤى دليلًا يسـتندون إليه، مبررين بها بدعهم وانحرافاتهم الَّتي ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) وصله إسـماعيل القاضي، فيما ذكره ابن حجر في تغليق التعليـق (٥/٢٦٧ ـ ٢٦٨)، تحقيق سعيد عبد الرحمٰن موسى القزقي، نشر المكتب الإسـلامي، بيروت، ودار عمار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) رواه الحاكم في تعبير الرؤيا (٤/٣٩٣)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) فتح الباري (١٢/٣٨٤).

(٤) المصدر السابق (١٢/٣٨٧).

(٥) انظر: إرشاد الفحول (٢/٢٠٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وللإمام أبي إسحاق الشاطبي كلام في موضوع الرؤيا ردَّ به على هؤلاء المبتدعة، وهو غاية في الرصانة والتحقيق والجودة، أنقله هنا لما فيه من قوَّة الحجة، ووضوح المحجَّة.

• **تحقيق الإمام الشاطبي في موضوع الرؤيا:**

قال الشاطبي في كتابه «الاعتصام»:

«وأضعف هؤلاء ـ يعني: المبتدعة ـ احتجاجًا: قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات[١]، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلانًا الرجل الصالح ـ أي: في المنام ـ فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيرًا للمتمرسين[٢] برسم التصوف، وربَّما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها، ويترك بها، معرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأنَّ الرؤيا من غير الأنبياء لا يُحكم بها شرعًا على حال، إلَّا أنْ تُعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعيَّة، فإن سوغها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنَّما فائدتها البشارة أو النذارة خاصَّة، وأمَّا استفادة الأحكام فلا، كما يحكى عن الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادع الله ألا يميت قلبي، فقال: «**قل كل يوم أربعين مرَّة: يا حي يا قيوم، لا إله إلَّا أنت**»، فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته، وكون الذكر يحيي القلب صحيح شرعًا، وفائدة الرؤيا: التنبيه على الخير، وهو من ناحية البشارة، وإنَّما يبقى

(١) في الأصل: «المقامات»، وهو غلط ناسخ أو طابع، بدليل السياق.

(٢) تمرس بالشيء: احتك به، وتمرس بدينه: تلعب به، وعبث كما يعبث البعير، والمراد بهم هنا: المقلدون للصوفية في رسومهم الظاهرة دون أخلاقهم وأعمالهم.

QaradawiBooks.com

الكلام في التحديد بالأربعين، وإذا لم يوجد على اللزوم ـ يعني: إذا لم يلتزم به ويدم عليه ـ استقام.

فلو رأى في النوم قائلًا يقول: إنَّ فلانًا سرق فاقطعه، أو عالم فاسأله، أو اعمل بما يقول لك، أو فلان زنى فحده، وما أشبه ذلك، لم يصح له العمل حتَّى يقوم له الشاهد في اليقظة، وإلا كان عاملًا بغير شريعة، إذ ليس بعد رسول الله ﷺ وحي.

ولا يقال: إنَّ الرؤيا من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أنْ تهمل، وأيضًا إنَّ المخبر في المنام قد يكون النبي ﷺ وهو قد قال: «**مَن رآني في النوم فقد رآني حقًّا، فإنَّ الشَّيْطان لا يتمثل بي**»[1]، وإذا كان فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة؛ لأنا نقول: إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي، بل جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنَّما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة، وفيها كاف[2].

وأيضًا فإنَّ الرؤيا الَّتي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها: أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول الشروط ممَّا ينظر فيه، فقد تتوفر، وقد لا تتوفر.

وأيضًا فهي منقسمة إلى الحلم، وهو من الشَّيْطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتَّى يحكم بها، وتترك غير الصالحة؟

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣٥.

(٢) كذا، ولعل في الكلام حذفًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويلزم أيضًا على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي ﷺ، وهو منهي عنه بالإجماع.

يحكى أن شـــريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي، فلما رآه قال: عليَّ بالسيف والنطع. قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي، وأنت معرض عني، فقصصت رؤياي على من عبرها، فقال لي: يظهر لك طاعة، ويضمر معصية. فقال له شريك: والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام، ولا معبرك بيوســف الصديق عليه السلام! فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين؟! فاستحيا المهدي وقال: اخرج عني، ثمَّ صرفه وأبعده[1].

وحكى الغزالي عن بعض الأئمَّــة: أنَّه أفتى بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن، فروجع فيه، فاســتدلَّ بأنَّ رجلًا رأى في منامه إبليس قد اجتاز بباب المدينة ولم يدخلها، فقيل: هــل دخلتها؟ فقال: أغناني عن دخولها رجل يقول بخلق القرآن ـ وذكر اســمه ـ فقام ذلك الرجل فقال: لو أفتى إبليس بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلدونه في فتواه؟ فقالوا: لا. فقال: قوله في المنام لا يزيد عن قوله في اليقظة!

وأمَّا الرؤيا الَّتي يخبر فيها رسول الله ﷺ الرائي بالحكم، فلا بد من النظر أيضًا، لأنَّه إذا أخبر بحكم موافق لشــريعته، فالحكم بما اســتقر، وإن أخبر بمخالف فمحال؛ لأنَّه ﷺ لا يَنسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته؛ لأنَّ الدين لا يتوقف اســتقراره بعد موته على حصول المرائي النوميَّة؛ لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئًا من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقًّا لم يخبره بما يخالف الشرع».

(١) رواه محمد المغربي الإفريقي في المحن صـ ٢٦٠، تحقيق د. عمر سليمان العقيلي، نشر دار العلوم، السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

• **تأويل حديث: «من رآني في المنام فقد رآني حقًّا»:**

قال الشـــاطبي: «لكن يبقى النظر في معنـــى قوله ﷺ: «**من رآني في النوم فقد رآني**»[(١)]، وفيه تأويلان:

أحدهما: ما ذكره ابن رشـــد إذ ســـئل عن حاكم شـــهد عنـــده عدلان مشـــهوران بالعدالة في قضيَّة، فلما نام الحاكم ذكر أنَّه رأى النبي ﷺ فقال له: لا تحكم بهذه الشـــهادة فإنَّها باطلة! فأجاب بأنَّـــه لا يحل له أن يترك العمل بتلك الشهادة، لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد، إذ لا يعلم الغيب من ناحيتها إلَّا الأنبياء الَّذين رؤياهم وحي، ومن سواهم إنَّما رؤياهم جزء من ستَّة وأربعين جزءًا من النبوة.

ثم قال: وليس معنى قوله: «**من رآني فقد رآني حقًّا**» أنَّ كل من رأى في منامه أنَّه رآه فقد رآه حقيقـــة، بدليل أنَّ الرائي قد يـــراه مرات على صور مختلفة، ويـــراه الرائي على صفة، وغيره على صفـــة أخرى، ولا يجوز أنْ تختلف صور النبي ﷺ ولا صفاته، وإنَّما معنى الحديث أنَّ من رآني على صورتي الَّتي خلقت عليها، فقد رآني، إذ لا يتمثل الشَّيْطان بي، إذ لم يقل: من رأى أنَّه رآني وإنَّما قال: «**من رآني فقد رآني**»، وأنى لهذا الرائي الَّذي رأى أنَّه رآه على صورته أنَّه رآه عليها؟ وإن ظنَّ أنَّه رآه ما لم يعلم أنَّ تلك الصورة صورته بعينها، وهذا ما لا طريق لأحد إلى معرفته[(٢)].

فهذا ما نقل عن ابن رشـــد وحاصله يرجع إلى أنَّ المرئي قد يكون غير النبي ﷺ، وإن اعتقد الرائي أنَّه هو.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣٥.

(٢) المسائل لابن رشد الجد (٥٣٣/١ ـ ٥٣٥)، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، نشر دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

والتأويل الثاني: يقول علماء التعبير: إنَّ الشَّـيْطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم، فيشـير إلـى رجل آخر: هذا فلان النبي، وهذا الملك الفلاني، أو من أشـبه هؤلاء ممَّن لا يتمثل الشَّيْطان به، فيوقع اللبس على الرائي بذلك، وله علامة عندهم، وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشـار إليه بالأمر والنهي غير الموافقَيْن للشرع، فيظن الرائي أنَّه من قبل النبي ﷺ ولا يكـون كذلك. فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى.

وما أحرى هذا الضرب أن يكون الأمـر أو النهي فيه مخالفًا لكمال الأول، حقيق بـأن يكون فيه موافقًـا، وعند ذلك لا يبقى في المسـألة إشـكال، نعم لا يحكم بمجرَّد الرؤيا حتَّى يعرضها على العلم، لإمكان اختلاط أحد القسـمين بالآخر، وعلـى الجملة فلا يسـتدل بالرؤيا في الأحكام إلَّا ضعيف الْمُنَّةُ ـ القوَّة ـ.

نعم يأتي المرئي تأنيسًـا وبشـارة ونذارة خاصَّة، بحيث لا يقطعون بمقتضاهـا حكمًا، ولا يبنون عليهـا أصلًا، وهو الاعتـدال في أخذها، حسبما فهم من الشرع فيها، والله أعلم»[1].

وهذا كلام يعد غاية في التحقيق من العلَّامة الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

* * *

(١) الاعتصام (٢٦٢/١ ـ ٢٦٤)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الأصل الرابع

من الأصول العشرين

في حماية التوحيد ورعاية السنن والأسباب

وبيان موقف الإسلام من التمائم والرقى والكهانة

«والتَّمائم والرُّقَى والــوَدَعُ والرمل والمعرفــة والكهانة وادَّعاء معرفة الغيب، وكلُّ ما كان من هذا الباب: منكرٌ تجب محاربته، إلَّا ما كان آية من قرآن، أو رقية مأثورة».

حسن البنَّا

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأصل الرابع من الأصول العشرين

يقول الإمام حسن البنَّا رضي الله عنه: «والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة، وادِّعاءُ معرفة الغيب، وكلُّ ما كان من هذا الباب: منكر تجب محاربته، إلَّا ما كان آية من قرآن، أو رقية مأثورة».

يقوم هذا الأصل على قاعدتين في غاية الأهمية:

الأولى: هي تجريد التوحيد لله تبارك وتعالى، بحيث يعتقد المسلم اعتقادًا جازمًا: أن لا دافع ولا مانع غير الله، ولا ضار ولا نافع غير الله، وأنَّ الأمور كلها بيديه سبحانه، وأن من عداه وما عداه لا يملكون لأنفسهم ـ فضلًا عن غيرهم ـ ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧، ١٨]، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

فلا يجوز الاعتماد على أحد غير الله تعالى، ولا على أسباب لم يشرعها الله تعالى.

والقاعدة الثانية: هي رعاية سنن الله تعالى في الخلق والحياة والإنسان، واحترام نظام الأسباب والمسببات الَّذي أقام الله عليه هذا الكون.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وقد أشـــاع جو الشـــرك والوثنية قديمًـــا وحديثًا أباطيـــل وخرافات اعتقادية وعمليَّة، أحدثت خللًا في مراعاة نظام السنن والأسباب.

من هذه الأباطيل:

١ ـ تعليق التمائم.

٢ ـ الرقى الشركيَّة.

٣ ـ ادِّعاء معرفة الغيب عن طريـــق المعرفة والكهانة والودع والرمل والتنجيم ونحوها.

وهذه كلها وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته، كما قال الأستاذ البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يستثن من ذلك إلَّا ما كان آية من قرآن، أو رقية مأثورة.

وسنتحدَّث عن هذه الأمور الثلاثة وأحكامها بالتفصيل في المباحث التالية، مستمدين العون والتوفيق من الله تعالى.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

١

التمائم وأحكامها

• معنى التمائم:

قال الحافظ المنذري: «التميمة: خرزة كانوا يعلقونها، يرون أنَّها تدفع عنهم الآفات، وهذا جهل وضلالة، إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى»[(١)].

وقال العلَّامة ابن الأثير في «النهاية»: «التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام»[(٢)].

ومثلها الودع، وهو شيء يخرج من البحر، يشبه الصدف، يتقون به العين أيضًا.

ومثلها ما يعلق من خيوط أو من أوراق تكتب فيها بعض العبارات من غير ذكر الله تعالى، أو توضع فيها بعض الأشياء ممَّا يشتمل عليه ما يسمى بـ «الأحجبة» الَّتي يصنعها الجهلة والدجالون لمن يقدِّسونهم.

ومن ذلك أيضًا: ما يعلق على أبواب المنازل أو في مقدمة السيارات ونحوها من وضع حدوة فرس، أو ما كان على صورتها، أو حذاء صغير،

(١) انظر: الترغيب والترهيب (١٥٧/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٧/١).

QaradawiBooks.com

أو كف مرسوم أو غير ذلك، ممَّا يزعمون أنَّه وقاية من العين، أو من أذى الجن أو الإنس، ونحو ذلك، فكله منكر أبطله الإسلام.

• **التمائم من الشرك:**

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ محذرة من تلك الأعمال، ومعتبرة إياها من الشرك، والمراد به الشرك الأصغر، وهو عظيم.

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن عقبة بن عامر الجهني: أنَّ رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة، وتركت هذا؟ قال: «**إنَّ عليه تميمة!**»، فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: «**من علَّق تميمةً فقد أشرك**»[(١)].

وعن عقبة بن عامر أيضًا أنَّه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من علَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له**»[(٢)].

ومعنى: «**لا أتمَّ الله له**»: دعاء عليه ألَّا يتمِّم الله له ما يريد، ومعنى: «**لا ودع الله له**»: أي لا جعله في دعة وسكون، وقيل: هو لفظ معنى من الودعة، أي: لا خفف الله عنه ما يخافه.

وعن عمران بن حُصَيْن: أنَّ النبيَّ ﷺ رأى في يد رجل حلقة، فقال: «**ما هذا؟**» قال: اتخذتها من الواهنة، قال: «**ما تزيدك إلَّا وهنًا، انبذها عنك، فإنَّك إنْ مت وهي عليك وكلت إليها**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢).

(٢) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وابن حبان في الرقى والتمائم (٦٠٨٦)، والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (٢٠٠٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطب (٣٥٣١)، وابن حبان في الرقى والتمائم (٦٠٨٥)، والطبراني (١٧٢/١٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٠٢): =

QaradawiBooks.com

وفي رواية الإمام أحمد: «**فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**».

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» عن عمران موقوفًا عليه: أنَّه نظر إلى رجل في يده فَتَخٌ من صُفْر ـ الفتخ: الخواتيم الكبار، والصفر: النحاس ـ فقال: «ما هذا في يدك؟» قال: صنعته من الواهنة! فقال عمران: «فإنه لا يزيدك إلَّا وهنًا»[(١)].

والواهنة ـ كما يقول ابن الأثير في «النهاية» ـ عرق يأخذ في المنكب أو في اليد كلِّها، فيرقى منها[(٢)].

وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وربَّما علَّق عليها جنس من الخرز، يقال لها: خرز الواهنة، وهي تأخذ الرجال دون النساء، وإنَّما نهاه عنها لأنَّه إنَّما اتخذها على أنَّها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها.

وإنما قال له: «لا تزيدك إلَّا وهنًا» لأنَّ المشرك يعامل بنقيض قصده، فإنَّه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

وفي الصحيحين عن أبي بشير الأنصاري: أنَّه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا أنْ: «**لا يَبْقَيَنَّ في رقبة بعير قلادة من وتر ـ أو قلادة ـ إلَّا قطعت**»[(٣)].

= رواه ابن ماجه باختصار، ورواه أحمد والطبراني، وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(١) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٣٤٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/٢٣٤).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٥)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١١٥).

QaradawiBooks.com

شك الراوي، هل قال شيخه: «قلادة من وتر»، أو قال: «قلادة»، وأطلق ولم يقيد؟

ويؤيد الأوَّل ما روي عن مالك: أنَّه سئل عن القلادة، فقال: ما سمعت بكراهتها إلَّا في الوتر[١].

ويؤيد الآخر: رواية أبي داود: «ولا قلادة»، بغير شك[٢].

واختلفوا في المراد بالنهي هنا.

ونقل الحافظ في «الفتح» عن الإمام ابن الجوزي ثلاثة أقوال في المعنى المراد:

أحدها: أنَّهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسي، لئلَّا تصيبها العين بزعمهم، فأمروا بقطعها، إعلامًا بأنَّ الأوتار لا ترد من أمر الله شيئًا، وهذا قول مالك، قال الحافظ: ويؤيده حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: «**من علق تميمة فلا أتم الله له**»[٣].

ثانيها: النهي عن ذلك؛ لئلَّا تختنق الدابة عند شدة الركض، ورجَّحه أبو عبيد، إذ قال: نهي عن ذلك لأنَّ الدواب تتأذَّى بذلك، ويضيق عليها نفسها ورعيها، وربَّما تعلقت بشجرة فاختنقت أو تعوقت عن السير.

وثالثها: أنَّهم كانوا يعلقون فيها الأجراس، حكاه الخطابي، وعليه يدلُّ تبويب البخاري[٤].

---

(١) انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٥٠٣/٤)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٥٢).

(٣) سبق تخريجه صـ ١٤٧.

(٤) فتح الباري (١٤٢/٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان الصحابة ﷺ حذرين أشدَّ الحذر من الشرك كلِّه، أكبره وأصغره، جليه وخفيه، أن يتسرَّب إلى أنفسهم أو إلى أحد من أهليهم أو من حولهم، فإذا رأوا شيئًا من ذلك أنكروه، أداءً للواجب، وتبرئةً للذمَّة، وإبلاغًا للدعوة، وكذلك تلاميذهم من التابعين.

روى الإمام أحمد في «مسند عبد الله بن مسعود» عن ابن أخي زينب عن زينب امرأة عبد الله قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق، كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه، قالت: وإنَّه جاء ذات يومٍ فتنحنح. قالت: وعندي عجوز تُرقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير، فدخل فجلس إلى جنبي، فرأى في عنقي خيطًا! قال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط رقي لي فيه! قالت: فأخذه فقطعه، ثمَّ قال: إنَّ آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**»، قالت: فقلت له: لِمَ تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، وكان إذا رقاها سكنت؟! قال: إنَّما ذلك عمل الشَّيْطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقيتها كفَّ عنها، إنَّما كان يكفيك أنْ تقولي كما قال رسول الله ﷺ: «**أذهب البأسَ ربَّ النَّاس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يُغَادِر سقمًا**»[(١)].

أمَّا الرقى فسيأتي الحديث عنها مفصلًا، وأمَّا التِّوَلة ـ بكسر التاء وفتح الواو ـ فهي كما قاله ابن الأثير: ما يحبِّب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره، جعله شركًا لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى[(٢)].

(١) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٠/١).

QaradawiBooks.com

«السَّقَم ـ بفتحتين ـ أو السُّقْم ـ بضم السين مع سكون القاف ـ هو: المرض».

وروى ابن أبي حاتم عن عروة: أنَّ حذيفة بن اليمان دخل على مريض، فرأى في عضده سيرًا، فقطعه ـ أو انتزعه ـ ثمَّ قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦][(١)].

وروى وكيع في «جامعه» عن سعيد بن جبير: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة[(٢)].

• كراهة التمائم ولو كانت من القرآن:

وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها، من القرآن وغير القرآن[(٣)].

وإبراهيم النخعي إمام من كبار فقهاء التابعين مات سنة ستَّة وتسعين (٩٦هـ).

وقوله: «كانوا» يقصد أصحاب ابن مسعود من مدرسة الكوفة العِلْميَّة الشهيرة، أمثال: علقمة، والأسود، ومسروق، وأبي وائل، والحارث بن سويد، وعبيدة السلماني، والربيع بن خثيم، وغيرهم. وكلهم من سادات التابعين، وهذه الصيغة (كانوا) يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم وأحوالهم.

وهذا هو موقف ابن مسعود وأصحابه: كراهية التمائم كلِّها، من القرآن ومن غيره.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٨/٧)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الطب (٢٣٩٣٩).

(٣) المصدر السابق (٢٣٩٣٣).

QaradawiBooks.com

• من يرى جواز التمائم إذا كانت من القرآن:

وهناك من يرى جواز التمائم إذا كانت مـــن القرآن، وما فيه ذكر الله تعالى، فقد ورد أنَّ عبد الله بن عمرو لم يكن يمانع في ذلك.

فقد روى عمرو بن شـــعيب عن أبيه عن جده ـ عبد الله بن عمرو ـ قال: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأنْ يحضرون**»، قال: فكان عبد الله يُعلِّمهن من بلغ من ولده، أنْ يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أنْ يحفظها، كتبها له، فعلَّقها في عنقه[(١)].

قال في «فتح المجيد»: «وهـــو ظاهر ما روي عن عائشـــة، وبه قال أبو جعفـــر الباقر، وأحمـــد في روايـــة، وحملوا الحديـــث ـ الناهي عن التمائم ـ على التمائم الَّتي فيها شرك»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر في حديث: «**لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر**» بعد شـــرحه: «هذا كله في تعليق التمائم وغيرها ممَّا ليس فيه قرآن ونحوه، فأمـــا ما فيه ذكر الله فلا نهي فيـــه، فإنَّه إنَّما يجعـــل للتبرك به، والتعوذ بأسمائه وذكره»[(٣)].

---

(١) رواه أحمـــد (٦٦٩٦)، وقال مخرِّجوه: حديث محتمل للتحســـين. وأبـــو داود في الطب (٣٨٤٣)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٩)، وقال: حسن غريب. والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٦٥).

(٢) فتح المجيد لعبد الرحمٰن النجدي صـ ١٣٦، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشـــر مكتبة دار البيان، دمشق، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(٣) فتح الباري (١٤٢/٦).

QaradawiBooks.com

• موقف المسلم في هذه القضيَّة:

وإذا اختلف السلف في مثل هذه القضيَّة فللمسلم أن يأخذ ما يطمئن إليه قلبه من أحد الرأيين، وإن كنت أرجِّح ما رآه أصحاب ابن مسعود من كراهية التمائم كلِّها.

وهذا الترجيح مردُّه إلى جملة أمور:

أولها: عموم النهي عن التمائم، حيث لم تفرق النصوص بين بعضها وبعض، ولم يوجد مخصص.

وثانيها: سد الذريعة، حتَّى لا يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

وثالثها: أنَّه إذا علق ذلك فإنَّه لا بدَّ أنْ يمتهنه، بحمله في حال قضاء الحاجة، والجنابة ونحوها[1].

ورابعها: أنَّ القرآن إنَّما أنزل ليكون هدايةً ومنهاجًا للحياة، لا ليتخذ تمائم وحجبًا، وما إلى ذلك.

ومع هذا لا ينبغي أنْ يشتد المسلم في إنكار التمائم إذا كانت من القرآن وذكر الله، أو يغيرها بيده، فإنَّه من المقرر: أن لا إنكار في المسائل الاجتهادية الخلافية، ولا سيَّما أنَّ ابن مسعود وأصحابه كانوا ـ كما روى إبراهيم ـ يكرهون التمائم كلَّها، فهم يكرهونها فقط، وإن كان من حق المسلم المقتنع برأي أنْ يقيم الدليل على صحَّة ما ذهب إليه، وبيان خطأ الرأي الآخر، برفق وحكمة، دون طعن أو تجريح للآخرين، ودون عنف مصاحب للبيان.

(١) انظر: فتح المجيد صـ ١٣٦.

QaradawiBooks.com

وهذا ما جعل الإمام البنا يقول في أصله هذا: «وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته، إلَّا ما كان آية من قرآن، أو رقية مأثورة».

والإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب في كتابه الشهير «التوحيد» يقول تعليقًا على حديث: «**الرقى والتمائم والتولة شرك**»[١]: «التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخَّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم: ابن مسعود رضي الله عنه»[٢].

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٠.

(٢) فتح المجيد صـ ١٣٥، ١٣٦.

QaradawiBooks.com

٢

الرقى وأحكامها

الرقى: جمع رقيــة، وهي: العــوذة الَّتي يرقى بهــا صاحب الآفة كالحمى والصرع ولدغ الحيــات والعقارب ونحوها، كما يرقى بها من العين، يقول عُرْوة:

فَمَا تَرَكَا مِنْ عَــوْذَةٍ يَعْرِفَانِهَا وَلَا رُقْيَةٍ إِلَّا بهــا رَقَيَاني[(١)]!

وفي القرآن الكريــم: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٦، ٢٧]، أي: لا راقــي برقية ـ إذا بلغــت روحه الترقــوة والحلقــوم ـ فيحميه، فالاستفهام إنكاري.

وكانت الرقى معروفة عند العرب فــي الجاهليَّة، ولكنها كانت كثيرًا ما تشتمل على شركيات مثل: الاستعاذة بالجن والشياطين، وسؤال غير الله، وما لا يفهم معناه من الكلام.

ومن هنا حــذر النبي ﷺ من هــذا النوع من الرقــى، وهي الَّتي اعتبرها شركًا، كما في حديث ابن مسعود المتقدم: «**إنَّ الرُّقَى والتمائم والتِّوَلَة شِرْك**».

(١) تاج العروس مــادة (ر. ق. ي)، والبيت في شــعر عروة بن حــزام صـ ١٤، تحقيق إبراهيم الســامرائي وأحمد مطلوب، نشــر مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الرابع، حزيران ١٩٦١م، وفيه (رقية) بدل (عوذة).

QaradawiBooks.com

كما أنَّه شرع الرقى إذا كانت بكلام الله تعالى، أو بذكره سبحانه، وذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، والتوسل إلى الله في منع الضُّرِّ، ورفع الأذى، وشفاء المرضى، ونحو ذلك.

وقد رقى جبريل رسول الله ﷺ، ورقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ نفسه، ورقى غيره، وأذن للصحابة بالرقية، ما لم يكن فيها شرك، كما سنبيِّن ذلك.

قال الإمام الخطابي: «وكان ﷺ قد رقى ورقي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله، فهي مباحة ومأمور بها، وإنَّما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منه بغير لسان العرب، فإنَّه ربَّما كان كفرًا، أو قولًا يدخل الشرك»[(١)].

ومن ذلك: ما كان على مذاهب الجاهليَّة الَّتي يتعاطونها، وأنَّها تدفع عنهم الآفات بغير إذن الله تعالى وتقديره، ويعتقدون أنَّ ذلك من قبل الجن ومعونتهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد سئل عمن يقول: يا أزران، يا كيان، فقال: «هذه الألفاظ لا معنى لها في كلام العرب، وكل اسم مجهول فليس لأحد أنْ يرقي به، فضلًا عن أنْ يدعو به، ولو عرف معناه وأنَّه صحيح لكره أنْ يدعو الله بغير العربيَّة»[(٢)].

وإنما يرخص لمن لا يحسن العربيَّة: فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا فليس من دين الإسلام[(٣)].

---

(١) أعلام الحديث للخطابي (٢١١٦/٣)، نشر جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، وانظر: فتح المجيد صـ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٣/٢٤).

(٣) فتح المجيد صـ ١٣٥.

QaradawiBooks.com

وفي موضع آخر قال: «إنَّ المشـركين يقرؤون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجـن، وتعظيم لهم، وعامـة ما بأيدي النَّاس من العزائم والطلاسم والرقى الَّتي لا تفقه بالعربيَّة، فيها ما هو شرك بالجن، ولهذا نهى علماء المسـلمين عن الرقى الَّتي لا يفقه معناها؛ لأنَّها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنَّها شرك»[١].

وفي قاعدة التوسل والوسيلة قال: «وكذلك الرقى والعزائم الأعجمية هي تتضمن أسماء رجال من الجن يدعون ويستغاث بهم، ويقسم عليهم بمن يعظمونه، فتطيعهم الشياطين بسـبب ذلك في بعض الأمور، وهذا من جنس السحر والشرك»[٢].

ومن هنا قال الحافظ ابن حجر: «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١ ـ أنْ تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

٢ ـ وأنْ تكـون باللسـان العربي، أو بمـا يعرف معنـاه من غيره، ويرخص لغير العربي بالترجمة إلى لسانه.

٣ ـ وأنْ يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى[٣].

• الرقية كالدواء من قدر الله تعالى:

والرقيـة لا تنافي القدر ولا تدفعـه، بل هي من قـدر الله تعالى، فإنَّ الله ﷻ كما قدر المسببات قدر الأسباب، وكما قدر النتائج قدر المقدمات،

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٩).
(٢) المصدر السابق (٣٦٢/١).
(٣) انظر: فتح الباري (١٩٥/١٠).

QaradawiBooks.com

فهو يقدر أنَّ هذا المريض يشفى بتناوله للدواء الملائم، وهذا يشفى برقية رجل صالح، وذلك بأسباب يتخذها، فهذا كله من قدر الله تعالى.

والمؤمن الفقيه في دينه هو الَّذي يدفع الأقدار بعضها ببعض، كما أمر الله تعالى وشرع، فهو يدفع قدر الجوع بتناول الغذاء، وقدر العطش بشرب الماء، وقدر الداء بتعاطي الدواء.

وفي هذا جاء الحديث الَّذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي خزامة قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أرأيت رقًى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها: هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قدر الله**»[(١)]، وبهذا ندفع قدر الله بقدر الله.

• الرقية والطب الجسماني:

والرقية في حقيقتها: دعاء والتجاء إلى الله تعالى رب الناس، ومذهب البأس، أن يكشف الضر، ويشفي السقيم، فهي لون من الطب المعنوي أو الطب الروحي أو الإلٰهي.

والإسلام لا يمنع من استخدام الأدوية المعنوية والإلٰهية بجوار الأدوية الطبيعيَّة، وقد يكتفى في بعض الأحيان بإحداهما دون الأخرى.

وقد نقل الحافظ في «الفتح» عن ابن التين قوله: «الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق، حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلمَّا عزَّ هذا النوع فزع النَّاس إلى الطب الجسماني»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١).

(٢) فتح الباري (١٩٦/١٠).

QaradawiBooks.com

وأنا أقول: إنَّ الطب الجسماني مشروع، حتَّى مع وجود ذلك النوع من الطب الروحي، الَّذي يتجلَّى في الرقى الشرعيَّة والتعاويذ النبويَّة.

والنبي ﷺ شرع لأمته هذا وذاك جميعًا، فتداوى، وشرع التداوي للأُمَّة، وصحت أحاديثه القوليَّة والفعلية والتقريرية في ذلك، وعرف في عدد من كتب الحديث «كتاب الطب».

وقال في ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه عنه أبو هُرَيْرة: «**ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء**»(١).

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**إنَّ الله لم ينزل داء إلَّا وأنزل له شفاء، فتداووا به**»(٢).

وعن أسامة بن شريك: «**تداووا يا عباد الله، فإنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاء إلَّا داء الهرم**»(٣).

وعن جابر بن عبد الله: «**لكلِّ داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى**»(٤).

«**ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»(٥).

---

(١) رواه البخاري في الطب (٥٦٧٨).

(٢) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في الأشربة المحظورة (٦٨٣٦)، وابن حبان (٦٠٦٢)، والحاكم (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الطب، ولفظه: «ما أنزل الله داء، إلَّا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله».

(٣) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٤٣٦)، ثلاثتهم في الطب.

(٤) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧).

(٥) هو حديث ابن مسعود السابق.

QaradawiBooks.com

ومع هذا شرع الرسول الكريم لأمَّته الرقى والتعوُّذ بالله تعالى، شرعها من الألم أو المرض الواقع، وشرعها ممَّا يخاف ويتوقع في المستقبل.

ففي حديث ابن عبَّاس أنَّه ﷺ كان يعوِّذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة، من كلِّ شيطان وهامة[١].

وروى الشيخان عن عائشة: أنَّ النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه، ينفث بالمعوذتين، ويمسح بهما وجهه[٢].

وعن خولة بنت حكيم مرفوعًا: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، لم يضره شيء حتَّى يرتحل من منزله**»[٣].

وعن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، قال: سمعت رجلًا من أسلم قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله، لدغت الليلة فلم أنم حتَّى أصبحت، قال: «**ماذا؟**» قال: عقرب. قال: «**أما إنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، لم تضرك إن شاء الله**»[٤].

وهذا يدلُّنا على أنَّ الرقى والتعاويذ المشروعة تكون للوقاية، كما تكون للعلاج.

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٧١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٤٨)، ومسلم في السلام (٢١٩٢)، وفي مسلم «إذا مرض» بدل «إذا أوى إلى فراشه».

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٨)، وأحمد (٢٧١٢٢).

(٤) رواه أحمد (١٥٧٠٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الطب (٣٨٩٨).

QaradawiBooks.com

• نفع الأدوية الإلٰهيَّة:

قال الإمام ابـــن القَيِّم في «زاد المعاد»: «واعلـــم أنَّ الأدوية الطبيعيَّة الإلٰهيَّة تنفع من الداء بعـــد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًّا، وإنْ كان مؤذيًا، والأدويـــة الطبيعيَّة إنَّما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إمَّـــا أن تمنع وقوع هذه الأســـباب، وإما أن تحول بينهـــا وبين كمال تأثيرها بحســـب كمال التعـــوذ وقوته وضعفه، فالرقى والتعوذ تُستعمل لحفظ الصحَّة، ولإزالة المرض.

أمَّـــا الأول: فكمـــا فـــي «الصحيحين» مـــن حديث عائشـــة: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشـــه نفث في كفَّيه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخـــلاص: ١] والمعوذتين، ثمَّ يمســـح بهما وجهـــه، وما بلغت يده من جسده[(١)].

وكما في «الصحيحين»: «**من قرأ الآيتين من آخر ســـورة البقرة في ليلة كفتاه**»[(٢)].

وكما في «صحيح مســـلم» عن النبي ﷺ: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شـــرِّ ما خلق، لم يضره شيء حتَّى يرتحل من منزله ذلك**»[(٣)].

وكما في «ســـنن أبي داود» كان في الســـفر يقول بالليل: «**يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما يَدِبُّ عليك،**

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٦٠.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٩)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨٠٨)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٣) سبق تخريجه صـ ١٦٠.

QaradawiBooks.com

أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»[(١)].

وأمَّا الثاني فكرقية اللديغ بالفاتحة»[(٢)].

- **أفضل الرقى:**

ولا خلاف أنَّ أفضل الرقى ما كان بالصيغة المأثورة عن النبي ﷺ، وكذلك ما أثر عن جبريل أمين الوحي عليه السلام: أنَّه رقى به النبي ﷺ، وقد صحَّت عدة صيغ عن رسول الله ﷺ بالإضافة إلى الصيغة الجبريلية، وينبغي للمسلم أنْ يرقى بها، بما اشتملت عليه من أفضل أنواع الدعاء لله والاستعاذة بالله، والالتجاء إليه، والبراءة ممَّا سواه، فضلًا عما لها من حلاوة وما عليها من طلاوة.

والمسلم يؤجر بالرقية بهذه الرقى النبويَّة من وجهين:

الأول: وجه الذكر والدعاء والاستعانة بالله تعالى.

والثاني: وجه الاتباع للمأثور النبوي، والتقيُّد به، ففيه الهدى والفلاح.

وهذه الرقى منها ما هو من القرآن الكريم مثل: المعوذات: سورة الإخلاص، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ومثل فاتحة الكتاب، الَّتي رقى بها أصحابه وأقرهم عليها، ومثل آية الكرسي.

ومنها: أذكار وأدعية ليست من القرآن الكريم، وإن كانت مقتبسة من هداه.

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٣)، وأحمد (٦١٦١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الجهاد (١٠٠/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن عمر.

(٢) انظر: زاد المعاد (١٨٢/٤ ـ ١٨٤).

QaradawiBooks.com

• الصيغ النبويَّة للرقى:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منَّا إنسان، مسحه بيمينه، ثمَّ قال: «**أذهب البأس، ربَّ الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**».

فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل: أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع، فانتزع يده من يدي، ثمَّ قال: «**اللهم اغفر لي، واجعلني مع الرفيق الأعلى**».

قالت: فذهبت أنظر، فإذا هو قد قضى[(١)].

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له قال: «**أذهب الباس، رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[(٢)].

وفي رواية عنها أنَّه كان يرقي بهذه الرقية: «**أذهب البأس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلَّا أنت**»[(٣)].

وروى البخاري عن عبد العزيز بن صهيب قال: دخلت أنا وثابت ـ البناني ـ على أنس بن مالك، فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكيت! فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: «**اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلَّا أنت، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٩١)(٤٦)، وأحمد (٢٤١٨٢).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٧٥)، ومسلم في السلام (٢١٩١) (٤٨).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٤٤)، ومسلم في السلام (٢١٩١) (٤٩).

(٤) رواه البخاري في الطب (٥٧٤٢).

QaradawiBooks.com

• رقية المريض بالمعوذات والنفث:

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الَّذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنَّها كانت أعظم بركة من يدي[(١)]، ومعنى: «نفث عليه» أي: نفخ نفخًا لطيفًا بلا ريق، أو مع ريق خفيف.

وفي رواية عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاء بركتها[(٢)].

وعن عبد الرحمٰن بن السائب ابن أخي ميمونة، أن ميمونة قالت لي: يا ابن أخي، ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قالت: «**بسم الله أرقيك، والله يشفيك من كل داءٍ فيك، أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلَّا أنت**»[(٣)].

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنَّه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا، يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الَّذي تألم من جسدك، وقل: باسم الله ـ ثلاثًا ـ وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[(٤)].

وفي رواية أبي داود: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**»[(٥)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤٣٩)، ومسلم في السلام (٢١٩٢) (٥٠).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٦)، ومسلم في السلام (٢١٩٢) (٥١).

(٣) رواه أحمد (٢٦٨٢١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٩٣)، وابن حبان في الرقى والتمائم (٦٠٩٥).

(٤) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٢)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٧٣).

(٥) رواه أبو داود في الطب (٣٨٩١).

QaradawiBooks.com

وروى مسلم عن أبي سعيد: أنَّ جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «**يا مُحَمَّد، اشتكيت؟**» قال: «**نعم**»، قال: «**بسم الله أرقيك، من كلِّ شيءٍ يؤذيك، من شر كلِّ نفس وعين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك**»[١].

وروى أبو داود عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الَّذي في السماء، تقدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفرْ لنا حَوْبنا**[٢] **وخطايانا، أنت ربُّ الطيِّبين، أنزل رحمةً من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ بإذن الله**»[٣].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلِّمهم من الفزع كلمات: «**أعوذ بكلمات الله التامَّة من غضبه وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين، وأنْ يحضرون**»، وكان عبد الله بن عمر يُعَلِّمهن مَنْ عَقَلَ من بنيه، ومَنْ لم يعقل كتبه فأَعْلَقه عليه[٤].

وعن يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: ما هذه؟ قال: أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتي بي رسول الله ﷺ فنفث فيَّ ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتَّى الساعة[٥].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٨٦)، وأحمد (١١٥٣٤).

(٢) قال الخطابي: الحوب: الإثم، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، والحوبة أيضًا، مفتوحة الحاء، مع إدخال الهاء.

(٣) رواه أبو داود في الطب (٣٨٩٢)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٨١٠)، قال صدر الدين أبو المعالي في كشف المنهاج والتناقيح (١١٢٥): في إسناد الحديث: زيادة بن محمد الأنصاري، قال البخاري والنسائي وابن حبان وأبو حاتم: منكر الحديث.

(٤) سبق تخريجه صـ١٥٢.

(٥) رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٦).

QaradawiBooks.com

وعن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول للإنسان إذا اشتكى يقول بريقه ثمَّ قال به في التراب: «**تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا**»[١].

غير مرخصة للطباعة

• **الرقية بفاتحة الكتاب:**

ومن أعظم الرقى: الرقية بفاتحة الكتاب وأم القرآن.

عن خارجة بن الصلت التميمي، عن عمه[٢] أنَّه أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ثمَّ أقبل راجعًا من عنده، فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير، فهل عندك شيء تداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ. وفي رواية: أنَّه رقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية... فكأنما أنشط من عقال، قال: فأعطوني مائة شاة، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**هل إلَّا هذا؟**»، وقال مسدد في موضع آخر: «**هل قلت غير هذا؟**» قلت: لا. قال: «**خذها، فلعَمْري لمن أكل برقيةِ باطلٍ لقد أكلت برقية حق**»[٣].

وعن أبي سعيد: أنَّ رهطًا من أصحاب رسول الله ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتَّى نزلوا في حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أنْ يُضَيِّفُوهم، فلُدِغ سيد ذلك الحي، فسَعَوْا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الَّذين قد نزلوا بكم، لعلَّه أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إنَّ سيدنا لُدِغَ، فسَعَيْنا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٤٥)، ومسلم في السلام (٢١٩٤).

(٢) عم خارجة بن الصلت: هو علاقة بن صحار السليطي.

(٣) رواه أحمد (٢١٨٣٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده محتمل للتحسين. وأبو داود في الطب (٣٨٩٦)، وابن حبان في الرقى والتمائم (٦١١٠)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٥١/٤).

QaradawiBooks.com

بعضهم: نعم، والله إنِّي لراقٍ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتَّى تجعلوا لنا جُعْلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ـ يعني الفاتحة ـ حتَّى لكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي ما به قلبة، قال: فأوفوهم جُعلهم الَّذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الَّذي رقى: لا تفعلوا حتَّى نأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الَّذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «**وما يدريك أنَّها رُقْيَة؟ أصبتم، اقْسِموا واضْرِبوا لي معكم بسَهْم**»[1]. ومعنى «ما به قلبة» أي: ما به ألم يقلب لأجله على الفراش.

• **من فقه الحديث:**

قال الحافظ في «الفتح»: «في الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور ممَّا لا يخالف ما في المأثور، وفيه مقابلة من امتنع من المكرمة بنظير صنيعه لما صنعه الصحابي من الامتناع من الرقية في مقابلة امتناع أولئك من ضيافتهم، وفيه إمضاء ما يلتزمه المرء على نفسه؛ لأنَّ أبا سعيد التزم أن يرقي، وأنْ يكون الجُعْل له ولأصحابه، وأمره النبيُّ ﷺ بالوفاء بذلك، وفيه جواز قبض الشيء الَّذي ظاهره الحل، وترك التصرُّف فيه إذا عرضت فيه شبهة، وفيه الاجتهاد عند فقد النص، وعظمةُ القرآن في صدور الصحابة، خصوصًا الفاتحة، وفيه أنَّ الرزق المقسوم لا يستطيع من هو في يده منعه ممَّن قسم له؛ لأنَّ أولئك منعوا الضيافة، وكان الله قسم للصحابة في مالهم نصيبًا، فمنعوهم، فسبَّب لهم لدغ العقرب حتَّى

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٤٩)، ومسلم في السلام (٢٢٠١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سيق لهم ما قسم لهم، وفيه الحكمة البالغة؛ حيث اختص بالعقاب من كان رأسًا في المنع؛ لأنَّ من عادة النَّاس الائتمار بأمر كبيرهم، فلما كان رأسهم في المنع اختص بالعقوبة دونهم جزاءً وفاقًا»[١].

• عظمة الفاتحة:

وقال الإمام ابن القَيِّم في «زاد المعاد»: «إذا ثبت أنَّ لبعض الكلام خواص ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين، ثمَّ بالفاتحة الَّتي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها؟ لتضمنها جميع معاني كتب الله المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب تعالى ومجامعها، وهي: الله، والرب، والرحمن، وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلٰهيَّة، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه في طلب الإعانة وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه، وما العباد أحوج شيء إليه، وهو الهداية إلى صراطه المستقيم، والمتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى مُنْعَمٍ عليه بمعرفة الحق، والعمل به، ومحبته، وإيثاره، ومغضوب عليه بعدوله عن الحق بعد معرفته له، وضال بعدم معرفته له، وهؤلاء أقسام الخليقة مع تضمنها لإثبات القدر، والشرع، والأسماء، والصفات، والمعاد، والنبوات، وتزكية النفوس، وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه، والرد على جميع أهل البدع والباطل، كما ذكرنا ذلك في كتابنا «مدارج السالكين» في شرحها.

---

(١) فتح الباري (٤/٤٥٧).

QaradawiBooks.com

وحقيق بسورة هذا بعض شـأنها أنْ يستشفى بها من الأدواء، ويرقى بها اللديغ.

وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه، والاسـتعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي الهداية الَّتـي تجلب النعم، وتدفـع النقم، من أعظم الأدوية الشافية الكافية.

وقد قيـل: إن موضع الرقيـة منهـا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء، فإن فيهما من عموم التفويـض والتوكيل، والالتجاء والاسـتعانة، والافتقار والطلب، والجمع بين أعلى الغايات، وهي عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل وهي الاستعانة به على عبادته، ما ليس في غيرها، ولقد مرَّ بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا، ثمَّ أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثمَّ صـرت أعتمد ذلك عنـد كثير من الأوجـاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع»[1].

• من أي شيء تكون الرقية؟

أثبتـت الأحاديـث الصحـاح: أنَّ الرقية مشـروعة مـن كل الآلام والأمراض الَّتي تصيب المسلم.

روى مسـلم في «صحيحه» في باب «اسـتحباب الرقيـة من العين والنملة والحُمَـة والنظرة» عن عبد الرحمٰن بن الأسـود، عن أبيه، قال:

(١) زاد المعاد (١٧٧/٤، ١٧٨).

QaradawiBooks.com

سألت عائشة عن الرقية؟ فقالت: رخص رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار في الرقية، من كل ذي حُمَة[١].

الحُمَة: السمُّ، ومعناه: أذن في الرقية من كل ذات سم.

وعن عائشة أيضًا: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا، ووضع سفيان سبابته بالأض ثمَّ رفعها: «**باسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى به سقيمنا، بإذن ربنا**»[٢].

وعنها رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كان يأمرها أنْ تسترقي من العين[٣].

وعن أنس قال: رخَّص رسول الله ﷺ في الرقية من العين، والحُمَة، والنملة[٤].

وعن أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال لجارية في بيت أمِّ سلمة، زوج النبي ﷺ، رأى بوجهها سفعة، فقال: «**بها نظرة، فاسترقوا لها**» يعني: بوجهها صُفْرة[٥].

«السَّفْعَة» قد فسَّرها في الحديث بالصفرة، وقيل: سواد، وقال

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٩٣)، ورواه أيضًا البخاري في الطب (٥٧٤١).

(٢) «أرضنا.. بريقة» قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا: جملة الأرض. وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها، والريقة: أقل من الريق. ومعنى الحديث: أنَّه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح.
والحديث رواه مسلم في السلام (٢١٩٤).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٣٨)، ومسلم في السلام (٢١٩٥).

(٤) رواه مسلم في السلام (٢١٩٦)، وأحمد (١٢١٧٣).

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٣٩)، ومسلم في السلام (٢١٩٧).

QaradawiBooks.com

ابن قُتَيْبة: هي لون يخالف لون الوجه، و«النظرة» هي العين، أي: أصابتها عين، وقيل: هي المسُّ، أي: مس الشَّيْطان.

وعن أبي الزبير: أنَّه سمع جابر بن عبد الله يقول: رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: «**ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة** ـ أي: نحيفة ـ **تصيبهم الحاجة؟**» قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: «**ارقيهم**»، قالت: فعرضت عليه، فقال: «**ارقيهم**»[(١)].

قال أبو الزبير: وسمعت جابر بن عبد الله يقول: لدغت رجلًا منا عقرب، ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أرقي؟ ـ وفي رواية: أرقيه؟ ـ قال: «**من استطاع منكم أنْ ينفع أخاه فليفعل**»[(٢)].

وعن جابر أيضًا قال: كان لي خال يرقي من العقرب، فنهى رسول الله ﷺ عن الرقى، قال: فأتاه، فقال: يا رسول الله، إنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقي من العقرب، فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[(٣)].

وعن جابر أيضًا قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنَّه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: «**ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٩٨).

(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٩٩) (٦١)، وأحمد (١٥١٠٢).

(٣) رواه مسلم في السلام (٢١٩٩) (٦٢)، وأحمد (١٤٢٣١).

(٤) رواه مسلم في السلام (٢١٩٩) (٦٣)، وأحمد (١٤٣٨٢).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

• لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك:

وعن عوف بن مالك الأشـجعي قال: كنا نرقي في الجاهليَّة، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[(١)].

روى أبـو داود عـن الشـفاء[(٢)] بنـت عبـد الله قالت: دخـل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: «**ألا تُعَلِّمِينَ هذه رقية النَّمْلة كما علَّمْتِيها الكتابة؟**»[(٣)].

والنملة: قروح تخرج في الجنبَيْن، ويقـال: إنَّها تخرج أيضًا في غير الجنب، ترقى فتذهب بإذن الله ﷻ.

وعـن عثمان بن حَكِيـم: حدَّثتني جدَّتـي الرَّبَاب قالت: سـمعتُ سـهل بن حُنَيْف يقول: مررْنا بسـيلٍ فدخلت، فاغتسلت فيه، فخرجت محمومًا، فنمى ذلك إلى رسـول الله ﷺ، فقال: «**مُرُوا أبا ثابت يتعوَّذ**»، قالت: فقلت: يا سيدي[(٤)]، والرقى صالحة؟ فقال: «**لا رُقية إلَّا في نفس أو حُمَة أو لَدْغة**»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٠)، وأبو داود في الطب (٣٨٨٦).

(٢) الشفاء: اسمها ليلى، وغلب عليها الشفاء، قرشية عدوية، أسلمت قبل الهجرة، وبايعت النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يأتيها ويقيـل في بيتها، وكان عمر رضي الله عنه يقدمها في الـرأي ويرضاها ويفضلها، وربما ولاها شيئًا من أمر السوق. والياء في «علمتيها الكتابة» ناشئة عن إشباع الكسرة.

(٣) رواه أبو داود في الطب (٣٨٨٧)، وأحمد (٢٧٠٩٥)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. والنسائي في الكبرى في الطب (٧٥٠١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٥٠).

(٤) قال الخطابي: النفس: العين، وفيه بيان جواز أن يقول الرجل لرئيسه من الآدميين: يا سيدي. معالم السنن (٢٢٧/٤)، نشر المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

(٥) رواه أحمد (١٥٩٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الطب (٣٨٨٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٠١٥)، والحاكم في الرقى والتمائم (٤١٣/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

قال أبو داود: الحُمَة من الحيَّات وما يلسع.

وأنفع ما يكون الرقية من العين، وخصوصًا عين الحاسد إذا حسد.

• **كلام ابن القَيِّم في تأثير العين والرقية منها:**

كتب ابن القَيِّم في كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» فصولًا في هديه ﷺ في العلاج بالأدوية الروحانية الإلٰهيَّة المفردة، والمركبة منها، ومن الأدوية الطبيعيَّة:

منها: فصل في هديه ﷺ في علاج المصاب بالعين، وفيه ذكر جملة من الأحاديث، منها:

ما رواه مسلم في «صحيحه» عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «**العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابقُ القَدَرِ لسبقتْه العَيْن**»[(١)].

وفي «صحيحه» أيضًا عن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ رخَّص في الرقية من الحُمَة والعين والنملة[(٢)].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هُرَيْرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**العين حقٌّ**»[(٣)].

وفي «الصحيحين» عن عائشة قالت: أمرني النبيُّ ﷺ ـ أو أمر ـ أنْ نسترقي من العين[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٨٨). ومعناه: أنَّ القدر لا يسبقه شيء، ولو كان يسبق لسبقته العين لقوتها وسرعة تأثيرها.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٩٦). والحمة بالتخفيف: السم، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة؛ لأنَّ السم يخرج منها، والنملة: قروح تخرج في الجنب.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٤٠)، ومسلم في السلام (٢١٨٧).

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٣٨)، ومسلم في السلام (٢١٩٥).

QaradawiBooks.com

وذكر الترمذي: أنَّ أسماء بنت عُمَيْس قالت: يا رسولَ الله، إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ فقال: «**نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين**»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح(١).

قال الإمام ابن القَيِّم: «والعين: عينان: عين إنسيَّة، وعين جنِّيَّة، فقد صحَّ عن أمِّ سلمة أنَّ النبيَّ ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة، فقال: «**استرقوا لها، فإنَّ بها النظرة**»(٢).

قال الحسين بن مسعود الفراء البغوي: وقوله: «**سفعة**» أي: نظرة، يعني: من الجن، يقول: بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسِنَّة الرماح(٣).

وعن أبي سعيد، أنَّ النبي ﷺ كان يتعوَّذ من الجان، ومن عين الإنسان(٤).

فأبطلت طائفة ممَّن قلَّ نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا: إنَّما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل النَّاس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابًا، وأكثفهم طباعًا، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس، وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين.

---

(١) رواه الترمذي في الطب (٢٠٥٩)، وأحمد (٢٧٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وابن ماجه (٣٥١٠)، والنسائي في الكبرى (٧٤٩٥)، كلاهما في الطب.

(٢) سبق تخريجه صـ١٧٠. والسَّفْعَة، بفتح السين ويجوز ضمها وسكون الفاء: سواد في الوجه، ومنه سفعة الفرس: سواد ناصيته. وعن الأصمعي: حمرة يعلوها سواد. وقيل: صفرة. وقيل: سواد مع لون آخر. وقال ابن قتيبة: لون يخالف لون الوجه، وكلها متقاربة.

(٣) انظر: شرح السنة (١٦٣/١٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٤) رواه الترمذي في الطب (٢٠٥٨)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٩٤)، وابن ماجه في الطب (٣٥١١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٠٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فقالت طائفة: إنَّ العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوَّة سمية تتصل بالمعين، فيتضرر، قالوا: ولا يستنكر هذا، كما لا يستنكر انبعاث قوَّة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان، فيهلك، وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعي، أنَّها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن.

وقالت فرقة أخرى: لا يستبعد أنْ ينبعث من عين بعض النَّاس جواهر لطيفة غير مرئيَّة، فتَّتصل بالمعين، وتتخلَّل مسامَّ جسمه، فيحصل له الضرر.

وقالت فرقة أخرى: قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوَّة ولا سبب ولا تأثير أصلًا، وهذا مذهب منكري الأسباب والقوى والتأثيرات في العالم، وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب، وخالفوا العقلاء أجمعين.

قال ابن القَيِّم: «ولا ريب أنَّ الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنَّه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه، ويصفر صفرة شديدة إذا نظر من يخاف إليه، وقد شاهد النَّاس من يسقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بتأثير الأرواح، ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنَّما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذًى بَيِّنًا، ولهذا أمر الله سبحانه رسوله أنْ

QaradawiBooks.com

يستعيذ به من شره، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلَّا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإنَّ النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود، فتؤثر فيه بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى، فإنَّ السم كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها انبعث منها قوَّة غضبية، وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتَّى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثر في طمس البصر، كما قال النبي ﷺ في الأبتر، وذي الطُّفْيَتَيْن من الحيات: «**إنهما يلتمسان البصر، ويسقطان الحَبَل**»[(١)].

ومنها ما تؤثر في الإنسان كيفيتها بمجرَّد الرؤية من غير اتصال به، لشدة خبث تلك النفس، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة، والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية، كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة، بل التأثير يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات، وتارة بالوهم والتخيل، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية، وقد قال تعالى لنبيه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١]، وقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٤، ٥]، فكل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٧)، ومسلم في السلام (٢٢٣٣)، عن ابن عمر. والطُّفْيَتان: هما الخطان الأبيضان على ظهر الحية. والأبتر: قصير الذنب. وقوله: «يلتمسان البصر» قال الخطابي: فيه تأويلان: أحدهما: معناه يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه بخاصة جعلها الله تعالى في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان، والثاني: أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش، والأول أصح وأشهر.

QaradawiBooks.com

عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنًا، فلما كان الحاسد أعم من العائن، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإذا صادفته مكشوفًا لا وقاية عليه، أثرت فيه، ولا بدَّ، وإن صادفته حذرًا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه، وربَّما ردت السهام على صاحبها، وهذا بمثابة الرمي الحسي سواء، فهذا من النفوس والأرواح، وذاك من الأجسام والأشباح، وأصله من إعجاب العائن بالشيء، ثمَّ تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثمَّ تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين، وقد تعين الرجل نفسه، وقد تعين بغير إرادته، بل بطبعه، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني، وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء: إن من عرف بذلك حبسه الإمام وأجرى له ما ينفق عليه إلى الموت، وهذا هو الصواب قطعًا.

والمقصود، العلاج النبوي لهذه العلة، وهو أنواع، وقد روى أبو داود في «سننه» عن سهل بن حنيف قال: مررنا بسيل، فدخلت فاغتسلت فيه، فخرجت محمومًا، فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**مروا أبا ثابت يتعوَّذ**»، قال: فقلت: يا سيدي، والرقى صالحة؟ فقال: «**لا رُقْيَة إلَّا في نَفْس، أو حُمَة، أو لَدْغَة**»[1].

والنفس: العين، يقال: أصابت فلانًا نفس، أي: عين، والنافس: العائن، واللدغة ـ بدال مهملة وغين معجمة ـ وهي ضربة العقرب ونحوها.

فمن التعوُّذات والرقى: الإكثار من قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي.

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٢.

QaradawiBooks.com

ومنها التعوُّذات النبويَّة نحو: «**أعوذ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق**»[١].

ونحو: «**أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطان وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة**»[٢].

ونحو: «**أعوذ بكلمات الله التامَّات الَّتي لا يجاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجر، من شرِّ ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرِّ ما ينزل من السماء، ومن شرِّ ما يعرج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ في الأرض، ومن شرِّ ما يخرج منها، ومن شرِّ فتن الليل والنهار، ومن شرِّ طوارق اليل إلَّا طارقًا يطرق بخير يا رحمٰن**»[٣].

ومنها: «**أعوذ بكلمات الله التامَّة من غضبه وعقابه، ومن شرِّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**»[٤].

ومنها: «**اللهم إنِّي أعوذ بوجهك الكريم، وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهمَّ أنت تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنَّه لا يُهْزَم جُنْدَك، ولا يُخْلَف وعدك، سبحانك وبحمدك**»[٥].

ومنها: «**أعوذ بوجه الله العظيم الَّذي لا شيء أعظمُ منه، وبكلماته التامَّات الَّتي لا يُجَاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجر، وأسماء الله الحسنى، ما علمت**

---

(١) سبق تخريجه صـ١٦٠.

(٢) سبق تخريجه صـ١٦٠.

(٣) رواه أحمد (١٥٤٦١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الطب (٢٤٠٦٨)، وأبو يعلى (٦٨٤٤)، عن عبد الرحمٰن بن خنبش.

(٤) سبق تخريجه صـ١٥٢.

(٥) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٥٢)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٧٦٨٥)، وصحَّح إسناده النووي في الأذكار (٢١٨)، وكذا ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٨٣/٢)، عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

منها وما لم أعلم، من شـرِّ ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شـرِّ كلِّ ذي شـرٍّ لا أطيق شرَّه، ومن شـرِّ كلِّ ذي شـرٍّ أنت آخذ بناصيته، إنَّ ربِّي على صراطٍ مستقيم».

ومنها: «**اللهمَّ أنت ربِّي لا إله إلَّا أنت، عليـك توكَّلت، وأنت ربُّ العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، أعلـمُ أنَّ الله على كلِّ شـيء قدير، وأنَّ الله قد أحاط بكلِّ شـيء علمًا، وأحصى كلَّ شيء عددًا، اللهم إنِّي أعوذ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشَّيْطان وشـركه، ومن شـرِّ كلِّ دابَّة أنت آخِذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صراطٍ مستقيم**»[1].

وإن شـاء قال: «**تحصَّنت بالله الَّذي لا إله إلَّا هـو، إلٰهي وإله كل شـيء، واعتصمت بربِّي وربِّ كلِّ شـيء، وتوكلت على الحي الَّذي لا يموت، واستدفعتُ الشرَّ بلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، حسْبي الله ونعم الوكيل، حسْبي الربُّ من العباد، حسْـبي الخالق من المخلوق، حسْبي الرازق من المرزوق، حسبي الَّذي هو حسْبي، حسبي الَّذي بيده ملكوت كلِّ شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، حسْبي اللهُ وكفى، سمع الله لمن دعا، وليس وراء الله مَرْمًى، حسْبي الله لا إله إلَّا هو، عليه توكَّلت، وهو ربُّ العرش العظيم**».

ومن جرَّب هذه الدعوات والعوذ عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصـول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله بحسـب قوَّة إيمان قائلها، وقوة نفسه، واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنَّها سلاح والسلاح بضاربه.

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٣٤٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٧)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

وإذا كان العائن يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين، فليدفع شرها بقوله: اللهم بارك عليه، كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف: «**ألا برَّكت**»[١]، أي: قلت: اللهم بارك عليه.

وممَّا يدفع به إصابة العين قول: ما شاء الله، لا قوَّة إلَّا بالله، روى هشام بن عروة، عن أبيه، أنَّه كان إذا رأى شيئًا يعجبه أو دخل حائطًا من حيطانه قال: ما شاء الله، لا قوَّة إلَّا بالله.

ومنها رقية جبريل عليه السلام للنبيِّ ﷺ الَّتي رواها مسلم في «صحيحه»: «**بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كلِّ نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[٢].

ورأى جماعة من السلف أنْ تكتب له الآيات من القرآن، ثمَّ يشربها، قال مجاهد: لا بأس أنْ يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة[٣]، ويذكر عن ابن عباس: أنَّه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادها أثر من القرآن، ثمَّ يغسل وتسقى[٤]، وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن، ثمَّ غسله بماء، وسقاه رجلًا كان به وجع»[٥].

ذكر هذا كله ابن القَيِّم في «زاد المعاد»[٦].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى في الطب (٧٥٧٠)، ومالك في العين (٣٤٥٩)، تحقيق الأعظمي، وابن حبان في الرقى والتمائم (٦١٠٥)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(٢) سبق تخريجه صـ١٦٥.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الطب (٢٣٩٧٦).

(٤) المصدر السابق (٢٣٩٧٤).

(٥) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠١٧٠).

(٦) انظر: زاد المعاد (١٦٢/٤ ـ ١٧١).

غير مرخصة للطباعة

• مَن يرقي؟

وينبغي أن يكون الراقي مسلمًا صالحًا، حتَّى يكون مظنة لاستجابة الدعاء، سواء أكان رجلًا أم امرأة، وإن جاز أن يكون الراقي غير مسلم، إذا التزم برقي المسلمين، وهذا أمر غير مأمون.

روى ابن حبان عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها، فقال: «**عالجيها بكتاب الله**»(١). قال أبو حاتم ابن حبان: قوله ﷺ: «**عالجيها بكتاب الله**» أراد: عالجيها بما يبيحه كتاب الله؛ لأنَّ القوم كانوا يرقون في الجاهليَّة بأشياء فيها شرك، فزجرهم بهذه اللفظة عن الرقى إلَّا بما يبيحه كتاب الله دون ما يكون شركًا.

وفي بعض الروايات أن هذه المرأة كانت يهودية، فقد روى مالك في العين باب «التعوذ والرقية من المرض»، والبيهقي عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمٰن: أنَّ أبا بكر الصديق دخل على عائشة، وهي تشتكي، ويهودية ترقيها، فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله(٢).

قال الزرقاني في «شرح الموطأ»: قال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية، فقال: لا بأس أنْ ترقي بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله، قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم، إذا رقوا من كتاب الله(٣).

---

(١) رواه ابن حبان في الرقى والتمائم (٦٠٩٨)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) رواه مالك في العين (٣٤٧٢)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٩/٩)، وصحَّح إسناده النووي في المجموع (٦٥/٩)، نشر دار الفكر.

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ (٥١٩/٤).

QaradawiBooks.com

• الرقى المكتوبة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويجوز أنْ يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئًا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح، ويغسل ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره، قال عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا سفيان، عن مُحَمَّد بن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب: بسم الله، لا إلٰه إلَّا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، قال أبي: حدثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه، وقال: يكتب في إناء نظيف فيسقى، قال أبي: وزاد فيه وكيع: فتسقى وينضح ما دون سرتها، قال عبد الله: رأيت أبي يكتب للمرأة في جام أو شيء نظيف.

وقال أبو عمرو مُحَمَّد بن أحمد بن حمدان الحيري: أخبرنا الحسن بن سفيان النسوي، حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إذا عسر على المرأة ولادها فليكتب: بسم الله، لا إلٰه إلَّا الله العلي العظيم، لا إلٰه إلَّا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، قال علي: يكتب في كاغدة فيعلق على عضد المرأة، قال

QaradawiBooks.com

علي: وقد جربناه فلم نر شـــيئًا أعجب منه، فإذا وَضعت تحله سريعًا ثمَّ تجعله في خرقةٍ أو تحرقه»[(١)].

هذا وأنا أفضِّل أن تكون الرقى مقروءة شفاهًا، كما كان يفعل النَّبي ﷺ.

• الرد على من كره الرقى بإطلاق:

روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي ﷺ يومًا، فقال: «**عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبـــي معه الرجلان، والنبي معه الرهـــط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فرجوت أنْ تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثمَّ قيل لي: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادًا كثيرًا ســـد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب**».

فتفرق النَّاس ولم يبيِّن لهم، فتذاكر أصحاب النَّبي ﷺ فقالوا: أمَّا نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي ﷺ فقال: «**هم الَّذين لا يتطيرون، ولا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون**»، فقام عُكَّاشـــة بن مِحْصَن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ فقال: «**سبقك بها عُكَّاشة**»[(٢)].

«تمسَّك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر الأدوية، وزعم أنَّهما قادحان في التوكُّل دون غيرهما، وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

---

(١) مســـائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله صـ ٤٤٧، ٤٤٨، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩/٦٤، ٦٥).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٥٢)، ومسلم في الإيمان (٢٢٠).

QaradawiBooks.com

أحدها: قاله الطبري والمازري وطائفة: أنَّه محمول على من جانب اعتقاد الطبائعيِّين في أنَّ الأدوية تنفع بطبعها كما كان أهل الجاهليَّة يعتقدون.

وقال غيره: الرقى الَّتي يحمد تركها ما كان من كلام الجاهليَّة، ومن الَّذي لا يعقل معناه لاحتمال أن يكون كفرًا، بخلاف الرقى بالذكر ونحوه.

وتعقبه عياض وغيره بأنَّ الحديث يدلُّ على أنَّ للسبعين ألفًا مزية على غيرهم وفضيلة انفردوا بها عمن شاركهم في أصل الفضل والديانة، ومن كان يعتقد أنَّ الأدوية تؤثر بطبعها أو يستعمل رقى الجاهليَّة ونحوها فليس مسلمًا، فلم يسلم هذا الجواب.

ثانيها: قال الداودي وطائفة: إنَّ المراد بالحديث الَّذين يجتنبون فعل ذلك في الصحَّة خشية وقوع الداء، وأمَّا من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء فلا، وقد قدمت هذا عن ابن قتيبة وغيره في باب «من اكتوى»، وهذا اختيار ابن عبد البر، غير أنَّه معترض بما قدمته من ثبوت الاستعاذة قبل وقوع الداء.

ثالثها: قال الحَلِيمي: يحتمل أنْ يكون المراد بهؤلاء المذكورين في الحديث: من غفل عن أحوال الدُّنْيا وما فيها من الأسباب المعدة لدفع العوارض، فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلَّا الدعاء والاعتصام بالله، والرضا بقضائه، فهم غافلون عن طب الأطباء، ورقى الرقاة، ولا يحسنون من ذلك شيئًا، والله أعلم.

رابعها: أنَّ المراد بترك الرُّقى والكَيِّ: الاعتمادُ على الله في دفع الداء والرضا بقدره، لا القدح في جواز ذلك، لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح، لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من

QaradawiBooks.com

تعاطي الأسباب، وإلى هذا نحا الخطابي ومن تبعه. قال ابن الأثير: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدُّنْيا وأسبابها وعلائقها، وهؤلاء هم خواص الأولياء.

ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبيِّ ﷺ فعلًا وأمرًا؛ لأنَّه كان في أعلى مقامات العرفان، ودرجات التوكُّل، وكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز، ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله؛ لأنَّه كان كامل التوكل يقينًا، فلا يؤثر فيه تعاطي الأسباب شيئًا، بخلاف غيره، ولو كان كثير التوكل، لكن من ترك الأسباب وفوض، وأخلص في ذلك كان أرفع مقامًا.

قال الطبري: قيل لا يستحق التوكل إلَّا من لم يخالط قلبه خوف من شيء البتَّة، حتَّى السبع الضاري والعدو العادي، ولا من لم يسع في طلب رزق ولا في مداواة ألم، والحقُّ أنَّ من وثق بالله وأيقن أنَّ قضاءه عليه ماضٍ لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعًا لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر ﷺ في الحرب بين درعين، ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشِّعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادَّخر لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك، وقال للذي سأل: أعقل ناقتي أو أدَعها؟ قال: «**اعقلها وتوكَّل**»[(١)]، فأشار إلى أنَّ الاحتراز لا يدفع التوكل، والله أعلم»[(٢)].

* * *

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩٠/٨)، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس بن مالك.

(٢) فتح الباري (٢١١/١٠، ٢١٢).

QaradawiBooks.com

٣

الكهانة

• معنى الكهانة:

الكهانة ـ كما يذكر الحافظ في «الفتح» ـ ادِّعاء علم الغيب؛ كالإخبار بما سيقع في الأرض.

والأصل فيه: استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن.

والكاهن: يطلق على العراف، والَّذي يضرب بالحصى، والمُنجِّم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر، ويسعى في قضاء حوائجه.

وقال في «المحكم»: «الكاهن: القاضي بالغيب»[(١)].

وقال في «الجامع»: «العرب تسمِّي كلَّ من أذن بشيء قبل وقوعه كاهنًا».

وقال الخطابي: «الكهنة قوم لهم أذهان حادَّة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فألفتهم الشياطين، لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه»[(٢)].

(١) المحكم والمحيط الأعظم (١٤٣/٤)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) أعلام الحديث (٢٢١٩/٣).

وكانت الكهانة في الجاهليَّة فاشـــية، خصوصًا في العرب؛ لانقطاع النبوَّة فيهم، وهي على أصناف:

منها: ما يتلقونه من الجن، فإنَّ الجن كانـــوا يصعدون إلى جهة الســـماء فيركب بعضهم بعضًا إلـــى أنْ يدنو الأعلى بحيث يســـمع الـــكلام، فيلقيه إلى الَّـــذي يليه، إلـــى أن يتلقاه من يلقيـــه في أذن الكاهن، فيزيد به، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشـــهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أنْ يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقولـــه تعالـــى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]، وكانت إصابة الكهان قبل الإســـلام كثيرة جـــدًّا، كما جاء في أخبار «شق» و«ســـطيح» ونحوهما، وأمَّا في الإسلام فندر ذلك جدًّا، حتَّى كاد يضمحل، ولله الحمد.

ثانيها: ما يخبر الجني به من يواليه، بما غاب عن غيره، ممَّا لا يطلع عليه الإنسان غالبًا، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

ثالثها: ما يســـتند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض النَّاس قوَّة، مع كثرة الكذب فيه.

رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن القسم الأخير ما يضاهي السحر.

وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطـــرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعًا[1].

(١) انظر: فتح الباري (٢١٦/١٠، ٢١٧).

QaradawiBooks.com

• **الرسول يعلن الحرب على الكهانة والكهان:**

وقد روى مسلم في «صحيحه» عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله، أمور كنا نصنعها في الجاهليَّة، كنا نأتي الكهان! قال: «**لا تأتوا الكهان**»[١].

وروى الشيخان عن عائشة ـ واللفظ للبخاري ـ قالت: سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال: «**ليس بشيء**» ـ أو: «**ليسوا بشيء**» ـ فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا! فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحقِّ، يخطفها الجنيُّ، فيقرها في أذن وليِّه، فيخلطون معها مائة كذبة**»[٢].

ومعنى قوله: «**ليسوا بشيء**»: أي ليس قولهم بشيء يعتمد عليه، قال القرطبي: كانوا في الجاهليَّة يترافعون إلى الكهان في الوقائع والأحكام، ويرجعون إلى أقوالهم، وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المُحَمَّديَّة، لكن بقي في الوجود من يتشبَّه بهم، وثبت النهي عن إتيانهم، فلا يحل إتيانهم ولا تصديقهم[٣].

• **النهي عن حُلوان الكاهن:**

كما نهى النبي ﷺ عن «حُلوان الكاهن»، وهو ما يُعطاه من أجر أو مكافأة، وشبه بالشيء الحلو من حيث أخذه حلوًا سهلًا بلا كلفة ولا مشقة، وقد روى الشيخان عن أبي مسعود الأنصاري: أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن[٤].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٥٣٧)، وأحمد (٢٣٧٦٣).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢١٣)، ومسلم في السلام (٢٢٢٨).

(٣) ذكره الحافظ في فتح الباري (٢١٩/١٠).

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطلاق (٥٣٤٦)، ومسلم في المساقاة (١٥٦٧).

QaradawiBooks.com

فلا يجوز إعطاؤهم شيئًا مقابل تكهنهم، كما لا يجوز لهم أخذه؛ لأنَّه كسب محرم، وأجر على عمل محظور وضار.

• **الكهانة كفر بما أنزل على محمَّد:**

وروى أحمد وأصحاب السنن عن أبي هُرَيْرة مرفوعًا: «**مَن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقوله، أو أتى امرأةً حائضًا، أو أتى امرأةً في دبرها، فقد برئ ممَّا أنزل على محمد**»(١).

وروى أحمد والحاكم عنه مرفوعًا أيضًا: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٢).

وروى أحمد ومسلم عن بعض أُمَّهات المؤمنين، وسمَّاها بعض الرواة: حفصة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»(٣).

وأي خسارة أكبر من عدم قبول الصلاة، وهي عمود الإسلام، والصلة اليومية بين العبد وربه؟

وعن ابن مسعود موقوفًا: «من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا فسأله فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد ﷺ»(٤).

---

(١) رواه أحمد (١٠١٦٧)، وقال مخرِّجوه: حديث محتمل للتحسين. والترمذي في الطهارة (١٣٥)، وقال: وإنما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ... وذكر أنَّ البخاري ضعفه من قبل إسناده. وابن ماجه في الطهارة (٦٣٩)، وضعَّفه النووي في خلاصة الأحكام (٢٢٩/١)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٠٠٦).

(٢) رواه أحمد (٩٥٣٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. والحاكم في الإيمان (٨/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في السلام (٢٢٣٠)، وأحمد (١٦٦٣٨).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٥٣)، والكبير (٧٦/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٩٠): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن يريم وهو ثقة.

QaradawiBooks.com

ومثل هذا لا يقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع المروي من قبل عن أبي هُرَيْرة، وهو وعيد مخيف لمن يذهب إلى هؤلاء الدجالين، فإن كان يعتقد أنَّهم فعلًا يعلمون الغيب، ويخترقون حجبه، فقد دخل في الكفر الأكبر الصريح، المخالف مخالفة قطعية للقرآن والسنة، وإلَّا فقد وقع في كبيرة من الكبائر الَّتي تجر إلى الكفر والعياذ بالله.

وإذا كان هذا شأن من أتاهم وسألهم وصدقهم، فما بالك بأمر هؤلاء أنفسهم؟ وما موقفهم من الإسلام؟ وما موقف الإسلام منهم؟!

روى البزار عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من تطير، أو تُطيِّر له، أو تكَهَّن، أو تُكُهِّن له، أو سَحر، أو سُحِر له، ومَن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول كفر بما أنزل على مُحَمَّد** ﷺ»[(١)].

ورواه الطبراني من حديث ابن عبَّاس دون قوله: «**ومن أتى...**» إلى آخره، بإسناد حسن[(٢)]، كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب»[(٣)].

وروى البزار كذلك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدَّقه بما قال فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد** ﷺ»[(٤)].

---

(١) رواه البزار (٣٥٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٦٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٧٩): فيه زمعة بن صالح، وهو ضعيف.

(٣) الترغيب والترهيب (١٧/٤)، برقم (٤٦٠٦).

(٤) رواه البزار كما في كشف الأستار (٣٠٤٥)، وقوى إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٦٠٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٢): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا عقبة بن سنان، وهو ثقة.

QaradawiBooks.com

وروى الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يلج الدرجات العلا من تكهَّن أو استقسم أو ردَّه من سفر تطيُّرٌ**»(١).

ومعنى «**استقسم**»: أي استقسم بالأزلام ونحوها، وفي القرآن: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

والتطير: التشاؤم، وهو شيء لا ينبني على منطق ولا قاعدة، كالذين يتشاءمون ببعض الأرقام مثل رقم (١٣)، أو بعض الأيام، أو بغير ذلك.

وعن قَطَن بن قَبِيصة عن أبيه ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**العِيَافة والطِّيَرة والطَّرْق من الجِبْت**»(٢).

قال أبو داود: «الطرق: الزجر، والعيافة: الخط ـ يعني الخط بالرمل»(٣).

وقال ابن فارس: «الطرق: الضرب بالحصى، وهو جنس من التكهن»(٤).

وقال لبيد:

لَعَمْرُكَ ما تدري الطوارقُ بالحَصَا ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ما الله صانعُ(٥)!

و«الجِبت» ـ بكسر الجيم ـ: كل ما عبد من دون الله تعالى، وقيل: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر، ونحو ذلك.

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢١٠٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٦١٢): رواه الطبراني بإسنادين رواة أحدهما ثقات. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٧، ٨٤٨٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٢٦).

(٢) رواه أحمد (٢٠٦٠٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الطب (٣٩٠٧)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٠٨)، وحسَّنه النووي في رياض الصالحين (١٦٧٩).

(٣) سنن أبي داود بعد الحديث (٣٩٠٧).

(٤) مقاييس اللغة (٤٥٠/٣)، تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٥) ديوان لبيد بن ربيعة صـ ٩٠، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

• لماذا كانت الكهانة كفرًا بما أُنزل على محمد؟

وذلك أن من المقرر فيما أنزله الله على رسوله مُحَمَّد ﷺ: أنَّ الغيب ممَّا استأثر الله تعالى بعلمه، فلا يعلمه إلَّا هو سبحانه، ومن ارتضى من رسول يعلِّمه منه بما يشاء وفق الحكمة الإلٰهيَّة.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]. ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال لرسوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وروى ابن عمر عنه ﷺ: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلَّا الله تعالى: لا يعلم أحد ما يكون في غدٍ إلَّا الله تعالى، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلَّا الله تعالى، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلَّا الله تعالى، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلَّا الله تعالى، ولا يدري أحد متى يجيء المطر إلَّا الله تعالى**»(١).

وفي رواية عنه: «**أوتيت مفاتيح كل شيء إلَّا الخمس:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]»(٢).

---

(١) رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٩).

(٢) رواه أحمد (٥٥٧٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

QaradawiBooks.com

وعن بريدة مرفوعًا: «**خمس لا يعلمهن إلَّا الله**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾» إلى آخر الآية الأخيرة من سورة لقمان[١].

وقد صح من حديث جبريل المشهور: أنَّ جبريل سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكنِّي سأخبرك بأشراطها**»[٢].

وفي رواية أبي هُرَيْرة في «الصحيحين»: «**خمس لا يعلمهن إلَّا الله...**» ثمَّ تلا رسول الله ﷺ الآية[٣].

وكلُّ هذه النصوص تؤكِّد أنَّ الغيبَ لا يعلمه إلَّا الله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

• تنبيهات مُهمَّة:

وأود أنْ أنبِّه هنا على بعض الأمور الَّتي قد تشتبه على بعض الناس.

من ذلك: ما تذكره هيئات الأرصاد الجويَّة من احتمالات هبوب الرياح، وسقوط الأمطار، ودرجات الحرارة والبرودة والرطوبة، والمد والجزر، وما يتعلق بذلك من الأمور، فهذه لا تدخل في الغيب؛ لأنَّها مبنية على أشياء مشاهدة، من وجود مرتفعات أو منخفضات جوية قادمة من الشمال أو من الجنوب، أو من الشرق أو من الغرب، وتترتب عليها آثارها وفق سنن الله تبارك وتعالى، فما يذكره الراصدون هنا ليس من الغيب الَّذي استأثر الله بعلمه، بل من المشاهدات الَّتي جعل الله علمها لخلقه من البشر.

(١) رواه أحمد (٢٢٩٨٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.
(٣) جزء من الحديث السابق.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

على أنَّ الأولى بالراصد المؤمن في هـذا المقام أن يذكر في كلامه بعض الكلمات المفيدة، مثل: إن شـاء الله، أو يقول فـي «النهاية»: هذا والعلم عند الله تعالى.

ومن الأمـور الَّتي تذكر هنـا: أن بعـض النَّـاس ـ ومنهم بعض المفسـرين القدامى ـ فهـم من قولـه تعالـى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، أنَّ المراد بهذا العلم: أنْ يعلـم أَذكرٌ ما في الرحم أم أنثى؟ هذا مع أنَّ الطب المعاصر أصبح يعلم اليوم بواسطة الآلات والأجهزة إنْ كان الجنين ذكرًا أو أنثى، ومن وقت مبكر من الحمل، ونحن نقول: إنَّ التفسير المذكور ليس بصحيح ولا ملزم لنا، فإن كلمة: «ما» في قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ من ألفاظ العموم، فهي تشمل الذكورة والأنوثة، والصحـة والمرض، والقـوة والضعف، والـذكاء والغباء، والسـعادة والشقاء، والحياة والموت، إلى آخر هذه الأمور الكثيرة المتشعبة الَّتي لا يعلمها كلها إلَّا الله سبحانه.

فإن كان الطبيب يعلم ذكورة الجنين وأنوثته، فإنَّه لا يعلم هل يكتمل نموه في بطن أمه أو لا؟ هل ينـزل حيًّا أو ميتًا؟ هل يحيا فقيرًا أو غنيًّا، سـعيدًا أو شـقيًّا؟ يتيمًا محرومًا من أبويه أو أحدهما، أو يعيش سعيدًا بهما؟ إلخ، فهذا ما يعلمه الله وحده.

• التحذير من السحر والسحرة:

والإسلام كما حذر من الكهنة ومدعي علم الغيب من ضاربي الرمل والودع والمنجمين وأمثالهم، حذر كذلك من السـحر والسـحرة، وكاد القرآن يعتبر السحر كفرًا، وذلك في قصَّة هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ

QaradawiBooks.com

بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وفي الحديث المتَّفق عليه: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله تعالى، والسحر، وقتل النفس الَّتي حرم الله إلَّا بالحق...**»[(١)] فقدم السحر على القتل.

وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني وابن حِبَّان في «صحيحه» عن أبي موسى أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنَّة مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومُصَدِّق بالسحر**»[(٢)].

وقد تقدَّم حديث عِمْران بن حُصَيْن وفيه براءة الرسول ممَّن سَحر أو سُحِر له، وحديث ابن مسعود فيمن أتى عرَّافًا أو ساحرًا...

وروى البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر[(٣)].

وصحَّ عن أمِّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها: أنَّها قتلت ساحرةً سحرتها[(٤)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٩٥٦٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو يعلى (٧٢٤٨)، وابن حبان في الكهانة والسحر (٦١٣٧)، والحاكم (١٤٦/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٢٥٣٩).

(٣) رواه أحمد (١٦٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده على شرط البخاري. ورواه أبو داود في الخراج (٣٠٤٣)، والترمذي في السير (١٥٨٧)، وقال: حسن صحيح. وأصل الحديث في البخاري (٣١٥٦، ٣١٥٧). دون قصة قتل السواحر.

(٤) رواه مالك في العقول (٣٢٤٧)، تحقيق الأعظمي.

QaradawiBooks.com

• التنجيم ضرب من السحر والكهانة:

والتنجيم: ضرب من الكهانة أو السحر، وهو علم يزعم أصحابه ربط حوادث الأرض بنجوم السماء، ويدعون أنَّه سيحدث كذا في سنة كذا، من البلاء والغلاء، والموت، وقد عرف النَّاس كذبهم من قديم، وقالوا فيهم: «كذب المنجمون ولو صدقوا».

وفي الحديث اعتبار علم النجوم هذا شعبة من السحر.

فعن ابن عبَّاس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[(١)].

قال الخطَّابي: علم النجوم المنهي عنه: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث الَّتي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنَّهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها واقترانها، ويدعون لها تأثيرًا في السفليات، وأنَّها تتصرف على أحكامها، وتجري على قضايا موجباتها.

وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به، لا يعلم الغيب أحد سواه.

فأما علم النجوم الَّذي يدرك من طريق المشاهدة والحس، كالذي يعرف به الزوال، ويعلم به من جهة القبلة، فإنَّه غير داخل فيما نهي عنه.

(١) رواه أحمد (٢٨٤٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٢٦)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٧١)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٠٥).

QaradawiBooks.com

وذلك: أن معرفة رصد الظل ليس شـيئًا بأكثر مـن أنَّ الظل ما دام متناقصًا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي.

وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة، إلَّا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلة الَّتي يسـتغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصده.

وأمَّا ما يستدلُّ به من جهة النجوم على جهة القبلة: فإنَّما هي كواكب أرصدها أهل الخبرة بها من الأئمَّة الَّذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به عنها، مثل: أن يشاهدوها بحضرة الكعبة، ويشـاهدوها في حال الغيبة عنها، فـكان إدراكهم: الدلالة عنها بالمعاينـة، وإدراكنا لذلك بقبولنـا لخبرهم، إذ كانوا غيـر متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم[1].

وبهذا نتبيَّن أنَّ «علـم النجوم» المذموم أو «علـم التنجيم» هو غير «علم الفلك» الَّذي نبغ فيه المسـلمون من قديـم، وكان لهم فيه علماء راسـخون، والَّذي ارتقى في عصرنا ارتقاءً كبيرًا، حتَّى استطاع الإنسان بواسطته أنْ يصل إلى القمر، ويحاول غزو الكواكب الأخرى.

• علماء الإسلام مجمعون على حرب الكهانة والسحر:

لا مكان في الإسـلام إذن لمنجم ولا سـاحر ولا كاهن ولا عراف، وهذا بإجماع أئمَّة الإسلام في سائر الأعصار، كما ترى ذلك في شروحهم للأحاديث الَّتي جاءت في ذم الكهانة والكهان، والعرافة والعرافين.

(١) معالم السنن (٢٢٩/٤، ٢٣٠).

QaradawiBooks.com

قال البغوي: العرَّاف: الَّذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالَّة، ونحو ذلك[١].

وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الَّذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الَّذي يخبر عما في الضمير.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إنَّ العراف اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم، كالحازر الَّذي يدعي علم الغيب، أو يدعي الكشف»[٢].

وقال أيضًا: «والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو معناه».

وقال أيضًا: «والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي، وغيره من العلماء، وحكي ذلك عن العرب، وعند آخرين: هو من جنس الكاهن، وأسوأ حالًا منه، فيلحق به من جهة المعنى»[٣].

وقال الإمام أحمد: «العرافة: طرف من السحر، والساحر أخبث»[٤].

وقال ابن الأثير: «العراف: المنجم، والحازر: الَّذي يدَّعي علم الغيب، وقد استأثر الله تعالى به»[٥].

وقال ابن القَيِّم رحمه الله تعالى: «من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سمَّوه عائفًا، وعرافًا»[٦].

---

(١) شرح السنة للبغوي (١٨٢/١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٣/٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٣/٣٥، ١٩٤).

(٤) المغني لابن قدامة (٣٢/٩)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(٥) النهاية في غريب الحديث مادة (ع. ر. ف).

(٦) مفتاح دار السعادة (٢٢٩/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والمقصود من هذا: معرفة أنَّ من يدعي معرفة علم شيء من المغيبات فهو إمَّا داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به، وذلك أنَّ إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل والزجر والطيرة والضرب بالحصى والخط في الأرض والتنجيم والكهانة والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهليَّة، ونعني بالجاهليَّة كل من ليس من أتباع الرسل عليهم السلام، كالفلاسفة والكهان والمنجمين، وجاهلية العرب الَّذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ، فإن هذه علوم لقوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام، وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنًا وعرَّافًا أو في معناهما، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد، وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام، فادعوا بها علم الغيب الَّذي استأثر الله بعلمه، وادعوا أنَّهم أولياء، وأنَّ ذلك كرامة.

ولا ريب أنَّ من ادعى الولاية واستدلَّ بإخباره ببعض المغيبات، فهو من أولياء الشَّيْطان، لا من أولياء الرحمٰن، إذ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن التقي: إما بدعاء، أو أعمال صالحة لا صنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها، بخلاف من يدعي أنَّه ولي ويقول للناس: اعلموا أنِّي أعلم المغيبات، فإنَّ هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرمة كاذبة في الغالب.

ولهذا قال النبي ﷺ في وصف الكهان: «**فيكذبون معها مائة كذبة**»[1]، فبيَّن أنَّهم يصدقون مرَّة ويكذبون مائة، وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممَّن يدعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس، مع أن نفس

(١) سبق تخريجه صـ ١٨٨.

QaradawiBooks.com

دعواه دليل على كذبه؛ لأنَّ في دعـــواه الولاية تزكية النفس المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]، وليس هذا من شأن الأولياء فإن شأنهم الإزراء على نفوسهم وعيبهم لها، وخوفهم من ربهم، فكيف يأتون النَّاس ويقولون: اعرفوا أننـــا أولياء، وأنا نعلم الغيب؟ وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق واقتناص الدُّنْيا بهذه الأمور.

وحسبك بحال الصحابة والتابعين ﷺ، وهم سادات الأولياء، أفكان عندهم من هذه الدعاوى والشـــطحات شـــيء؟ لا والله، بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن، كالصديق ﷺ، وكان عمر ﷺ يُسمع نشـــيجه من وراء الصفوف يبكي في صلاته، وكان يمر بالآية في ورده من الليل فيمرض منها ليالي يعودونـــه، وكان تميم الداري يتقلب على فراشـــه ولا يســـتطيع النوم إلَّا قليلًا خوفًا من النار، ثـــمَّ يقوم إلى صلاته، ويكفيك في صفات الأوليـــاء ما ذكره الله تعالى في صفاتهم في سورة الرعد والمؤمنون والفرقان والذاريات والطور[1]، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهـــل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمـــة وعلم الغيب، بل مجرد

---

(١) قوله تعالى في ســـورة الرعـــد: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ١٩، ٢٠] الآيات إلى (٢٤)، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرعـــد: ٢٨، ٢٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ...﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١]، وقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ...﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ...﴾ [الذاريـــات: ١٥ ـ ١٩]، وقولـــه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ...﴾ [الطور: ١٧ ـ ٢٨].

هذا وفي القرآن الكريم من صفات المؤمنين كثير جدًّا، بل أكثر آي القرآن في وصف الإيمان وأهله، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

QaradawiBooks.com

دعواه علم الغيب كفر، فكيف يكـــون المدعي ذلك وليًّا لله؟ ولقد عظم الضرر واشـــتد الخطب بهـــؤلاء المفترين الَّذين ورثوا هـــذه العلوم عن المشركين، ولبَّسوا بها على خفافيش القلوب، نسأل الله السلامة والعافية في الدُّنْيا والآخرة[1] اهـ.

وبهذا اتفق علماء الإســـلام على مطاردة الكهانة والعرافة والتنجيم والعيافة وكل فنون الســـحر والشـــعوذة والتدجيل على عباد الله، واعتبار ذلك ممَّا يضاد الإيمان بالله تعالى، ويعارض الإســـلام الَّذي يحترم سنن الله في خلقه، ونظام الأسباب والمســـببات، ويُقدِّر العقل العلمي القائم على المشـــاهدة والتجربة في الحســـيات والماديات، وعلى البرهان في العقليات، وعلى التوثيق فـــي النقليات، كما قال تعالى: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعـــام: ١٤٣]، ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعـــام: ١٤٨]، ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقد تكررت في القرآن الكريم.

ونختم هذا الكتاب بدعاء أبي الأنبياء خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

* * *

(١) انظر: فتح المجيد صـ ٣٣٦ ـ ٣٤٠ بتصرف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

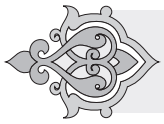

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢	١٦٧
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	١٦٩
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	١١٩
سورة البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	١٢
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾	٧٩	٧٩
﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾	١٠٢	١٩٤
﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	١١١	٤، ٤٢، ٢٠١
﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	١١٨	١٠٥، ١١١
﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾	٢٣٥	١٠٧
﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾	٢٦٨	٥٥، ٥٦
﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾	٢٦٩	١٠٥، ١١١
﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾	٢٧٣	١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾	١٨	٧٣
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾	٣١	٨٩
﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	٧٣	٢٨
﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	٧٤	٢٨
﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾	٧٨	٧٩
﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾	٧٩	٢٥
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	٨٥	٨٩
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٠١	٢٥
﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٨	١٢، ١٠٦
سورة النساء		
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾	٢	١٦٥
﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾	٥٩	٤٩، ٦٧
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	٥١
﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾	٦٩	٩٥
﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	١٢٠	٥٦
سورة المائدة		
﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾	٣	٥٨، ١٩١
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ ﴾	٩٢	١٢٨
﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾	١١١	١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾	١٧	١٤٤
﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٨	١٤٤
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾	٥٩	١٩٢
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾	٩٣	٧٩
﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	١٤٣	٤٢، ٢٠١
﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾	١٤٨	٤، ٤٢، ٢٠١
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾	١٥٣	٨٩
سورة الأعراف		
﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	٣	٤٩، ٦٧، ١٢٨
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ ﴾	٣٣	٧٩
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ ﴾	١٧٩	٢٦، ٢٧
﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾	١٨٨	١٩٢
سورة الأنفال		
﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	١٢	٥٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾	٢٩	٤، ١١، ١٠٤، ١١١
سورة التوبة		
﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾	٧٢	٨٨
سورة يونس		
﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٦	١٢، ١٠٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾	٣٢	٨٩
﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٠٦	١٤٨
سورة هود		
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾	١٧	١٩
سورة يوسف		
﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾	٤٤	١٣٠
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾	١٠١	١٣٠
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾	١٠٦	١٥١
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	٨٩
سورة الرعد		
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾	٩	١٩٣
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾	١٩، ٢٠	٢٠٠
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾	٢٨	٢٠٠
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾	٢٩	٢٠٠
سورة إبراهيم		
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾	٣٨	٢٠١
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾	٤٠	٢٠١
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾	٤١	٢٠١
سورة الحجر		
﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾	٢٩	١٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾	٤٢	١١٨
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	٧٥	١٨، ١٠٥، ١١١
سورة النحل		
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	٤٩
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾	٦٨	٤٤، ٤٧
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾	٦٨	١٨
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	٢٦
سورة الإسراء		
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	٣٦	٢٦، ٤٤
سورة الكهف		
﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾	٦٥	٤٦، ٨٥، ٨٢، ١٠٦
﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾	٨٢	٥٩، ٨٥
سورة طه		
﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	٤٧
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	٧٤
سورة الأنبياء		
﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾	٧٩	١٠٥، ١١١
سورة الحج		
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾	٤٦	٢٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾	٥٧ ـ ٦١	٢٠٠
سورة النور		
﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾	٣٥	٢٧، ٣٥
﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٤	٦٧
﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾	٦٣	٦٧
سورة الفرقان		
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	٦٣ ـ ٧٦	٢٠٠
سورة النمل		
﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٦٤	٤
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٦٥	١٩٢
سورة القصص		
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾	٧	١٨
﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾	٨٦	١١٢
سورة العنكبوت		
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٦٩	٤، ١١، ١٠٤، ١١١
سورة لقمان		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾	٣٤	١٩٢، ١٩٣، ١٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحزاب		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾	٣٦	٥١
سورة سبأ		
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾	٤٦	٤
سورة الصافات		
﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾	١٠	١٨٧
﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾	١٠٢	٢٩
سورة ص		
﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	٨٢، ٨٣	١١٨
سورة الزمر		
﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	٢٢	١٠٥، ١١١
﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣٨	١٤٤
سورة الشورى		
﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ﴾	١٣	٩٣
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	٢٥	١٠٧
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾	٥١	١٦، ٢٩، ١٢١
سورة الزخرف		
﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾	٣٦	١١٧
﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٣٧	١١٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾	٢٣	٢٧
سورة الأحقاف		
﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٤	٢٠١
﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾	٢٦	٢٧
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾	٣٥	١٨٢
سورة محمد		
﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾	٣٠	١٨
سورة الذاريات		
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	١٥ ـ ١٩	٢٠٠
سورة الطور		
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾	١٧ ـ ٢٨	٢٠٠
سورة النجم		
﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾	٢٨	٤
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾	٣٢	٢٠٠
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾	٧	٦٧، ١٢٨
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	٢، ٣	١٢، ١٠٤

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القلم		
﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾	٥١	١٧٦
سورة الجن		
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾	٢٦، ٢٧	١٩٢
سورة القيامة		
﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾	٢٦، ٢٧	١٥٥
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٤٦
سورة النازعات		
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾	٤٦	١٨٢
سورة البلد		
﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾	١٠	٤٦
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾	٧	١٤
﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	٨	١٤، ٤٤، ٤٦
سورة العلق		
﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	٧٧
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١٦١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفلق		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾	١	١٦٢
﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	٤، ٥	١٧٦
سورة الناس		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾	١	١٦٢

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
اتَّقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله تعالى	٥، ٤٥، ٤٧، ١٠٥، ١١١
الإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطَّلع عليه النَّاس	٤٩
اجتنبوا السبع الموبقات	١٩٥
أخشى أنْ يتحدَّث النَّاس أنَّ محمدًا يقتل أصحابَه	٣٩
إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبُّها، فإنَّما هي من الله	١٢٢
أذهب البأسَ ربَّ النَّاس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤك	١٥٠، ١٦٣
أذهب البأس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلَّا أنت	١٦٣
أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم؟ قلت: لا بأس به. قال: فمه؟	١٣٤
أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر	١٣١
استرقوا لها، فإنَّ بها النظرة	١٧٤
استفتِ قلبك وإنْ أفتاك المفتون	٤٨، ٤٩، ٤٥، ٥٠، ٥١
أصيب سلمة، فأتي بي رسول الله ﷺ فنفث فيَّ ثلاث نفثات	١٦٥
اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك	١٧٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اعقلها وتوكَّل	١٨٥
أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد	١٦٤
أعوذ بكلمات الله التامَّات الَّتي لا يجاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجر، من شرِّ ما خلق	١٧٨
أعوذ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق	١٧٨
أعوذ بكلمات الله التامَّة من غضبه وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين، وأنْ يحضرون	١٦٥
أعوذ بكلمات الله التامَّة من غضبه وعقابه، ومن شرِّ عباده	١٧٨
أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطان وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة	١٧٨
أعوذ بوجه الله العظيم الَّذي لا شيء أعظمُ منه، وبكلماته التامَّات	١٧٨
ألا تُعَلِّمِينَ هذه رقية النَّمْلة كما علَّمْتِيها الكتابة	١٧٢
ألست تُقَبِّل وأنت صائم؟!	١٣٣
اللهمَّ أعطني نورًا، وزدني نورًا، واجعلْ لي في قلبي نورًا	١٠٤، ١١١
اللهم اغفر لي، واجعلني مع الرفيق الأعلى	١٦٣
اللهمَّ أنت ربِّي لا إلٰه إلَّا أنت، عليك توكَّلت، وأنت ربُّ العرش العظيم	١٧٩
اللهمَّ إنِّي أسألكَ رحمةً من عندك تُلْهِمُني بها رُشْدي	١٥
اللهم إنِّي أعوذ بوجهك الكريم، وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته	١٧٨
اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلَّا أنت	١٦٣
اللهم فَقِّهْه في الدين وعَلِّمه التأويل	١٠٥، ١١١
أمرني النبيُّ ﷺ ـ أو أمر ـ أنْ نسترقي من العين	١٧٣
أمرهم بنحر هديهم والتحلُّل من عمرة الحُدَيْبِيَة	٥٠
إنَّ الله تعالى ضرب مثلًا: صراطًا مستقيمًا، وعلى كَتِفَي الصِّراط سوران	٥٥
إنَّ الله لم ينزل داء إلَّا وأنزل له شفاء، فتداووا به	١٥٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ الدجَّال مكتوبٌ بين عَيْنَيْه كافر، يقرؤه كلُّ مؤمن، قارئ وغير قارئ	٣٥
أنَّ رسول الله ﷺ كان يأمرها أنْ تسترقي من العين	١٧٠
أنَّ رسولَ الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب، ومَهْرِ البَغِيِّ، وحُلْوان الكاهن	٥، ١٨٨
إنَّ الرُّقَى والتمائم والتِّوَلَة شِرْك	١٥٠، ١٥٥
إنَّ رُوح القُدُس نَفَث في رُوعي: أنَّ نفسًا لن تموت حتَّى تستكملَ أجلَها	٢٩
إنَّ الرؤيا قد تكون حقًّا، وهي المعدودة من النبوَّة	١٢٩
إنَّ الشَّيْطان لا يتراءى بي	١٣٤
إنَّ الشَّيْطان لا يتمثل بي	٤٥، ٥٨
إنَّ عليه تميمة!، فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: من علَّق تميمةً فقد أشرك	١٤٧
أنَّ لحَّامًا دعاه فاستأذنه في شخصٍ يستتبعه	٦٢
إنَّ للملك لمَّة بقلب ابن آدم، وللشيطان لمَّة، فلمَّة الملك إيعاد بالخير	٤٣، ٥٥
إنَّ من أمَّتي محدثين ومعلمين ومكلمين، وإنَّ عمر منهم	١٠٦
إنَّ من العلم كهَيْئَة المكنون لا يعرفه إلَّا العلماء بالله تعالى	٩٧
أنَّ النبيَّ ﷺ رخَّص في الرقية من الحُمَة والعين والنملة	١٧٣
أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات	١٦٤
أنَّ النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه، ينفث بالمعوذتين	١٦٠
أنَّ النبي ﷺ كان يتعوَّذ من الجان، ومن عين الإنسان	١٧٤
أنَّ النبي ﷺ كان يعوِّذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة	١٦٠
إنْ يكن في هذه الأُمَّة أحد فعُمَر	١٨
إنَّكم تختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضَكم أنْ يكون ألحن بحُجَّته من بعض	٣٩
أنَّه ﷺ كان يعوِّذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة	١٦٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمَمِ مُحَدَّثون	٥
إنَّه كان قبلكم مُحَدَّثون	١٧
إنَّه لا ينبغي للشيطان أن يتمثَّل بي	١٣٥
إنهما يلتمسان البصر، ويسقطان الحَبَل	١٧٦
أوتيت مفاتيح كل شيء إلَّا الخمس	١٩٢
ب	
باسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى به سقيمنا، بإذن ربنا	١٧٠
بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كلِّ نفس أو عين حاسد	١٨٠
بسم الله أرقيك، والله يشفيك من كل داءٍ فيك، أذهب البأس رب الناس	١٦٤
بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده	١٥٢
بها نظرة، فاسترقوا لها	١٧٠
ت	
تحصَّنت بالله الَّذي لا إلٰه إلَّا هو، إلٰهي وإلٰه كل شيء، واعتصمت بربِّي	١٧٩
تداووا يا عباد الله، فإنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاء إلَّا داء الهرم	١٥٩
تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا	١٦٦
ث	
ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أنْ يكون الله ورسوله أحب إليه	١٢
خ	
خطَّ لنا النبي ﷺ	٨٩
خمس لا يعلمهن إلَّا الله	١٩٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ذ	
ذهبت النبوَّة وبقيت المُبشِّرات	١٢٥
ر	
رخَّص رسول الله ﷺ في الرقية من العين، والحُمَة، والنملة	١٧٠
رخص رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار في الرقية	١٧٠
الرقى والتمائم والتولة شرك	١٥٤
الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشَّيْطان ليحزن ابن آدم	١٢٩
الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشَّيْطان	١٢٨، ١٣١
الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستَّة وأربعين جزءًا من النبوة	١٢٢
الرؤيا الصادقة جزءٌ من ستَّة وأربعين جزءًا من النبوَّة	١٢٤
الرؤيا من الله، والحلم من الشَّيْطان، فإذا حَلَم أحدُكم الحُلمَ يكرهه	١٢٢
ز	
زمِّلوني، زمِّلوني! ويقول: لقد خشيتُ على نفسي	١١٢
ش	
الشرك بالله تعالى، والسحر، وقتل النفس الَّتي حرم الله إلَّا بالحق	١٩٥
ص	
الصلاة نورٌ، والصدقة برهانٌ، والصبر ضياء	٣٣
ض	
ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جَنْبَتَي الصِّراط سُوران	٣٤
ضع يدك على الَّذي تألم من جسدك، وقل: باسم الله ـ ثلاثًا ـ	١٦٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ط	
طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم	٧١
ع	
عالجيها بكتاب الله	١٨١
عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان	١٨٣
العلم علمان: فعلمٌ باطنٌ في القلب، فذلك هو العلم النافع	١٠٦
العِيَافة والطِّيَرة والطَّرْق من الجِبْت	١٩١
العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابقُ القَدَرِ لسبقتْه العَيْن	١٧٣
ف	
فإنْ يكنْ في أُمَّتي منهم أحدٌ فعُمَر	٦٦
فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا	١٤٨
فيكذبون معها مائة كذبة	١٩٩
ق	
قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في أُمَّتي منهم أحدٌ فعُمَر	٣٦
قد كان في الأمم مُحَدَّثون، فإن يكن في أُمَّتي أحد فعمر بن الخطَّاب	١٥
قد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون	٤٥
قل كل يوم أربعين مرَّة: يا حي يا قيوم، لا إلٰه إلَّا أنت	١٣٧
قلبُ المؤمنِ أشدُّ تقلُّبًا من القدر في غَلَيَانها	١٠٣، ١١٤
قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن	١٠٣، ١١٤
ك	
كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفَّيه	١٦١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات	١٦٤
كان النبي يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعِثْتُ إلى النَّاس عامَّة	٦١
كُلُّ بدعةٍ ضلالة	٨٩
ل	
لا تأتوا الكهان	١٨٨
لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر	١٥٢
لا نَبِيَّ بعدي	٦٧
لا يَبْقَيَنَّ في رقبة بعير قلادة من وتر ـ أو قلادة ـ إلَّا قطعت	١٤٨
لا يتمثَّلُ في صورتي	١٣٤
لا يدخل الجنَّة مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومُصَدِّق بالسحر	١٩٥
لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه	٥، ٣٣
لقد كان فيمن قبلكم مُحَدَّثون، فإنْ يكنْ في أُمَّتي منهم أحد فعُمَر بن الخطاب	٥٢، ١١١
لكلِّ داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى	١٥٩
لم يبقَ من النبوَّة إلَّا المُبَشِّرات، قالوا: وما المُبَشِّرات؟ قال: الرؤيا الصالحة	١٢٢، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١
لمَّا دعاه أبو طلحة ونفرًا قليلًا إلى بيته، قام بجميع أهل المسجد	٦٢
لن يلج الدرجات العلا من تكهَّن أو استقسم أو ردَّه من سفر تطيُّرٌ	١٩١
ليس بشيء ـ أو: ليسوا بشيء ـ فقالوا: يا رسول الله	١٨٨
ليس منا من تطير، أو تُطيِّر له، أو تكَهَّن، أو تُكُهِّن له، أو سَحر	١٩٠
م	
ما أخلص عبد العبادة لله تعالى أربعين يومًا إلَّا أجرى الله الحكمة	٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه	١٧١
ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	١٥٩
ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة ـ أي: نحيفة ـ تصيبهم الحاجة؟	١٧١
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكنِّي سأخبرك بأشراطها	١٩٣
ما هذا؟ قال: اتخذتها من الواهنة، قال: ما تزيدك إلَّا وهنًا، انبذها عنك	١٤٧
ماذا؟ قال: عقرب. قال: أما إنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله	١٦٠
مُرُوا أبا ثابت يتعوَّذ، قالت: فقلت: يا سيدي، والرقى صالحة؟	١٧٢، ١٧٧
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلَّا الله تعالى: لا يعلم أحد ما يكون في غدٍ	١٩٢
من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد	١٨٩، ١٩٠
من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء، لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعين ليلة	٥، ١٨٩
مَن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقوله، أو أتى امرأةً حائضًا	١٨٩
من استطاع منكم أنْ ينفع أخاه فليفعل	١٧١
من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الَّذي في السماء	١٦٥
من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد	١٩٦
من رآني فقد رأى الحقَّ، فإنَّ الشَّيْطان لا يتكوَّنُني	١٢٣، ١٣٤
من رآني في المنام فقد رآني، فإنَّ الشَّيْطان لا يتمثَّل بي	١٢٢، ١٣٤
مَن رآني في النوم فقد رآني حقًّا، فإنَّ الشَّيْطان لا يتمثل بي	١٣٨، ١٤٠
من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنَّة	١١٣
من علَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له	١٤٧، ١٤٩
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه	١٦١
من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق	١٦٠، ١٦١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ن	
نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين	١٧٤
نهى عن ثمن الكلب، ومَهْرِ البَغِيِّ، وحُلْوان الكاهن	٥
هـ	
هل إلَّا هذا؟، وقال مسدد في موضع آخر: هل قلت غير هذا؟ قلت: لا	١٦٦
هم الَّذين لا يتطيرون، ولا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون	١٨٣
هو التوسعة، إنَّ النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح	١٠٥
هي من قدر الله	١٥٨
و	
وما يدريك أنَّها رُقْيَة؟ أصبتم، اقْسِموا واضْرِبوا لي معكم بسَهْم	١٦٧
ي	
يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك	١٦١
يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سورًا، فحي هلا بهلكم	٦٢
يا مُحَمَّد، اشتكيت؟ قال: نعم، قال: بسم الله أرقيك، من كلِّ شيءٍ يؤذيك	١٦٥
يا موسى، إنِّي على علمٍ من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه	٦١، ٩٥
يحملُ هذا العِلْمَ من كلِّ خلفٍ عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين	٧٣

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

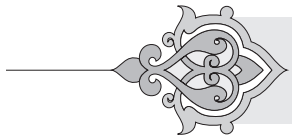

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدمة ٧

❖ الأصل الثالث: موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى وهل يؤخذ منها حكم شرعي؟ ٩

❖ الأصل الثالث: موقع الإلهام والكشف والرؤى من الدين ١٠

حقائق ثلاث يتضمنها هذا الأصل ١١

أثر الإيمان والعبادة والمجاهدة في النفس ١١

❖ الإلهام هل هو حُجَّة في الأحكام الشرعيَّة؟ ١٣

• ما الإلهام؟ ١٤

• الإلهام والتحديث ١٧

• الإلهام والفِراسة ١٨

• مواقف العلماء من الإلهام ٢٠

QaradawiBooks.com

موقف النُّفاة المنكرين للإلهام ٢٠
المُغالون في إثبات الإلهام وحُجِّيَّته واعتباره ٢٣
الإلهام ليس بحُجَّة شرعيَّة ٢٣
• موقف الربَّانيِّين المعتدلين من علماء السُّنَّة ٢٤
• تحرير موضع النزاع ٢٨
• إلهام الأنبياء وحيٌ ٢٩
• أثر التقوى والمجاهدة في الهداية والإلهام ٢٩
• ابن تيمية لا ينكر الإلهام الناشئ عن الإيمان والتقوى ٣٠
• شرط الاعتبار بالكشف والإلهام والرؤيا ٣٧
• في هذه الأمور يتحدَّد النزاع ٤٠

❖ ١ ـ دعوى حُجِّيَّة الإلهام في الأحكام الشرعيَّة ٤٢
• حجج المُحَقِّقين من أهل السُّنَّة ٤٢
• شبهات القائلين بحُجِّيَّة الإلهام في الأحكام الشرعيَّة ٤٤
• الردُّ على هذه الشبهات ٤٦
• حديث: «استفتِ قلبَكَ وإن أفتاك المفتون» ٤٨
• حديث: «لقد كان فيمن قبلكم محدَّثون» ٥٢
• قياس الإلهام على الرؤيا الصادقة ٥٧
• قصَّة الخَضِر مع موسى ٥٩
• شهادةُ القلبِ في التَّحَرِّي ٦٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

❖ ٢ ـ ادِّعاء العصمة لما جاء عن طريق الكشف والإلهام ٦٤
• لا عصمة لغير الكتاب والسُّنَّة ٦٧
• نتائج الإلهام غير ثابتة ولا مطردة ٦٩
❖ ٣ ـ ضلالة ازدراء العلم الشرعي ٧١
• الصوفيَّة الأولون ملتزمون باتباع الشريعة ٧٤
• العِلم اللَّدُني ٧٧
❖ ٤ ـ التفرقة بين الشريعة والحقيقة ٨١
• قصَّة موسى والخَضِر ٨١
• كلام الألوسي ٨٥
• من كلمات مُجدِّد الألف الثاني ٨٧
• من كلمات كبار الصوفيَّة ٩٠
• موقف الكاملين في الشريعة ٩٣
❖ ٥ ـ اعتبار الصوفيَّة الكشف هو غاية الغايات واتِّخاذهم إليه طرقًا غير شرعيَّة ٩٨
• موقف الإمام الغزالي من الكشف والإلهام ٩٨
• شواهد الشرع على صحَّة طريق أهل التصوُّف ١٠٤
• وقفة مع الإمام الغزالي ١١٠
إمكان الكشف ووقوعه مُتَّفق عليه ١١٠
• أدلَّة الغزالي لا تثبت دَعواه ١١١

غير مرخص للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

❖ **الرؤى هل تصلح دليلًا للأحكام الشرعيَّة؟** **١٢٠**

• تمهيد ١٢٠

• رؤيا الأنبياء وحي ١٢١

• أنواع الرؤيا كما فصَّلتها السُّنَّة ١٢١

• حقيقة الرؤيا وصلتها بعالم الغيب ١٢٣

• الرؤى مُجَرَّد مُبَشِّرات أو مُنَبِّهات ١٢٧

• الرؤيا ليست حُجَّة شرعيَّة ١٢٨

• رؤيا النبيِّ ﷺ لا يثبت بها حكمٌ شرعي ١٣٣

• تحقيق الإمام الشاطبي في موضوع الرؤيا ١٣٧

• تأويل حديث: «من رآني في المنام فقد رآني حقًّا» ١٤٠

❖ **الأصل الرابع: من الأصول العشرين** **١٤٣**

❖ **الأصل الرابع من الأصول العشرين** **١٤٤**

❖ **١ ـ التمائم وأحكامها** **١٤٦**

• معنى التمائم ١٤٦

• التمائم من الشرك ١٤٧

• كراهة التمائم ولو كانت من القرآن ١٥١

• من يرى جواز التمائم إذا كانت من القرآن ١٥٢

• موقف المسلم في هذه القضيَّة ١٥٣

❖ **٢ ـ الرقى وأحكامها** **١٥٥**

• الرقية كالدواء من قدر الله تعالى ١٥٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- الرقية والطب الجسماني ١٥٨
- نفع الأدوية الإلٰهيَّة ١٦١
- أفضل الرقى ١٦٢
- الصيغ النبويَّة للرقى ١٦٣
- رقية المريض بالمعوذات والنفث ١٦٤
- الرقية بفاتحة الكتاب ١٦٦
- من فقه الحديث ١٦٧
- عظمة الفاتحة ١٦٨
- من أي شيء تكون الرقية؟ ١٦٩
- لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ١٧٢
- كلام ابن القَيِّم في تأثير العين والرقية منها ١٧٣
- مَن يرقي؟ ١٨١
- الرقى المكتوبة ١٨٢
- الرد على من كره الرقى بإطلاق ١٨٣

❖ ٣ ـ الكهانة ١٨٦

- معنى الكهانة ١٨٦
- الرسول يعلن الحرب على الكهانة والكهان ١٨٨
- النهي عن حُلوان الكاهن ١٨٨
- الكهانة كفر بما أنزل على محمَّد ١٨٩
- لماذا كانت الكهانة كفرًا بما أُنزل على محمد؟ ١٩٢
- تنبيهات مُهمَّة ١٩٣

QaradawiBooks.com

- التحذير من السحر والسحرة ١٩٤
- التنجيم ضرب من السحر والكهانة ١٩٦
- علماء الإسلام مجمعون على حرب الكهانة والسحر ١٩٧

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٢٠٥**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٢١٥**
- **فهرس الموضوعات ٢٢٥**

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com